

الخطب المنبرية من المسجد النبوي

تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

الجزء الأول


الخطب المنبرية
من
المسجد النبوي

ح عبد المحسن بن محمد القاسم ١٤٤٣هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد المحسن بن محمد

الخطب المنبرية من المسجد النبوي (الجزء الأوَّل)./ عبد المحسن بن محمد القاسم
- ط١. . - المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ

ص ٤٩٢، ١٧ x ٢٤سم

ردمك: ٩-٩٧٧٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١ـ خطبة الجمعة أ. العنوان

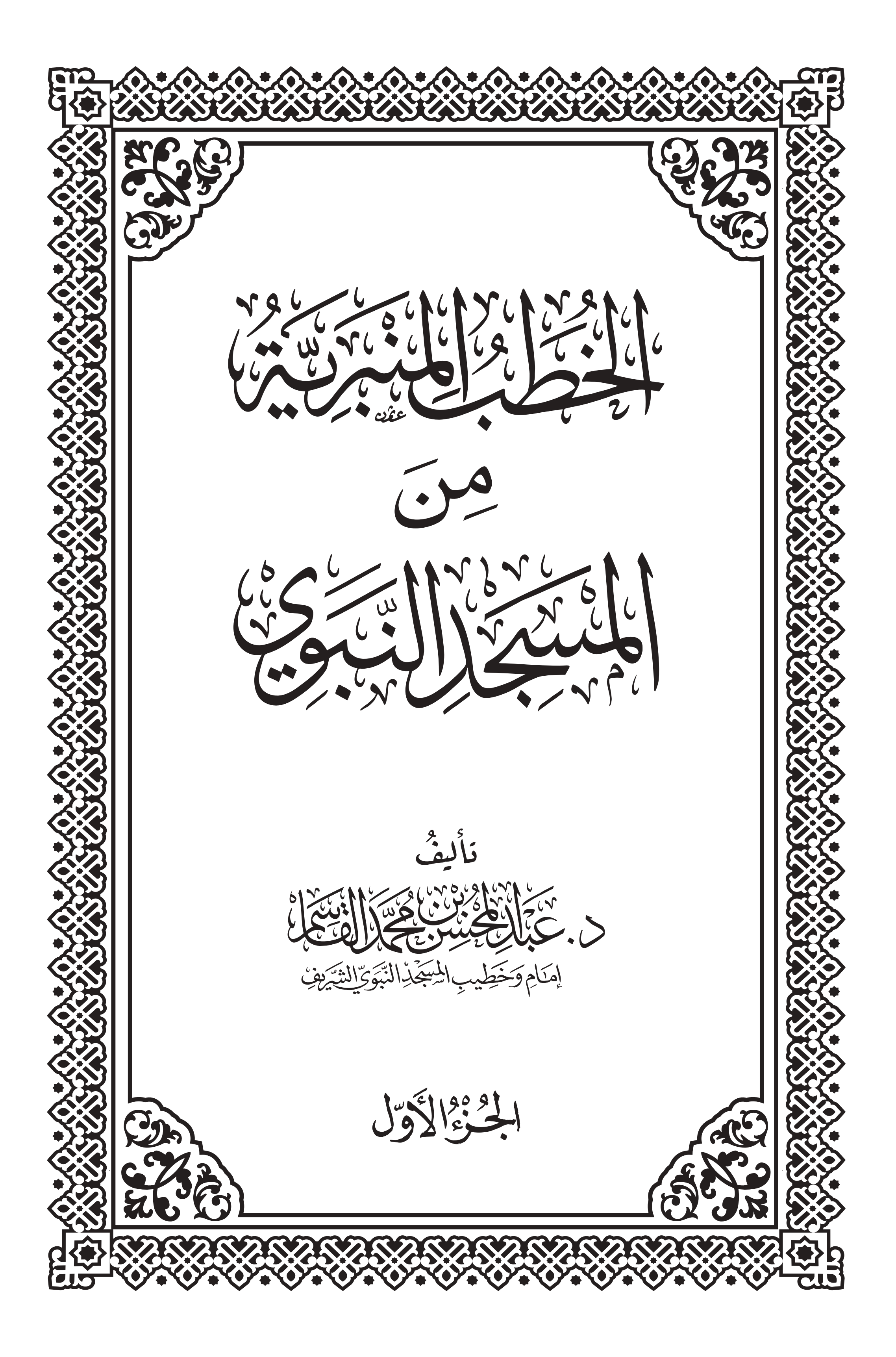
ديوي ٢١٣ ١٤٤٣/٤٥٨٨

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٤٥٨٨

ردمك: ٩-٩٧٧٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ ـ ٢٠٢٢م



الخطب المنبرية من المسجد النبوي

تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

الجزء الأول

يمكن تحميل هذه الخطب أو الاستماع لها على الرَّابط:
a-alqasim.com/khotab/



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

الحمدُ للَّه ربِّ العالَمِين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

فهذه مجموعةُ خُطَبٍ، ألقيتُها في المسجدِ النَّبويِّ من عامِ ألفٍ وأربعِ مئةٍ وتسعة عشرة (١٤١٩هـ)، إلى عام ألفٍ وأربعِ مئةٍ وثلاثةٍ وأربعين (١٤٤٣هـ)، وقد بلغت مِئَتَيْنِ وَخَمساً وَعِشْرِينَ (٢٢٥) خُطْبَةً، قسَّمتُها إلى ثمانيةَ عشرَ (١٨) باباً، وذلكَ على النَّحوِ الآتِي:

الباب الأوَّل: الإيمانُ باللَّه، وفيه ستَّة فُصول:

الفصل الأوَّل: التَّوحِيدُ.

الفصل الثَّاني: تَوحِيدُ الرُّبوبيَّة.

الفصل الثَّالث: تَوحِيدُ الأُلوهيَّة.

الفصل الرَّابع: تَوحِيدُ الأَسْماءِ والصِّفات.

الفصل الخَامِس: منزلةُ الإِسلام.

الفصل السَّادس: المِلَل.

الباب الثَّانِي: الإيمانُ بالملائكة والكُتُب، وفيه فصلان:

الفصل الأوَّل: الإيمانُ بالملائكة.

الفصل الثَّاني: الإيمانُ بالكُتُب.

الباب الثَّالِث: الإيمانُ بالرُّسل، وفيه فصلان:

الفصل الأوَّل: الأنبياء.

الفصل الثَّاني: نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ.

الباب الرَّابع: الإيمانُ باليومِ الآخِر، وفيه فصلان:

الفصل الأوَّل: أشراطُ السَّاعة.

الفصل الثَّاني: يومُ القِيَامة.

الباب الخَامِس: الإيمانُ بالقَضَاء والقَدَر، وفيه فصلان:

الفصل الأوَّل: التَّوكُّل.

الفصل الثَّاني: الصَّبر.

الباب السَّادس: الصَّلاة، وفيه فصلان:

الفصل الأوَّل: الصَّلواتُ الخَمْس.

الفصل الثَّاني: النَّوافِل.

الباب السَّابع: الزَّكاة، وفيه فصلان:

الفصل الأوَّل: الزَّكاة.

الفصل الثَّاني: الصَّدقة.

الباب الثَّامن عشر: المُنَاسَبَات، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأوَّل: الاسْتِسْقَاء.

الفصل الثَّاني: الخُسُوف، والكُسُوف.

الفصل الثَّالث: العِيدَان.

وقد سمَّيْتُها: «**الخُطَبُ المِنْبَرِيَّةُ مِنَ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ**».

أسألُ اللَّهَ أن ينفعَ بها، وأن يجعلَها ذُخراً لنا في الآخرة.

وصلَّى اللَّه وسلَّم على نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.





الباب الأوَّل

الإيمانُ باللَّه

وفيه ستَّة فُصول:

الفصل الأوَّل	:	التَّوحِيدُ.
الفصل الثَّاني	:	تَوحِيدُ الرُّبوبيَّة.
الفصل الثَّالث	:	تَوحِيدُ الأُلوهيَّة.
الفصل الرَّابع	:	تَوحِيدُ الأَسْماءِ والصِّفات.
الفصل الخَامِس	:	منزلةُ الإِسْلامِ.
الفصل السَّادس	:	المِلَل.

الفصل الأوَّل

التَّــوحِيــدُ

الهِدَايَةُ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومِن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آلِه وأصحابِه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّهِ - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه نجا، ومَنِ اتَّبع هواه غَوَى.

أيُّها المسلمون:

أَسبغَ اللَّهُ على عبادِه مِنَناً جليلة، وأعظمُ النِّعمِ وأعزُّها: نِعمةُ الهدايةِ لهذا الدِّين، وبفضلٍ منه اهتدى مُهتدون، وبِعَدلِه ضلَّ آخرون؛ قال سبحانه: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾.

والهدايةُ مِنحةٌ مِن الكريمِ لا تُسْدَى لكلِّ أحد، ولا تتحقَّق بالآمالِ والأماني، وقد تتخلَّفُ معَ وجودِ أسبابِها ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾، ولا نجاةَ مِن العذابِ ولا وُصولَ إلى السَّعادةِ إلَّا بِها، وهي

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الحادي عشَر من شهر رجب، سنة خمس وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

أجلُّ نِعمِ اللَّهِ الواجبِ شُكرُها؛ قال ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾، وطَلبُ الثَّباتِ عليها مِنْ أخصِّ أدعيةِ الصَّالحين ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾، ولا سبيل إلى الجنَّة إلَّا بسلوك طريق الهداية ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾.

وَرأسُ الأدعيةِ وأفضلُها الدُّعاءُ بالهداية؛ فإنَّه يَجمعُ صلاحَ العبدِ في الدِّينِ والدُّنيا والآخرةِ، وقد أُمِر المسلمُ بِأن يدعوَ ربَّه في كلِّ صلاةٍ بأِنْ يَمنحَهُ الهدايةَ، قال شيخُ الإسلام ﵀: «أَنْفَعُ الدُّعَاءِ وَأَعْظَمُهُ وَأَحْكَمُهُ: دُعَاءُ الفَاتِحَةِ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾؛ لِأَنَّ العَبْدَ إِلَى الهُدَى أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى الأَكْلِ وَالشُّرْبِ».

وكانَ النَّبيُّ ﷺ يأمرُ أصحابَه بِالدُّعاءِ بالهداية؛ يقولُ عليٌّ ﵁: «قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي**» (رواه مسلم)، وقال لجرير ﵁: «**اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيّاً**» (متفق عليه).

ومِنْ دعاء النَّبيِّ ﷺ: «**رَبِّ اهْدِنِي وَيَسِّرِ الهُدَى لِي**» (رواه الترمذي)، ولِعظَمِ شأنِها لم يَخْلُ قومٌ من هادٍ ونَذيرٍ وداعٍ إليها؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾، وفتْحُ القلوبِ بِيَدِ اللَّه وحدَه، فَلَيْس لِلخلقِ منها شيءٌ سِوى بَذلِ الأسبابِ ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

والجليسُ الصَّالحُ خيرُ عَونٍ لِلهداية؛ يُذَكِّرُكَ إذا نَسيتَ، ويُعينُك إذا ذَكَرْتَ، ويُظهرُ وُدَّك إذا حَضَرْتَ، ويحفظُكَ إذا تواريتَ، لا تَسمعُ منه إلَّا قولاً طَيِّباً، وفِعلاً حَسناً.

الصُّحبةُ الصَّالحةُ عبادةٌ مَمْزوجةٌ بالمُتعةِ والأُنْسِ، تَزدادُ بالإيمانِ والنُّصْحِ وحِفظِ السِّرِّ، حقيقتها جسد واحدٌ تَتعدَّدُ فيه القلوب، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**المُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ**» (رواه مسلم)، وللجليس تأثيرٌ على الدِّينِ والسُّلوكِ والآدابِ والأخلاقِ، والمرءُ يُعرفُ بِمُجالسِهِ؛ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُم مَنْ يُخَالِلُ**» (رواه أبو داود).

وقَرينُ السُّوءِ يدعوك إلى البُعدِ عنِ الطَّاعاتِ، ويُزَيِّنُ لك السَّيِّئاتِ، يَتتبَّعُ عثراتك، قريبٌ منك في السَّرَّاء، بعيدٌ عنك في الضَّرَّاء، ضررُه مُتجددٌ في صُورٍ شتَّى، حذَّرَ الإسلامُ من مُصاحَبَتِه ومِن مُجالَسَتِه، لا للمَعالي يُعْلِيك، ولا عن الدَّنايا يُجافِيك؛ لذا شَبَّهه النَّبيُّ ﷺ بِنافخ الكِيرِ الذي ينالُك أذاه على كلِّ حال؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «**مَثَلُ جَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ** - أَيْ: يُعْطِيَكَ -، **وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ** - أَيْ: تَشْتَرِيَ مِنْهُ -، **وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً**» (متفق عليه).

رَفيقُ السُّوءِ صُحْبَتُه حَسْرةٌ في الدُّنيا وندامةٌ في الآخرة؛ قال جَلَّ وعَلَا:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ

لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ۞ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾.

وحُضورُ مَجالسِ العلماءِ مِن مَواطنِ الهداية؛ في عِلمِهم وتعليمِهم زيادةُ إيمان، وعلى وجوهِهم سمتُ الصَّالحين، وعلى جوارِحِهم أَمَارة نَقاءِ السَّريرة، مَجالِسُهم تذكيرٌ بِسِيَر الأفذاذ من الأسلاف، وشَحذٌ دائمٌ لِلْهِمَمِ إلى الآخرة، في مُجالَستِهم خَيراتٌ متناثرة، وثمراتٌ يانِعة، فكُن أقربَ الناس إليهم في دَرْسِهم؛ تَرْتَشِف مِنْ مَعِينِ عُلومِهم، يقول ميمونُ بنُ مِهرانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَجَدْتُ صَلَاحَ قَلْبِي فِي مُجَالَسَةِ العُلَمَاءِ».

وإنَّ تَطْهيرَ القلبِ مِن أَدرانِ القَوادحِ، والحِفاظَ عليه مِن تَلْويثِه بالشُّبُهات أو تَدْنِيسِهِ بِوَحَلِ الشَّهوات؛ مِن أسبابِ الهداية، والشُّبْهَةُ إذا وَرَدَت على القلبِ ثَقُلَ استِئْصالُها، وثَنَتِ العبدَ عَنِ القُرْبِ مِنَ الرَّبِّ، والتَّطلُّعُ إلى المنكراتِ والشَّهواتِ في المَرْئيَّات والسَّمْعيَّات؛ يُظلِمُ القلبَ بِكثرةِ العِصْيانِ، ومَنْ تَعرَّضَ للشُّبُهات والشَّهَوات ثُمَّ طَلَبَ إصلاحَ القلبِ رَامَ مُمْتنِعاً، ورُبَّ عَثْرةٍ أَهلَكَت، ورُبَّ فارِطٍ لا يُسْتَدرَك، وفي زَمنِ تَنزُّلِ الوحي ومُلازمةِ الصَّحابةِ للنَّبيِّ ﷺ كان عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يخشى عليهم من الفِتَن، ويَنهاهُم عن القُرْبِ منها.

والنَّفْسُ طامعةٌ إذا أَطْمَعْتَها، منتهيةٌ إذا نَهيتَها، فأَلْجِمْها بلِجَامِ الأوامرِ والنَّواهي، وابتَعِدْ عن أسباب الفِتَنِ ومواردِها، فإنَّ المُقاربةَ منها مِحْنةٌ لا يَكاد صاحبُها ينجو منها، ومَنْ حَامَ حول الحِمَى يُوشِكُ أن يقعَ فيه، والانتصارُ على الشَّهواتِ تاجٌ على الهَامِ، ودَرْءُ الشُّبُهاتِ

وَقارٌ يَعلو النَّفْسَ، وصَونُ الجوارحِ عن المعاصي ثباتٌ - بإذن اللَّه - على الهداية، والاستسلامُ للْهوى والفراغِ من مَداخلِ الشَّيطانِ لِلغواية، والسَّعيدُ مَنِ اسْتَبَقَ الخيراتِ، ونَأَى بِنفسِه عمَّا يَضرُّه ولا يَنفعُه، وعَمِلَ بِوصيةِ النَّبيِّ ﷺ في قولِه: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ**» (رواه مسلم)، وعِمارةُ الوقتِ بِبرِّ الوالدين وصِلَةِ الرَّحِم وقضاءِ حوائجِ المسلمين عبادةٌ، والمعصيةُ تُورِدُ صاحبَها المَهالِكَ، والذي يَفُوتُ بِارتكابِ الخَطيئةِ من خَيرَي الدُّنيا والآخرة: أضعافُ ما يَحْصُلُ له من السُّرورِ واللَّذَّةِ بها.

والإكثارُ مِنَ الطَّاعاتِ مِنْ وسائلِ الثَّباتِ على الدِّين، ومِنْ أسبابِ حِفْظِ العبدِ لربِّه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ**» (رواه الترمذي)، وكان أفاضلُ البَشَرِ هُمُ القُدوةُ في التَّعبُّد؛ قال سبحانه عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وكان سَلَفُ الأُمَّةِ يُكْثِرون مِنَ التَّعبُدِ لِلَّه؛ قال ابنُ كثيرٍ عن ابنِ القَيِّم رحمهما الله: «وَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي زَمَانِنَا أَكْثَرَ عِبَادَةً مِنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ طَرِيقَةٌ فِي الصَّلَاةِ يُطِيلُهَا جِدّاً وَيَمُدُّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، وَيَلُومُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ فَلَا يَرْجِعُ وَلَا يَنْزِعُ عَنْ ذَلِكَ».

وكتابُ ربِّ العالمِين منارُ الهدى والصَّلاح: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾، والمداومةُ على تلاوتِه حِفظٌ - بإذن اللَّه - من الشُّرورِ والفِتَنِ، وحِصنٌ مِنَ الشُّبُهات والشَّهَوات.

وزيارةُ المقابرِ للعظة والعبرة سُنَّةٌ قائمةٌ تُذَكِّرُ بالآخرة، وتُعينُ على الاستقامةِ على أمرِ اللَّه والبعدِ عنِ المعاصي وعنِ الاغْترار بالأملِ؛ يقولُ ﷺ: «**فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الآخِرَةَ**» (رواه الترمذي)، ومَنْ جَعَلَ الموتَ بينَ ناظرَيْه صَلَحَتْ أحوالُه، والقلوبُ بين إِصبَعَيْنِ مِنْ أصابعِ الرَّحْمَنِ يُقلِّبُها كيفَ يشاء.

ولا شيءَ مِنَ الأسبابِ أنفعُ ولا أبلغُ مِنَ الدُّعاءِ في حُصولِ المطلوبِ؛ فتَضَرَّعْ إلى ربِّك في يومِكَ ولَيلتِكَ بأَنْ يَجْعلَكَ مِنْ عِبادِه الصَّالحين، وإذا رأيتَ أهلَ العصيانِ هُمُ الأكثرُ عدداً في الأرضِ فلا يُثْنِكَ ذلك عنِ التَّمسُّكِ بِهذا الدِّين، فسنَّةُ اللَّهِ قَضَتْ أنَّ أهلَ الفُسوقِ والمعاصي همْ أكثرُ عدداً مِمَّنْ يُطيعُ الرَّحمن؛ قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾، وانظر إلى الحقِّ ولا تنظرْ إلى العدد، فاللَّهُ وَصَفَ إبراهيمَ عليه السلام بأنَّه أُمَّةٌ وهو وحْدَه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾، يقولُ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمه الله: «لَا تَسْتَوْحِشْ مِنَ الحَقِّ لِقِلَّةِ السَّالِكِينَ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالبَاطِلِ لِكَثْرَةِ الهَالِكِينَ»، ومِنَّةُ اللَّهِ عليك بالصَّلاحِ مَعَ ضَلالِ كثيرٍ مِنَ الخلقِ ممَّا يزيدُك هدايةً في نفسِك، ويَحْمِلُك على دعوةِ غيرِك إلى الطَّريقِ المستقيم.

أيُّها المسلمون:

سنَّةُ اللَّهِ في هذه الحياة: ابتلاءُ مَنْ تَمَسَّكَ بهذا الدِّين؛ لِتَمْحِيصِ الصَّادقِ في الاستقامة؛ قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، ولقد سَخِرَ الكُفَّارُ من رُسُلِ اللَّه

إليهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

وكلُّ رَسُولٍ يُبْعثُ يُبْهَت بالسِّحْر ويُرمَى بالجنون: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾، وصَحَابةُ رسولِ اللَّه ﷺ سَخِرَ منهم أهلُ النِّفاق: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾، فَمَنِ استهزأَ باستقامتِك فَتِلْك منقبةٌ لك؛ رُمِيت بما رُمِي به خيرُ البشر، وبُشرى صدقٍ في الاستقامة، ولا تحزنْ فإنَّ دافعَ السَّاخرِ الهوى أو الجهل: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، والسَّاخرُ في عُمْقِ نفسِه يَتمنَّى الهدايةَ ولكنَّهُ لا يَملِكُها؛ قال سبحانه عن أهل الضَّلال: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾.

ومَنْ سَخِرَ منك فتَحَلَّ بما اتَّصفَ به الأنبياءُ من الصَّبر، ولا تُحْبِطْ عَمَلَك بالجَزَع أو الهَلَع، والزَمْ جانبَ العفوِ والحِلْمِ والأَنَاةِ والإعراضِ عمَّن آذاك؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾، والمُوفَّقُ مَنِ استنارَ بِنورِ الهداية، ودعا صاحبَ الخَطيئةِ إلى التَّوبةِ، وخَفَضَ جَناحَه لِمَنِ ابْتُلِيَ بِمعصيةٍ؛ بدعوته بحكمةٍ ولينٍ وَرَوِيَّةٍ.

أعوذُ باللَّهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ لِلَّهِ عَلَى إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

أسعدُ الخلقِ همْ أهلُ الهداية، وأوَّلُ الخيرِ الهدى، ومنتهاه الرَّحمةُ والرِّضوان، ومَنْ عَرَف الحقَّ واتَّبَعَه فقد هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم، ومَنِ اهْتدى جُلِبَت لَهُ السَّعادةُ والرِّزقُ والسُّرور، وأعانهُ اللَّهُ على الطَّاعةِ وتَرْكِ المعصية، فلم يُصِبْهُ شرٌّ لا في الدُّنيا ولا في الآخرة، ومَنْ تَمسَّكَ بنور الهداية زاده اللَّه نوراً: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًىۗ﴾، ومَنزِلتُك في الآخرةِ مَبْنِيَّةٌ على هذه اللَّحظاتِ التي تَعيشُها: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾، والسَّعيدُ مَنْ قَدَّم لنفسه صالحاً، والشَّقيُّ مَنْ أَتْبَع نفسَه هواها وتَمَنَّى على اللَّه الأماني.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّهَ أَمَرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الهِدَايَة يَمْنَحُهَا اللَّهُ لِمَنْ يُحِبُّ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفُسِنا ومِنْ سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابِه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

يفتحُ اللَّه على عبادِه نِعَماً متواليةً عليهم باللَّيلِ والنَّهار؛ يَنالُ بِفضلِه بعضُ عباده شيئاً منها، ويُحْرَمُ بِحكمتهِ وعدلِه منها آخرون، ونِعمةٌ مَنْ نالها فهو السَّعيد، ومَنْ فَقدَها توالت عليه الحسرات، واللَّهُ يصطفي من يشاء من عباده لها: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، ولا يَمْنَحُها إلَّا لمن يُحِبّ، لا ينفع في حصولها نسب؛ فمَنَعَ منها أبا لهبٍ القُرَشِيّ، ووَهَبَها لبِلَالٍ الحَبَشِيّ، ولا يُجدي في نَوالِها مال؛ حُرِمَ منها قارونُ - ذو الكُنُوز -، ووُفِّق لها أبو هُرَيْرَة - الذي يسقط في الطُّرقات من الجوع -، ولا يُدني منها حَسَبٌ؛ فأُبْعِد عنها فرعون، ومَنَّ اللَّه بها

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثاني عشَر من شهر ربيع الأول، سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

على جَارِيَةٍ صَغِيرةٍ سأَلَها النَّبيُّ ﷺ: «**أَيْنَ اللَّهُ؟** قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ» (رواه مسلم).

واللَّهُ سبحانه جعل هذه النِّعمة بيده وحده: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، وأنزل الكتبَ السَّماويَّة مِنْ أجلِها؛ قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾.

والرُّسلُ دَعَوْا ربَّهم أن يُديمَها عليهم؛ فقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وقال سليمان عليه السلام: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾، وأمر اللَّه جميعَ الرُّسلِ بها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾.

وسأل الأنبياءُ ربَّهم أن يَمْنَحَها لذرِّيَّاتهم؛ فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وقال زكريَّا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾، وكلُّ مُصلٍّ يَدعو ربَّه في كلِّ ركعةٍ من صلواته أن يكونَ من أهلِها ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

والشَّابُّ الذي نشأ في طاعة اللَّه يُظلُّه اللَّه تحت ظلِّ عرشِه، والمرأةُ تَتَميَّزُ عن غيرها بالدِّين؛ «**فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ؛ تَرِبَتْ يَدَاكَ**» (متفق عليه)، ولا نجاةَ مِنَ الهلاكِ إلَّا بالصَّلاحِ والإصلاح؛ قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، ومِنْ حِكَم البعثِ والنُّشورِ: مُجازاةُ الصَّالحين على ما قدَّموا؛ قال ﷻ: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾، وأوَّلُ كلام أهلِ الجنَّةِ إذا دخلوا الجنَّةَ:

شُكرُ اللَّهِ سبحانه على نعمة الهداية: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾.

والصَّالحون هم خيرُ الخلق عند اللَّه؛ قال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ أي: خيرُ الخلق.

والملائكةُ تدعو لِمَنِ استقامَ على هذا الدِّين؛ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وكلُّ مُصلٍّ يدعو في تَشهُّدِه لكلِّ صالح بالسَّلامة من الآفات والشُّرور؛ يقول: «السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ»، قال النَّبيُّ ﷺ: «فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» (متفق عليه).

واللَّهُ يتولَّى عبدَه الصَّالحَ ويحفظُه، ويكتُبُ له المحبَّةَ في الأرضِ وفي السَّماء، وحياتُه في الدُّنيا طيِّبة، ورزقُه بفضلِ اللَّه مُيَسَّرٌ، ورحمةُ اللَّهِ تتنزَّلُ عليه، قال جلَّ شأنه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾، وصلاحُ العبدِ قد يَصلُ نفعه إلى ذرِّيته؛ كما قال سبحانه عن اليَتيمَيْن: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾، وصلاحُ الأبناءِ يَنالُ الآباءَ، قال النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ - وَذَكَرَ مِنْهَا -: أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (رواه مسلم)، والصَّالح موعودٌ بالمغفرة والأجر الحسن وبجنَّات النَّعيم، قال النَّبيُّ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» (متفق عليه).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالتَّمسُّكُ بالدِّين وَصيَّةُ اللَّهِ لِرسولِه: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وفي زمنِ الفِتَن وكثرةِ الشُّبُهاتِ والشَّهَوات؛ يَظهرُ أَثَر الصَّلاحِ في السَّلامة منها.

ومَنْ مَنَّ اللَّه عليه بصلاح نفسه؛ فعليه أن يدعوَ الآخرين إلى هذا الخير العظيم، وأعظمُ ما يُدْعَى إليه: توحيدُ اللَّه سبحانه، إذْ لا صلاحَ لعبدٍ إلَّا به، سُئِل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **إِيمَانٌ بِاللَّهِ**» (متفق عليه).

وعِمارةُ المساجدِ بالصَّلاةِ وتلاوةِ القرآنِ وكثرةِ الذِّكرِ ولُزوم حِلَق العلم فيها؛ مِنْ أسباب الإعانة على الهداية: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾، ودعاءُ اللَّهِ سبحانه وطلبُ الهداية منه: مِنْ أقوى الأسبابِ في حُصولِها، والصُّحبةُ الصَّالحةُ خيرُ مُعينٍ على الطَّاعات، وتَدبُّرُ سِيرِ الأنبياء يَحْدو بالقلبِ إلى الآخرة، ومَنْ تَمسَّكَ بدينه؛ زادهُ اللَّه مِنَ الهُدَى والتُّقى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾.

وشرطُ قبولِ العمل الصَّالح: الإخلاصُ للَّه فيه، وأن يكون موافقاً لِهَدْيِ النَّبيِّ ﷺ، وعلى هذا النَّهجِ القويم سار الصَّحابةُ والتَّابعون، مُتمسِّكين بقوله عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ**» (رواه مسلم)، ومَنْ لم يكن عملُه خالصاً صواباً؛ فإنَّ عملَه يَضْمَحِلُّ،

والمسلمُ يُحِبُّ ربَّه فَيُفرِدُ عباداتِهِ كلَّها له، ويحبُّ نبيَّه فَيُطيعُ أمرَه، ولا يزيدُ على شرعه شيئاً، مُوقناً بأنَّ محبَّةَ اللَّهِ ومحبَّةَ رسولِه ﷺ هي من طاعته، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

وصلاحُ المُجتمعِ باستقامةِ الرِّجالِ والنِّساءِ فيه على دين اللَّه، ومِنْ صلاحِ المرأةِ: سِترُها، وعَفافُها، وقنوتُها لربِّها، ولزومُ حجابها؛ فهو عبادةٌ من أجلِّ العبادات لها، واللَّهُ سبحانه تولَّى شأنَ المرأةِ؛ لِتَبْقَى مَصُونةً مَحْفُوظة، فقال عن حديثِها: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾، وقال مرشِداً لها في مِشْيَتِها: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾، وأمَرَها بعدمِ إبداءِ زينتها كما أمرها بِسترِ وجهها، فقال: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، ونهى الرِّجالَ عن النَّظَر إليها، فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾.

فالتَّمسُّكُ بالدِّينِ: طريقُ الجَنَّةِ والحياةِ الطَّيِّبة، والأَخْذُ بسُنَّة النَّبيِّ ﷺ والعَضُّ عليها بالنَّواجذ: سبيلُ الفائزين.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنه، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

يَصْلُح العملُ ويُرْفعُ إلى اللَّهِ بالإخلاصِ والمتابعةِ، وإذا استقامت النَّفسُ على دينِ اللَّه فثَناءُ المرءِ على نفسِه بالصَّلاح مذموم؛ قال سبحانه: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾، والمؤمنُ لا يَرى عَمَلَه الصَّالحَ كثيراً؛ بل يَسْتَقِلُّه؛ لأنَّ نعمَ اللَّه عليه أجلُّ وأعظمُ، والنَّبيُّ ﷺ كان يقومُ اللَّيلَ حتى تَتفطَّرَ قَدَمَاه، ويقول: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟**» (متفق عليه)، فاجتهدوا في امتثال أوامرِ اللَّه واجتنابِ نواهيه، والبُعد عن الشُّبُهات.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَهمِّيَّةُ التَّوحِيد[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فبالتَّقوى تَسْتَنِيرُ البصائرُ والقلوبُ، وتُحَطُّ الخطايا والذُّنوب.

أيُّها المسلمون:

لقد مَنَّ اللَّه علينا بدين موافقٍ للفِطَر القويمةِ والعقولِ السَّليمة، صالحٍ لكلِّ زمان ومكان، جامعٍ بين العلمِ والعبادة، وبين القولِ والعملِ والاعتقاد، لا يقبلُ اللَّهُ من الخلائق ديناً سواه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

في هذا الدِّين كلمةٌ مَنْ قالها صادقاً من قلبه وعَمِل بِمقتضاها مبتغياً بذلك وجهَ اللَّه؛ دخل الجنَّةَ بِلا حسابٍ ولا عذابٍ: «لا إله إلَّا اللَّهُ» هي

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع والعشرين من شهر ذي الحِجة، سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

أَطيبُ الكلام، وأفضلُ الأعمال، وأعلى شُعَبِ الإيمان، مَنْ قالها حقّاً ارْتَقَى إلى أرفعِ منازلِ الدِّين، والنُّطقُ بها لا يكفي للدخول في الإسلام أو البقاءِ عليه، بل يجبُ مع ذلك أن يكون المسلمُ عالماً بمعناها عاملاً بمقتضاها؛ مِن نَفْيِ الشِّرك وإثبات الوحدانيَّة للَّه، معتقداً صِحَّة ما تضمَّنَتْهُ واقتضته.

والمسلمُ صادقٌ في إيمانه وعقيدته، مُسْتَسْلمٌ للَّه في الحكمِ والأمرِ والشَّرعِ والقدر، لا يُنْزِلُ حوائجَه إلَّا باللَّه، ولا يَطلُبُ تفريجَ كروبه إلَّا منه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ودعاؤُه وحدَه سبحانه عبادةٌ جليلةٌ مِنْ أفضلِ العبادات؛ قال ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ» (رواه أحمد)، ويقول ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «أَفْضَلُ العِبَادَةِ: الدُّعَاءُ».

وإذا حلَّتْ بك الحوادثُ والكروب، وأُغلقت في وجهِك المسالكُ والدُّروب؛ نادِ العظيمَ؛ فإنَّ مَنْ سأله أعطاه، ومَنْ لَاذَ به حَماه؛ يقول عليه الصَّلاة والسَّلام لابن عبَّاس رضي الله عنهما: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» (رواه الترمذي).

ولا تَستنْكِفْ عن سؤالِ ربِّك ما قلَّ من الأمور؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «سَلُوا اللَّهَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الشِّسْعَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ» (رواه

أبو يعلى)، وأمَّا الميِّتُ والغائبُ فإنَّه لا يَمْلِك لنفسه نفعاً ولا ضَرّاً فضلاً عن نَفْعِ غيره، والميِّتُ مُحتاجٌ إلى من يدعو له كما أمرنا النَّبيُّ ﷺ إذا زُرْنا قُبورَ المسلمين أن نَترحَّمَ عليهم وندعوَ لهم لا أن يُسْتَغَاثَ بهم.

وربُّنا سبحانه مُتَّصفٌ بالسَّمع والبصر، ومِن القَدْحِ في رُبُوبِيَّته: التَّنقُّصُ لألوهيَّته؛ أن تَجعلَ بينك وبينه وسائطَ في الدُّعاء والمسألة، وهو القائل: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾، وممَّا يُناقِضُ كلمةَ الإخلاص إراقةُ الدِّماء لغير اللَّه: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

والطَّوافُ بالبيتِ العتيقِ عبادةٌ مُتضمِّنةٌ للذُّلِّ والخُضوعِ لربِّ البيت: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾، والطَّوافُ لغير اللَّهِ مِن الأضرحةِ والقبورِ مُوجِبٌ للحرمان من الجنَّة.

والحَلِفُ باللَّه صِدْقاً في مَواطنِ الحاجةِ مِنْ تَعظيمِ ربِّ العالَمِين، والحلفُ بغيره استخفافٌ بجَنَابِ الباري جَلَّ وَعَلَا؛ لذلك يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**» (رواه الترمذي).

ومَنِ اتَّخذَ حُرُوزاً؛ لِدفْعِ العين عنه، أو جلب النَّفع له؛ فقد دعا عليه المصطفى ﷺ؛ بأن لا يُحقِّقَ اللَّهُ له مُبتغاه، وبأن يُصابَ بضدِّ ما قَصَدَه، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ**» (رواه أحمد)، وقد أمسك النَّبيُّ ﷺ عن بيعة مَنْ علَّق التَّمائمَ؛ يقولُ عُقْبةُ بن عامرٍ الجُهنيُّ رضي الله عنه: «أَقْبَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَهْطٌ، فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ

وَاحِدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا؟ قَالَ: **إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً**؛ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا فَبَايَعَهُ، وَقَالَ: **مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ**» (رواه أحمد).

فَعِندَ الشَّدائدِ والأحزانِ الجأْ إلى الواحدِ الدَّيانِ، فَنِعْمَ المُجيبُ هُو، ومَنْ تَعَلَّقَتْ نَفْسُه باللَّه، وأنزل به حوائجه والْتَجَأَ إليه وفوَّضَ أمرَه كلَّه إليه؛ كفاه كلَّ سُؤْلِه، ويسَّرَ له كلَّ عسير، ومَنْ تعلَّق بغيره أو سكن إلى عِلْمِهِ وعَقْلِه وتمائِمه، واعتمد على حوله وقُوَّته؛ وَكَلَهُ اللَّه إلى ذلك وَخَذَلَهُ، قال في تيسيرِ العزيزِ الحميد: «وَهَذَا مَعْرُوفٌ بِالنُّصُوصِ وَالتَّجَارِبِ».

ومِنْ مَعَاوِلِ هَدْمِ الدِّين: إِتْيانُ السحَرة والمُشعوذين، وسُؤالُ الكُهَّان والعرَّافين؛ قال ﷻ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وفي الحديث: «**مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**» (رواه أحمد).

ومَنْ سألَ السَّحَرةَ الكَيْدَ بالآخَرين، عاد وبالُ مَكْرِه عليه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾، والظُّلْمة لا تُدفَعُ بالظُّلمة، ودَهْماء السِّحرِ يُدفعُ بِنور القرآنِ لا بسحرٍ مثلِه ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

فحافظْ - أيُّها المسلمُ - على عَقيدتِك؛ فهي أَنْفَسُ ما تَمْلِك، وأعزُّ ما تدَّخر، والشرك يُطْفِئُ نورَ الفِطرةِ، وهو سببُ الشقاءِ وتَسَلُّطِ الأعداء.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

فالرُّكنُ الثَّاني بعد الشَّهادتَين: الصَّلاةُ، وهي أوَّلُ ما يُحاسَبُ عنه العبدُ يومَ القيامة، فلا تَتَهاونْ بها معَ جماعةِ المسلمين، ولا تُؤْثِرِ الكسلَ على طاعةِ ربِّ العالمين، ولا تَزْهَدْ فيما أعدَّه اللَّه للمحافظين عليها مِن جَزِيلِ الأُعْطِيات، وعلى قَدْرِ صِلَةِ العَبدِ بربِّه تَنفَتِحُ له الخيراتُ، وتَجَنَّبِ الذُّنوبَ والأوزارَ فإنَّها تَثْقُلُ عليك الطَّاعات.

وفي الدَّعوة إلى اللَّه إعزازٌ لدِين اللَّه، واقتداءٌ بالأنبياء والمرسلين، وهي أحسنُ القول وأكرمُه، وتَحَسَّسِ الدَّاءَ، وَضَعِ الدَّواءَ المناسبَ له، واعْرِفْ حَالَ المَدْعُوِّين وما يَحْتَاجون إليه، وتَحَمَّلْ هَمَّ الناس ولا تُحَمِّلِ الناسَ هُمُومَك.

وأَكْثِرْ من التَّوبةِ والاستغفار، فالعِبرةُ بِكمالِ النِّهايةِ لا بنقصِ البداية، وآيةُ قَبُولِ الحسنةِ: إتباعُ الحسنةِ الحسنةَ، يقولُ قتادةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ، فَأَمَّا دَاؤُكُمْ فَالذُّنُوبُ، وَأَمَّا

دَوَاؤُكُمْ فَالِاسْتِغْفَارُ»، وهو سببُ دخولِ الجنَّات، وزيادةِ القوَّةِ والمتاعِ الحسنِ، ودفعِ البلاء، يقولُ أبو المِنْهالِ ﵀: «مَا جَاوَرَ عَبْدٌ فِي قَبْرِهِ مِنْ جَارٍ أَحَبَّ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

التَّمسُّكُ بالتَّوحِيدِ[١]

الحمدُ للَّه المتفرِّدِ بالكمالِ والبقاء، والعزِّ والكبرياء، الموصوفِ بأحسن الصِّفاتِ والأسماء، المنزَّهِ عن الأشباه والنُّظَرَاء، أحمدُه سبحانه على ما أَسْدَى وأَوْلى.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، عالمُ السِّرِّ والنَّجوى.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ بالمَحجَّةِ البيضاءِ والشَّريعةِ الغَرَّاء، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه الأتقياء، صلاةً وسلاماً دائِمَين مُتلازِمَين إلى يوم البعث والجزاء.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّهَ - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واعمَلُوا ليومٍ تَنكَشِفُ فيه السَّرائر، وتَظْهَرُ فيه مُخَبَّآتُ الصُّدورِ والضَّمائر.

أيُّها المسلمون:

لقد كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحدةً على الحقِّ بما أَودعَ اللَّه فيهم من فطرةِ الإسلام، وبما عَهِد إليهم مِنَ الهدى والبيان، فلمَّا طالَ عليهم الأَمَدُ اندَثرت عندهم معالمُ الحَنِيفِيَّة، وَسَرَت فيهم شوائبُ لوَّثت العقيدة

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع والعشرين من شهر ذي القَعدة، سنة تسع عشْرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وكدَّرت صفاءَها ونقاءَها، فوقعوا في الشِّرك وصرفوا أنواعاً من العبادة لغير اللَّه، فتَمَزَّقت وحدتُهم واختلفت كلمتُهم، فبعث اللَّه النَّبِيِّين مُبشِّرين ومنذرين؛ لئلا يكونَ للنَّاس على اللَّه حُجَّةٌ بعدَ الرُّسل، وبُعِثَ نبيُّنا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم إلى أُمَّةٍ كانت تَعيشُ في جاهليةٍ جهلاء، وضلالةٍ عمياء؛ الشِّركُ أساسُ دينِها، والأوثان أربابُها وساداتُها، فدعاهم إلى الدِّين الحنيف الذي قامت عليه الأدلةُ وأوضحتْه الآياتُ وأثبتَتْه البراهينُ.

والعقيدةُ - عبادَ اللَّه - يُخَاطَبُ بها المؤمنون؛ ليزدادوا إيماناً معَ إيمانِهم؛ كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾، وليطمئنوا إلى تحقيقِ دِينِهم وليحْذَروا النَّقصَ أو الخَلَلَ فيه؛ بل لقد خاطبَ اللَّهُ أنبياءَه ورسلَه بِنَبْذِ الشِّركِ والبراءةِ منهُ ومِنْ أهلِه - وحاشاهم أن يفعلوا ذلك -؛ فقال ﷻ: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِى شَيۡـًٔا وَطَهِّرۡ بَيۡتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾، وقال ﷻ لِصَفْوَةِ خلقِه مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، وقال له أيضاً: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ﴾.

وخُوطبَ بِها أهلُ الضَّلالة لِيَسْلُكُوا طريق الهدى؛ فقال جلَّ شأنه: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾.

ولا غَرْوَ في ذلك - أيُّها المسلمون -؛ فإفرادُ اللَّه بالعبادةِ أصلُ الدِّينِ ومِلاكُ الأمر، عليه نُصِبَتِ القِبْلَةُ وأُسِّسَت عليه المِلَّة، إنه أولُ أمرٍ في كتاب اللَّه، والنَّهي عن الشِّركِ أوَّلُ نهي في كتابه؛ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

والدُّخولُ في دين اللَّه لا يَصِحُّ إلَّا بإعلانِ وَحدانيَّة اللَّه، وهو آخِرُ ما يَخرجُ به المسلمُ من الدُّنيا؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» (رواه مسلم)، الوقوعُ في ضدِّه أعظمُ من قتلِ الأولاد، يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ؟ قَالَ: **أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ**، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**» (متفق عليه)؛ لذا تأكَّد النَّهيُ عن الشِّركِ في القرآن وتكرَّرَ الأمرُ بالتَّوحيد؛ أبدى اللَّهُ فيه وأعاد، وضربَ لذلك الأمثال.

والأمرُ بعبادةِ اللَّه أولُ دعوةِ الرُّسل؛ بَدَأَ الخليلُ دعوتَه لأبيه بذلك: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾، ودعا نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ النَّاسَ إلى التَّوحيدِ عشرَ سنين قبلَ فرضِ الفرائض تعظيماً لشأنِه.

وأرشدَ ﷺ الدُّعاةَ إلى أن يكونَ الأمرُ بالتَّوحيد أوَّلَ دعوتِهم، يقولُ النَّبيُّ ﷺ لمعاذٍ رضي الله عنه لمَّا بَعثَهُ إلى اليمن: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ؛ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ**» (متفق عليه).

وإمامُ المُوحِّدين إبراهيمُ عليه السلام دعا ربَّه بقوله: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، قال إبراهيمُ التَّيمي رحمه الله: «وَمَنْ يَأمَنُ مِنَ البَلَاءِ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ؟!».

ولقد وصَّى الأنبياءُ بَنِيهم بالثَّباتِ على الدِّين الصَّحيح والعقيدةِ الصَّافية حتى الممات ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، وعنه سأل الأنبياءُ ذرِّيَّاتِهم وهم على فراشِ الموت ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

أيُّها المسلمون:

الهدايةُ أجلُّ المطالب، ونيلُها أشرفُ المواهب، وسلامةُ المعتَقد؛ الملاذُ الآمنُ عند الشَّدائد: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، والالتجاءُ إلى اللَّهِ وحدَه هو السَّبيلُ عند طُوفانِ الفِتَنِ والمِحَن والكروب؛ قال اللَّه عز وجل: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

نَقاءُ العقيدةِ يُصحِّحُ النيَّةَ، ويُلجِمُ الهوى ويُبارِكُ في العملِ ويُخلِّدُ الذِّكرَ؛ فأين سيرةُ أبي جهلٍ من أبي بكر؟! وأين بلالٌ في النَّسب من أبي لهب؟! خسارةُ الدِّين لا تُقبلُ فيها الفديةُ ولو من ذهبٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾.

أيُّها المسلمون:

مِنْ أجْلِ التَّوحيدِ بُني بيتُ اللَّه العتيقُ، تَتَعاقبُ الأجيالُ على حجِّه، ويَتنافسُ المسلمون في بلوغِ رحابِه؛ ففي جوارِه الإيمانُ وفي رحابِه الأمنُ والاطمئنان ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾، وفي شِعارِ الحجِّ نَفيُ الشَّريكِ عن اللَّه: «**لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**»، وخيرُ دعاءِ يوم عرفةَ: رفعُ التَّوحِيد؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» (رواه الترمذي).

والتَّوحِيدُ الخالصُ هو لُبَابُ الرِّسالاتِ السَّماويةِ كلِّها، وأساسُ المِلَّة، وهو الحقيقةُ التي علينا أن نَغارَ عليها ونَصونَها من كلِّ شائبة؛ قال اللَّه سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

عبادَ اللَّه:

على كَلِمةِ الإخلاصِ والمِلَّةِ أقامَ المصطفى ﷺ دعوتَه، وجَعلَها إبراهيمُ عليه السلام باقيةً في عَقِبه، وما نَطقَ النَّاطقون أَحْمدَ مِنْ «لا إله إلَّا اللَّه»؛ العملُ بها ثَمنُ الجنَّة، لو وُزِنتْ بالسَّمواتِ والأرضِ لَرَجَحَتْ بِهنَّ، قال ابنُ عُيَيْنَةَ رحمه الله: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِنَ العِبَادِ نِعْمَةً أَعْظَمَ مِنْ أَنْ عَرَّفَهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

هذا، وإنَّ نُطْقَ اللِّسانِ بِها لا يُجدِي إلَّا لِمَنْ عَرَف مَدلولها نَفياً وإثباتاً، وحقَّق شُروطَها بالعلمِ واليقينِ بمعناها، والإخلاصِ والصِّدقِ بالعمل بها، والمَحبَّةِ والانقيادِ والقَبولِ لِمَا دلَّت عليه، والكفرِ بما يُعبد من دون اللَّه.

أيُّها المسلمون:

التَّوحِيدُ والشِّركُ: ضِدَّان؛ لا يجتمعانِ - كاللَّيلِ والنَّهارِ -، فمتى وُجِدَ الشِّركُ انتفى الإيمان.

ولقد شرَّفَك ربُّك وصانك عن إذلالِ قلبِك ووجهِك لغيره، وهو يدعوك إلى الإقبالِ إليه؛ فَوَجِّهْ قلبَك إليه وحدَه، ولا تَخفِضْ طرْفَك إلى الثَّرى، ولا تدعُ غيرَ ربِّ الأرضِ والسَّماء، وأين مَنْ يدعو الحيَّ الذي لا يموتُ ممَّن يدعو ميتاً ويَتعلَّق بالرَّمِيم والعظام النَّخِرة في القبور؟!

أيُّها المسلم:

إيَّاكَ والذَّبحَ لغير اللَّه، فإنَّ الذَّبحَ عبادةٌ للَّه وحدَه، والذَّبحَ لغيره شركٌ؛ فاللَّهُ ربُّك الذي خَلقَك وهو الذي رَزَقَك الحيوانَ الذي تَذْبَحُه؛ فلا تَنحرْه إلَّا لِمَنْ خَلقَك وخَلَقَه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾.

ولا تَحلفْ إلَّا باللَّهِ ﷻ؛ فاللَّهُ الذي أنطقَك، فاشكره وحدَه ولا تَحلفْ بِغيره؛ فلا تَحلِف بنبيٍّ ولا وليٍّ ولا بِنعمةٍ ولا بحياةِ مخلوق؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغيرِ اللَّهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» (رواه الترمذي).

والحِلَقُ والخُيوط والتَّمائمُ مخلوقةٌ جامدة، وأنت مخلوق حيّ، فَارْبَأْ بنفسِك أن تَخْفِضَ من شأنِك بعد أن أعزَّك اللَّهُ ورَفَعَك، لا تَلْجأْ إلى جَمادٍ فتَحْمله على صدرِك أو ساعِدِك بدعوى دفع الشَّرِّ وجَلْبِ الخير ودَرْءِ العين واللَّهُ تعالى يقول: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾، ويقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ**» (رواه أحمد)، وتَعلَّقْ به وحدَه وفَوِّضْ جميعَ أُمورِك إليه.

أيُّها المسلمون:

لقد جَهِل بعضُ النَّاسِ الحكمةَ التي مِنْ أجلِها خُلِقوا، فَتَقَاذَفَتْهُم الأهواءُ واستولت عليهم الفِتَنُ والأَدواء، فافْتُتِن بعضُهم بالسَّحَرة والمُشَعْوِذِين والأَفَّاكِين، بدعوى مُكاشفة الغيبِ والتَّطلُّعِ إلى المُستقبَل، ولم يَجْنُوا من وراء ذلك إلَّا التَّضليل وبَعثرةَ الأموالِ في الباطل، وقد أبانَ اللَّهُ الحقَّ في ذلك بقوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾، ويقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**» (رواه أحمد).

وافتُتِن بعضُ النَّاسِ بما يُسمُّونه الطَّالعَ والأَبْراج، والحظَّ وتحضيرَ الأرواحِ، وقراءةَ الكفِّ؛ فأُصيبوا بِسَيل الأوهام وعدمِ الرِّضا بالقَدَر، قال ﷻ: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾.

عبادَ اللَّه:

الإخلاصُ تاجُ العمل؛ ومَنْ أشركَ معَ اللَّهِ غيرَه فاللَّهُ أغنى

الأغنياءِ عن الشِّركِ ولا يرضى لعباده الكفرَ، فيا ويح المُرَائين! لا للدُّنيا جَمَعُوا ولا للآخرة عَمِلوا، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**» (متفق عليه).

لقد ضاعت آمالُ المُرَائِين، وخاب سَعْيُهم، فُضِحوا في الدُّنيا، ولم يَجِدُوا لهم في الآخرة جزاءً حسناً، فاحذرِ الرِّياءَ والسُّمْعَةَ؛ فإنَّ أوَّلَ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يومَ القيامةِ المُرَاؤُون بأعمالهم.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه الذي بنعمته اهتدى المهتدون، وبعدلِهِ ضلَّ الضَّالُّون، أَحْمدُه سبحانه حَمْدَ عبدٍ نزَّه ربَّه عمَّا يقولُ الظَّالمون.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وسبحان اللَّهِ ربِّ العرشِ عمَّا يصفون.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه وخليلُه، الصَّادقُ المأمون، اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابِه الذين هم بهديه مستمسِكون، وعلى هديه سائرون.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

فليسَ الإيمانُ بِضاعةً مُزْجَاةً أو مجرَّد دعوى وألقاب، إنَّما الإيمان الحقّ: اعتقادٌ سليم، وعملٌ صحيح، ولاءٌ وبَرَاء، مظهَرٌ ومخبَر، بذلٌ للنَّدى، وكفٌّ عن الأذى.

وتحقيقُ التَّوحيدِ يحتاجُ إلى يَقَظَةٍ قَلْبِيَّةٍ دائِبَةٍ دائمةٍ، تَنْفِي عن النَّفْس كلَّ خاطرة تَقْدَحُ في العُبوديَّة للَّه.

ومَنْ وقع في مهاوي الشِّركِ الأكبرِ؛ فطلب مِنَ الموتى زوالَ فقرٍ أو مرضٍ، أو طلَبَ منهم جَلْبَ نَفْعٍ - كَحُصُولِ مالٍ أو ولد -، أو استعانَ بأصحابِ الأَضرحةِ والمقبورين، أو طافَ أو نَحَرَ أو نذر لها؛ فقد هَضَم جَنَابَ الرُّبوبيَّة، وَتَنَقَّصَ الألوهيَّة، وأساءَ الظَّنَّ بِرَبِّ البَرِيَّة،

وارتكب أعظمَ ذنبٍ عند اللَّه، وحُرِّمت عليه الجنَّة، وخُلِّدَ في النَّار؛ يقولُ ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

فاسلُكْ مسلَكَ الحقِّ، وانهَجْ منهَجَ الرُّشد، واجتهدْ في المحافظة على عقيدتك؛ فإنه لا يُنْجِي من عذابِ اللَّهِ إلَّا اللَّهُ، ولا يُنالُ ما عند اللَّهِ إلَّا بالإخلاصِ له وحدَه وبما شَرَعَ لعباده أنْ يَتْقَرَّبوا به إليه.

والتَّوحِيدُ بابٌ للأمل عند ظُلمةِ الحياة، ولن تَنالَ مُرادَك حتى تُفرِدَ الواحد الأحدَ بِجميعِ أقوالِك وأعمالِك؛ فهو الَّذي يَبعثُك ويُحَاسِبُك على عَمَلِك: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾، وكلُّ النَّاسِ إلى ربِّهم يَرْجِعُون.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

ثَمَراتُ التَّوحِيد[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التقوى؛ فتقوى اللَّه طريقُ الهدى، ومُخالفتُها سبيلُ الشَّقاء.

أيُّها المسلمون:

تفرَّدَ اللَّهُ بالوحدانيَّة، ونزَّه نفسَه سبحانه عن الشَّريكِ والمَثيلِ والنَّظِير، وأمرَ عبادَه أن يعبُدوه وحدَه ونوَّع لهم العبادات، وجعلَ إفرادَه بالعبادة أصلَ الدِّين وأَسَاسَهُ وأوَّلَ أركانه، وهو جِماعُ الخير، ولا تُقبلُ حسنةٌ إلَّا به، والعملُ القليلُ معه مُضاعَفٌ، وبدونِه الأعمالُ الصَّالِحةُ حابِطةٌ وإنْ كانت أمثالَ الجبال.

وهو أَوَّلُ دعوةِ الرُّسُلِ وخُلاصتُها، ومِنْ أَجلِه بُعِثوا؛ قال سبحانه:

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع من شهر جمادى الآخرة، سنة أربع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

وكلُّ آيةٍ في كتابِ اللَّه صَرِيحةٌ فيه أو دالَّةٌ عليه، أو في واجِباتِه أو ثوابِه أو في ضِدِّه، وأولُ أمرٍ في كتابِ اللَّه: الأمرُ به؛ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ أي: وحِّدوه.

وفي كلِّ صلاةٍ يُعاهِدُ المُسلمُ ربَّه على القيام به: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ أي: لا نعبدُ سِواك ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

وهو حقُّ اللَّه على عبادِه، وأوَّلُ واجبٍ عليهم من التَّكالِيف؛ قال ﷺ لمُعاذٍ رضي الله عنه: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: عِبَادَةُ اللَّهِ**» (متفق عليه)، وأوَّلُ ما يُسأَلُ عنه العبدُ في قبرِه: «**مَنْ رَبُّكَ؟** - أَيْ: مَنْ مَعْبُودُكَ؟ -».

ولأهمِّيَّتِه ولكونِهِ لا طريقَ لِرضا الرَّبِّ إلَّا به دعا إمامُ الحُنفاء لنفسِه ولذرِّيَّتِه بالثَّبات على التَّوحِيد، فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾، ودعا يوسفُ عليه السلام ربَّه فقال: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

ومن دُعاء نبيِّنا ﷺ: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**» (رواه أحمد).

وهو وصيَّةُ المُرسَلين: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

ونَهْجُ الرُّسُلِ تعليمُه لِأولادهم وسُؤالُهم عنه وهم في سَكَرات الموت؛ قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

وكان النَّبيُّ ﷺ يُعلِّمُ غِلمانَ الصَّحابةِ التَّعلُّقَ باللَّهِ وحدَه دون ما سِواه؛ قال لابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**» (رواه الترمذي).

وأمرَنا اللَّه أن لا نموتَ إلَّا عليه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

بإفراد العبادة للَّه يَنشرِحُ الصَّدرُ، ويَطمئنُّ القلبُ، ويَتحرَّرُ من عبوديَّة الخلقِ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ﴾.

وبه تُفرَجُ الهُموم وتُكشَفُ الكُروب: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، قال ابن القيِّم رحمه الله: «مَا دُفِعَتْ شَدَائِدُ الدُّنْيَا بِمِثْلِ التَّوْحِيدِ».

يُزيلُ الغِلَّ ويُصلِحُ القلبَ؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَداً: إِخْلَاصُ العَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الأَمْرِ، وَلُزُومُ الجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ**» (رواه أحمد).

وهو سببُ الحياة الطَّيِّبَة؛ بل لا سعادةَ في الدُّنيا إلَّا به؛ قال

سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾.

وهو قِوامُ الحياة التي تطلبُها النُّفوس: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.

وهو الَّذي يُوحِّدُ المُسلمينَ - عربَهم وعجمَهم، شَرقَهم وغَربَهم - ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾.

كلمةُ التَّوحِيد كلمةٌ طيِّبةٌ شامِخةٌ، أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السَّماء، هي كلمةُ اللَّه العُليا، وبها كلَّم اللَّه مُوسَى كِفاحاً من غير واسِطة: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾.

ولا شُعبةَ أعلى منها في الإيمان؛ قال ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ: بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» (رواه مسلم).

هي أزكى الكلامِ وأثقَلُ شيءٍ في المِيزان، وتعدِلُ عِتقَ الرِّقاب، وحِرزٌ من الشَّيطان في كلِّ يوم؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ**» (متفق عليه).

«لا إله إلَّا اللَّه» ما تعطَّرَتِ الأفواهُ وتحرَّكَتِ الشِّفَاهُ بأحسنَ منها؛ قال ﷺ: «خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (رواه الترمذي).

كلمةٌ خالِدةٌ وَعَدَ اللَّه أن يبقَى في النَّاسِ مَنْ يقولُها ويدعُو إليها؛ قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾.

هي القولُ الثَّابتُ، مَنْ تمسَّك بِها ثبَّتَه اللَّه في الدُّنيا والآخرة؛ قال ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

وأكملُ الخلقِ أكملُهم للَّه عُبوديَّةً، وعلى قدرِ تَحقيقِ التَّوحِيدِ يكونُ كمالُ العبدِ وسُمُوُّ مكانتِه، واللَّه يُدافِعُ عن المُوَحِّد في دينِه ودُنياه، وأرجَى من يَحظَى بمغفرةِ اللَّه هو المُوَحِّد؛ قال اللَّه في الحديث القدسي: «لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» (رواه الترمذي)، قال ابن رجبٍ ؒ: «فَالتَّوْحِيدُ هُوَ السَّبَبُ الأَعْظَمُ؛ فَمَنْ فَقَدَهُ؛ فَقَدَ المَغْفِرَةَ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ فَقَدْ أَتَى بِأَعْظَمِ أَسْبَابِ المَغْفِرَةِ».

والشَّيطانُ لا سبيلَ له إلى المُوَحِّد: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وبقدرِ توحيدِه تزدادُ مُدافعةُ اللَّهِ عنه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾، ومَنْ حقَّقَ توحيدَ اللَّهِ فاللَّهُ حافظٌ له من المُوبِقات والفواحِش، قال عن يُوسف ؏: ﴿كَذَٰلِكَ

﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُلَّمَا كَانَ القَلْبُ أَضْعفَ تَوْحِيداً وَأَعْظَمَ شِرْكاً كَانَ أَكْثَرَ فَاحِشَةً».

والمُوَحِّدُ عليه في الحياة الدُّنيا السَّكينةُ والطُّمأنينةُ، وآمِنٌ فيها بِقَدْرِ إيمانِه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾.

والأمواتُ ينتفِعون بدعواتِ المُوَحِّدين، ولا تُقبَلُ في صلاة الجنائزِ إلَّا دَعواتُهم؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئاً؛ إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ**» (رواه مسلم).

وإذا دَنَتْ وفاةُ المُوَحِّدِ بشَّرهُ اللَّه بالجنَّة؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ**» (رواه أبو داود).

وكما أعزَّ اللَّه المُوَحِّدَ في الدُّنيا، فقد أَكْرَمَه اللَّه في الآخرة وأعلى مَكانتَه، وجازَاه بخير جزاءِ العامِلين؛ فمَنْ ماتَ على التَّوحِيد كانت له الجنَّةُ إمَّا ابتِداءً أو مَآلاً، وإنْ دخلَ النَّارَ بذنُوبه لم يُخلَّدْ فيها؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً؛ دَخَلَ الجَنَّةَ**» (متفق عليه).

ولا يَنالُ شفاعةَ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِوَى المُوَحِّدين؛ قال أبو هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِك يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: **أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ خَالِصاً مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**» (رواه البخاري).

والمُحقِّقُ للتَّوحِيدِ يَدخُلُ من أيِّ أبوابِ الجنَّةِ الثَّمانيةِ شاء؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ**

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» (رواه مسلم)، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلَّمَا كَانَ تَوْحِيدُ العَبْدِ أَعْظَمَ؛ كَانَتْ مَغْفِرَةُ اللَّهِ لَهُ أَتَمَّ، فَمَنْ لَقِيَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً البَتَّةَ؛ غَفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا».

ويدخلُ الجنَّةَ سبعُون ألفاً بغير حسابٍ، كلُّهم من أهلِ التَّوحِيد، قال عليه الصلاة والسلام: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» (متفق عليه).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالتَّوحِيدُ أغلى ما يملِكُ المُسلِمُ، ومَنْ هداهُ اللَّه إليه فليَعُضَّ عليه بالنَّواجِذ، وَلْيَصُنْه مِمَّا يُناقِضُه أو يقدَحُ فيه أو يُنقِصُه، ومَنْ دعا غيرَ اللَّه أو طافَ على قبرٍ أو ذبَحَ له فقد خَسِرَ أنوارَ التَّوحِيدِ وفضائِله، ولم تُقبَل له طاعة، وتعرَّض لنُصوص الوَعيد بالخُلود في النَّار.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

التَّوحِيدُ مِنَّةٌ من اللَّه عظيمةٌ، يَهَبُها لمن يشاءُ من عباده، وعلى المسلم أن يسعى لِتحقيقه في نفسه وذرِّيَّته والأقربين من أهله ومن جميع النَّاس.

ومن شُكرِ نعمة التَّوحِيدِ: دعوةُ الخلقِ إليه، والتَّحذيرُ من كلِّ آفةٍ تُنافِي أصلَه أو كمالَه.

ومن وسائل الثَّبات عليه: دعاءُ اللَّه بالثَّبات، والبُعدُ عن البِدَع والشُّبُهات والشَّهَوات، والإكثارُ من الطَّاعات، والتَّزوُّدُ من علوم الشَّريعة، وسؤالُ العلماء الرَّبَّانيِّين عمَّا يُشْكِلُ منها.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فَضلُ كَلِمَةِ التَّوحِيد(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّداً عبدُه ورسوله، صلى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

شرفُ المخلوقِ في الإقبالِ على طاعةِ اللَّه ولُزوم عبوديَّته، وتلك حكمةُ الخلقِ والأمر، وبها الفوزُ والفلاحُ في الدُّنيا والآخرة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾، والفرحُ والسُّرورُ واللَّذَّةُ وطِيبُ الوقت والنَّعيم إنَّما هو في معرفةِ اللَّهِ وتوحيدِه والإيمانِ به.

وأفضلُ الكلام وأحَبُّه إلى اللَّهِ ما كان ثناءً عليه ومَدحاً له، وخيرُ الثَّناءِ على اللَّه كلمةُ التَّوحِيد «لا إله إلَّا اللَّهُ»، كلمةٌ قامت عليها

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السادس من شهر جمادى الأولى، سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الأرضُ والسَّموات، ولأجلِها خُلِقَتِ الموجودات، وبها أنزلَ اللَّه كتبَه وأرسلَ رُسُله؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾، وأنذرَ بها الرُّسُلُ أقوامَهم؛ قال سبحانه: ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾.

شهِدَ اللَّهُ بها لنفسِه وأشهد عليها أفضلَ خلقِه؛ قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ أَجَلُّ شَهَادَةٍ وَأَعْظَمُهَا وَأَعْدَلُهَا وَأَصْدَقُهَا، مِنْ أَجَلِّ شَاهِدٍ، بِأَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ».

جميعُ الشَّرائعِ مبناها على هذه الكلمة، والدِّينُ كلُّه من حقوقِها، والثَّوابُ كلُّه عليها، والعقابُ كلُّه على تركِها أو التَّقصيرِ فيها، كلمةٌ عاليةُ المنازِل، كثيرةُ الفضائِل، فهي رأسُ الإسلام مُطلقاً، وأولُ أركانِه ومبانِيه العِظام، وعليها تقومُ جميعُ الأركان، وهي ركنُ الإيمانِ باللَّه وجانبُه الأعظم، فلا يصِحُّ الإيمانُ بدونِها ولا يستقيمُ إلَّا عليها.

عليها أُسِّسَتِ الملَّة ونُصِبت القِبْلَة، وهي محضُ حقِّ اللَّهِ على جميعِ العباد، كلمةُ الإسلام، ومفتاحُ دارِ السَّلَام، وبها انقسمَ النَّاسُ إلى شقيٍّ وسعيدٍ، ومَقْبُولٍ وطَريدٍ، فارِقةٌ بين الكفرِ والإسلام، ما نَطق النَّاطقون بأحسنَ منها قولاً، ولا عَمل العاملون بأفضلَ من مدلولِها فعلاً، قال النَّبيُّ ﷺ: «أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (رواه مسلم).

هي كلمةُ التَّقوى التي اختَصَّ اللَّه بها أولياءَه؛ قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، وهي العُروةُ الوُثقَى الَّتي مَنْ تمسَّك بها نجا؛ قال سبحانه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾، العلُوُّ صفتُها، والبقاءُ يُلازِمُها، قال تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾.

كلمةٌ طيِّبةٌ ضرَبَ اللَّه لها مثلاً في كتابِه؛ فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، بها انشِراحُ الصَّدر ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، قال ابن جُريج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بِـ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)»، وبها سلامَةُ القلبِ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «القَلْبُ السَّلِيمُ: أَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وهي دعوةُ الحقِّ الذي لا باطلَ فيه، والقولُ السَّديدُ الذي لا اعوجاجَ فيه، وشهادةُ صدقٍ لا كذِبَ فيها، وهي المثَلُ الأعلى الذي اختَصَّ اللَّه به دون خَلقِه، وهي الكلمةُ الباقِيةُ في عقِبِ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هِيَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ جَعَلَهَا دَائِمَةً فِي ذُرِّيَّتِهِ يَقْتَدِي بِهِ فِيهَا مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ».

«لا إله إلَّا اللَّهُ» أعظمُ نعمةٍ على الخلق؛ قال سبحانه: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، قال سفيانُ بن عُيَيْنَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى العِبَادِ نِعْمَةً أَعْظَمَ مِنْ أَنْ عَرَّفَهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

كلمةٌ تعدِلُ الدُّنيا وما فيها؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**» (رواه مسلم).

هي أوَّلُ واجبٍ على العبادِ علماً وعملاً؛ قال سبحانه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ العِبَادُ الشَّهَادَتَانِ»، وهي آخرُ واجبٍ؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ**» (رواه أبو داود).

العالِمُ العامِلُ بها هو المُستقيمُ حقّاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾، قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أَيْ: عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

إذا صَدَقَت هذه الكلمةُ تَطهَّرَ القلبُ من كلِّ ما سِوَى اللَّه، ومن صَدَقَ فيها لم يُحِبَّ سِوَى اللَّه، ولم يَرْجُ إلَّا إياه، ولم يَخشَ سِواه، ولم يَتوكَّلْ إلَّا عليه، ولم يَبقَ بقيَّةٌ من آثارِ نفسِه وهواه.

هي عصمةٌ للمالِ والدَّم؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ** ﷻ» (رواه مسلم).

أوَّلُ ما يُبدأُ به من الدَّعوة، وبها بدَأَ النَّبيُّ ﷺ دَعوتَه، وعليها كان يُبايِعُ أصحابَه، وبها بعَثَ النَّبيُّ ﷺ الدُّعاةَ إلى الأمصار، فقال

لمُعاذٍ رضي الله عنه لمَّا بعثَه إلى اليَمَن: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ؛ فَادْعُهُمْ إِلَى: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ» (متفق عليه).

كلمةُ التَّوحِيدِ كلمةٌ سواء، عليها يجتمِعُ الخَلقُ، وبدونِها الفُرقةُ والاختلافُ، قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، مَنْ قالها بحقٍّ أفلَح؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تُفْلِحُوا» (رواه أحمد).

المُتمسِّكُ بها آخِذٌ بأعلى شُعبِ الإيمان؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (رواه مسلم)، والآيةُ المُتضمِّنةُ لها أعظَمُ آيةٍ في القرآن، وسيِّدُ الاستغفارِ مُشتملٌ عليها.

هي أكثرُ الأعمال مضاعفةً وأجراً؛ فـ«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ» (متفق عليه)، و«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ؛ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ» (رواه مسلم).

هي أجلُّ الصَّدقاتِ من غيرِ بَذلِ مالٍ؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ**» (رواه مسلم)، وهي نجاةٌ للعبدِ في قَبرِه، وعليها يُثبَّتُ عند السُّؤال؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**المُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي القَبْرِ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ﴾**» (متفق عليه).

وسجلَّاتُ الذُّنوب تَطِيشُ - بفضل اللَّه - بثِقَلِ هذه الكلِمَة؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْتَخلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلّاً، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصَرِ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ**» (رواه أحمد)، و«**لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرضِينَ السَّبْعَ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ؛ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً؛ قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» (رواه أحمد).

أهلُها شُفعاء، ولهم عَهْدٌ عند الرَّحمن؛ قال سبحانه: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

وأسعدُ النَّاسِ بشفاعةِ النَّبيِّ ﷺ المُخْلِصُون الصَّادقون في قولِها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ خَالِصاً مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**» (رواه البخاري).

والجنَّةُ جزاءُ مَنْ قالَها بصدقٍ، خالِصاً من قلبه، مُوقِناً دون شكٍّ،

عامِلاً بها، مُبتعِداً عمَّا يُناقِضُها؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ؛ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ» (متفق عليه)، وتُفتَحُ لقائِلِها أبوابُ الجنَّةِ الثَّمانية، يَدخُلُ من أيِّها شاء؛ بل من كان صادقاً فيها عامِلاً بمُقتضاها، لم تمَسَّه النَّار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» (متفق عليه)، ويُخرِجُ اللَّهُ من النَّارِ مَنْ قالَها وكان في قلبِه مِثقالُ ذَرَّةٍ من إيمان؛ قال اللَّه ﷻ: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي! لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (رواه البخاري).

ولأهميةِ كلمةِ التَّوحيدِ في كلِّ لحظةٍ من حياةِ العبد؛ جاءت الشَّريعةُ بالحثِّ على مُلازمتِها في كلِّ أحوالِه وشُؤونِه؛ فـ«مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ كَانَ لَهُ عَدْلُ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ» (رواه أبو داود)، وإذا فرَغَ من طُهورِه وقالها، فُتِحَت له أبوابُ الجنَّة الثَّمانية، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ، فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ» (رواه مسلم).

وهي مبدأُ الأذان وخِتامُه، قال ﷺ: «إِذَا قَالَ المُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ

اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مِنْ قَلْبِهِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (رواه مسلم)، و«مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ» (رواه مسلم).

وفي الصَّلاة إذا قام المسلمُ إليها استفتحَ بالتَّوحِيدِ، والصَّلاةُ لا تصِحُّ إلَّا بالتَّشهُّد، وقبل أن يُسلمَ المُصلِّي من الصَّلاة يدعو مُتوسِّلاً إلى اللَّه بها: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» (رواه مسلم)، وفي دُبُرِ كلِّ صلاةٍ يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (متفق عليه)، ويختِمُ بها التَّسبيحَ والتَّحميدَ والتَّكبيرَ، فـ«تُغْفَرُ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» (رواه مسلم).

وفي المناسِكِ يَسْتَصْحِبُها؛ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَعِدَ عَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؛ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ، وَكَبَّرَهُ» (رواه مسلم)، وفي مُزدلِفَة: «أَتَى النَّبِيُّ ﷺ الْمَشْعَرَ، فَرَقِيَ عَلَيْهِ؛ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَوَحَّدَهُ،

وَكَبَّرَهُ، وَهَلَّلَهُ» (رواه النسائي)، و«إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» (متفق عليه).

وفي مواسِمِ الخيرات - كعَشْرِ ذي الحِجَّة -: يُستحبُّ الإكثارُ منها، وفي الخُطبِ يَستفتِحُ مَطلَعَها بالتَّوحِيدِ، وفي مُخالَطتِه للنَّاس إذا جلَسَ مجلِساً كثُر فيه لَغَطُه ثمَّ قال العبدُ قبل أن يقومَ من مَجْلِسِه ذلك: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ**» (رواه الترمذي)، و«**مَنْ تَعَارَّ** - أي: اسْتَيْقَظَ - **مِنَ اللَّيْلِ** - فَقَالَهَا - **ثُمَّ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى؛ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**» (رواه البخاري)، وفي حالِ الهَمِّ والكَربِ يقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**» (متفق عليه).

والثَّناءُ على اللَّه بها قبل سُؤالِه سببٌ لإجابة الدُّعاء؛ قال سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ؛ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ**» (رواه الترمذي).

وهي كفَّارةُ الحَلِفِ بغيرِ اللَّه؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ**

فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى؛ فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (متفق عليه).

ومَنْ حَضرَتْه الوَفاةُ استُحِبَّ تَلْقِينُه إيَّاها؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (رواه مسلم).

وإليها يُدعَى مَنْ كان على غيرِ المِلَّةِ ولو في آخرِ لَحْظَةٍ مِنْ حياتِه؛ حضَرَت أبا طالبٍ الوفاةُ فقال النَّبيُّ ﷺ: «يَا عَمِّ! قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» (متفق عليه).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالعِزُّ في التَّوحِيدِ، قال عُمر رضي الله عنه: «نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالإِسْلَامِ»، والشَّهادةُ عنوانُه ودليلُه، ولا ينفعُ قولٌ يُناقِضُه العمل، ومَنْ لم ينطِقْ بها فاتَتْه لذَّةُ الدُّنيا والآخرة، وقُوَّةُ وضعفُ المسلمين على حسَبِ تحقيقِهم لهذه الكلمةِ قولاً وعَمَلاً، فهي مِيزانُهم عند اللَّه وعندَ النَّاس، فإن قَوِيَتْ عندهم رضِيَ اللَّه عنهم وعَزُّوا وارتَقَوا، وإن ضَعُفَتْ بَعُدُوا عن اللَّه وضَعُفُوا ووَهَنُوا.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

العلمُ بمعنى كلمةِ التَّوحِيدِ والعملُ بها، والبُعدُ عما يُضادُّها أو يُناقِضُها شرطٌ لحُصولِ مُقتضاها الوارِدِ في النُّصوص، فمعناها: نفيُ الإلهية بحقٍّ عمَّا سِوَى اللَّه، وإثباتُها للَّه وحدَه، وهذا الذي أنكرَه كفَّارُ قريشٍ، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، ولم ينفَعْهم إقرارُهم بتوحيدِ الرُّبوبيَّة فحسب.

وكلُّ مَنْ كان بمعناها أعرف، وبمقتضاها أَقْوَم؛ كان ميزانُه أَثْقَل، وتفاوتُ النَّاسِ فيها على قَدْرِ تحقيقِ شروطِها، ورُوحُ هذهِ الكلمةِ وسِرُّها: إفرادُ اللَّه بالعبادة، فمَنْ أَشْرَكَ مخلُوقاً في حقِّ اللَّهِ وعبادتِه كان ذلك ناقِضاً لقولِ: «لا إله إلَّا اللَّهُ».

والسَّعيدُ مَنْ حافَظَ على تَوحِيدِه وماتَ عليه، ولم يَتدنَّسْ بناقِضٍ من نواقِضِه، أو قادِحٍ فيه، أو بما يُنْقِصُه، وهي أُمنيةُ عبادِ اللَّه الصَّادِقِين: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَحَبُّ عَمَلٍ عِنْدَ اللَّه[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللَّهُ عبادَه، وسَخَّر لهم ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ، وأَسْبَغَ عليهم نِعَمَه ظاهرةً وباطنة؛ لِيُفرِدُوه سبحانه بالعبادة، فبقِي النَّاسُ بعدَ آدمَ عشرةَ قرونٍ يَعْبُدُون اللَّهَ وحدَه، فزيَّن الشَّيطانُ لبعض خلق اللَّه عبادةَ الأَصْنَام، فعبَدُوها؛ فأرسلَ اللَّه الرُّسلَ وأنزلَ معهم الكتبَ؛ لِيَرْجِعَ النَّاسُ إلى عبادة اللَّه وحده، ومِنْ رأفتِه بخلقه: جَعَل فِطَرَهم موافِقةً لِمَا خَلقَهم له؛ فكلُّ مولودٍ يُولَد على فطرة إفراد اللَّه بالعبادة،

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع والعشرين من شهر شوال، سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وأنَّه المَعْبُودُ وحده دون مَنْ سواه، قال سبحانه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

والشَّيطانُ يسعى لِإفسادِ فِطَرِ الخَلْق؛ لِيَحْرِمَ العبادَ من رضا ربِّهم عنهم، ومن النَّعيم المقيم المعَدِّ لهم في جنَّات عَدْن؛ قال ﷺ ذاتَ يومٍ في خطبته: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً» (رواه مسلم).

يَدْعُو إبليسُ الخَلْقَ إلى الوقوعِ في أَعْظمِ ذنبٍ يُعصَى اللَّه به؛ سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ» (متفق عليه)؛ فعَبَد كثيرٌ من الناس غير اللَّه؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

ومن آثار عدم الإيمان: أنَّ كلَّ عَمَلٍ يُعمَلُ - وإن كان صالحاً - فإنَّه لا يُثاب عليه؛ لفُقدانِ أصل الدِّين؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ المِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: لَا يَنْفَعُهُ؛ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْماً: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» (رواه مسلم).

وهذا الذَّنبُ سببٌ لسَخَطِ اللَّهِ وحُلُولِ الذِّلَّة والمَسْكَنَةِ لِمَنْ فَعَلَه؛ قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ وصاحبُه يتقلَّبُ في كروبٍ وهمومٍ وأحزان؛ قال جلَّ شأنه:

﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾، ويَمْنَعُه من دخول الجنَّةِ ويُخَلِّدُه في النَّار؛ قال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾.

ولِئَلَّا يقعَ العِبادُ في شَرَكِ الشَّيطانِ ويُسْخِطُوا ربهم ويُخلَّدوا في النَّار؛ أرسل اللَّهُ لكلِّ أُمَّةٍ رسولاً يُحذِّرُهم من دعوةِ الشَّيطان، ويأمُرُهم بعبادة الرَّحمن، وأنزل الكتب، ودعا إليه في أكثر آيات القرآن، وجميعُ ما في القرآن دالٌّ عليه، وأوَّلُ أمرٍ في كتاب اللَّه: هو الأمرُ به؛ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ أي: وحِّدوا ربَّكم، وأوَّلُ نهيٍ يتلوه قارئُ القرآنِ هو النَّهيُ عن ضِدِّه: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، وسورةُ الإخلاصِ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن؛ لاشتمالها على التَّوحِيد، وأعظمُ آيةٍ في كتاب اللَّه ما اشتملت على وُحدانيَّته؛ آيةُ الكُرْسِيّ.

ومَكَثَ النَّبيُّ ﷺ بعد بعثته يدعو إلى تَوحِيدِ اللَّه عَشْرَ سنين، لا يدعو إلى شيءٍ سواه، ثمَّ تتابَعَت عليه الشَّرائعُ، فكان يدعو إليها مع التَّوحِيدِ إلى مماته، وكان يقولُ في صباحه ومسائه: «**أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً مُسْلِماً، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**» (رواه أحمد)، وكان يَسْتَفْتِحُ يومَه بالتَّوحِيدِ، فيَقرأُ في رَكْعَتَي الفَجْر بـ«الكافرون» و«الإخلاص»، ويَخْتِمُه به؛ فيَقرأُ في الشَّفع والوِتر بـ«الكافرون» و«الإخلاص».

ووصَّى به أمَّته، أتى أَعْرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ؛ قَالَ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» (متفق عليه)، وكان يأمر أصحابه أن يُبايعوه على عبادةِ اللَّهِ وحدَه؛ قال عوفُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟ قُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ» (رواه مسلم).

وإذا بَعث الدُّعاةَ إلى الأمصار: يأمرُهم أن يبدؤوا بالدَّعوةِ إلى التَّوحيد؛ بعثَ معاذاً إلى اليمن وقال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ؛ فَادْعُهُمْ إِلَى: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ» (متفق عليه)، وإذا جاءه وفْدٌ من الوفود علَّمَهم التَّوحيد؛ أتاه وَفْدُ عبدِ القيس فقال لهم: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ...» الحديثَ (متفق عليه).

وخاف الرُّسلُ على أبنائهم اتِّباعَ الشَّيطانِ بعبادةِ الأصنام؛ قال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، والنَّبيُّ ﷺ خافه على أمَّته؛ فقال: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، فَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: الرِّيَاءُ» (رواه أحمد)، وهو مِنْ حقِّ اللَّه على العباد، قال النَّبيُّ ﷺ: «يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» (متفق عليه).

ويُقرِّبُ العبدَ من الجنَّة ويُباعدُه من النَّار؛ جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ وُفِّقَ - أَوْ: لَقَدْ هُدِيَ -، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ» (متفق عليه).

ولا سعادةَ في الدُّنيا والآخرة إلَّا به؛ قال عليه الصلاة والسلام: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تُفْلِحُوا» (رواه أحمد)، ومَنْ كانت خاتِمَتُه على الشَّهادةِ دخل الجنَّة؛ قال ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ» (رواه أبو داود)، ومَنْ مات عليه دخل الجنَّةَ ونَجَا من النَّار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ» (رواه مسلم).

وأعمالُ المُوحِّدِين تَتفاضلُ بِتفاضُلِ ما في القلوبِ من الإيمانِ والإخلاصِ، وأعزُّ ما يَملِك المسلمُ هو توحيدُه لربِّه، وأهمُّ ما عليه: حِفاظُه عليه من البُطلان، أو القوادح، أو النَّواقص الواردة عليه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «التَّوْحِيدُ أَلْطَفُ شَيْءٍ وَأَنْزَهُهُ، وَأَنْظَفُهُ وَأَصْفَاهُ؛ فَأَدْنَى شَيْءٍ: يَخْدِشُهُ وَيُدَنِّسُهُ وَيُؤَثِّرُ فِيهِ، فَهُوَ كَأَبْيَضِ ثَوْبٍ: يُؤَثِّرُ فِيهِ أَدْنَى أَثَرٍ، وَكَالمِرْآةِ الصَّافِيَةِ جِدّاً: أَدْنَى شَيْءٍ يُؤَثِّر فِيهَا».

واللَّهُ عز وجل أَوْحَى لِرُسلِه أنَّهُ إنْ وقعَ منهم شِرْكٌ؛ حبِطَت أعمالُهم، فكيف بِغيرِهم؟! قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾، ولذا خاف إبراهيمُ عليه السلام من

الشِّرْكِ، فدعا ربَّه - وهو يَبْنِي الكَعْبَة -: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، وإذا كان الخليلُ يَخْشَى على نفسِه الشِّركَ؛ فغيرُه أَوْلَى.

وتعليمُ الأبناءِ أصلَ دينهم وسؤالُهم الدَّائمُ عنه هو نَهْجُ الرُّسل؛ يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ - وهو في نزع الرُّوح - يَسأل أبناءَه عن تَوحِيدِهم: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِىۖ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾، ونبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ يَسألُ جارِيةً صغيرةً: «**أَيْنَ اللَّهُ؟** قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ» (رواه مسلم).

ومُدارسةُ كتبِ الاعتقادِ السَّليمةِ ومُلازمةُ حِلَقِ أهلِ العلمِ من أسباب الثَّبات؛ قال ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّتِي**» (رواه الحاكم)، قال الشَّيخ مُحمَّدُ بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَهَمُّ مَا عَلَيْكَ: مَعْرِفَةُ التَّوْحِيدِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ العِبَادَاتِ كُلِّهَا حَتَّى الصَّلَاةِ»، والدُّعاءُ بالثَّباتِ على الدِّين سبيلُ الأنبياء؛ قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وتعظيمُ تَوحِيدِ الخالقِ، وإدراكُ أهمِّيَّتِه، والبُعدُ عن الشُّبُهات؛ من أسباب الهُدَى.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانِه، والشكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

التَّوحِيدُ أعظمُ ما تَزْكو به النَّفسُ، ولا يَتحقَّقُ إلَّا بالكفرِ بجميعِ ما يُعبَدُ من دون اللَّه - وهو معنى الشَّهَادَة -؛ قال ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ﷻ**» (رواه مسلم)، ومَنْ حقَّقَ التَّوحِيدَ: زالت كُروبُه، ونال رضا ربِّه، وقُبِلت أعمالُه، وضُوعِفَت أُجورُه، وكانت حياتُه طيِّبةً، وغُفِرت ذنوبُه، ودخل الجَنَّة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، ولا نعمةَ أعظمُ من نعمةِ الدِّينِ والثَّباتِ عليه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّهَ أَمَرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الثَّاني

تَوحيدُ الرُّبوبيَّة

عَظَمَةُ اللَّهِ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

أوجَد اللَّه العبادَ من العدَم، وأمدَّهم بالنِّعم، وكشفَ عنهم الكروبَ والخُطوب، والفِطَرُ السَّليمةُ تُحِبُّ من أنعمَ وأحسنَ إليها، وحاجةُ النُّفوس إلى معرفة ربِّها أعظمُ من حاجتهم إلى الطَّعام والشَّراب والنَّفَس، ولا سعادةَ في الدُّنيا والآخرة إلَّا بمعرفةِ اللَّه ومحبتِه وعبادتِه، وأعرفُ الناس به أشدُّهم له تعظيماً وإيماناً.

وعبوديَّةُ القلبِ أعظمُ من عبوديَّةِ الجوارحِ وأكثرُ وأدوَم، فهي واجبةٌ في كلِّ وقت، وأعمالُ الجوارحِ لإصلاحِ القلب؛ قال

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثامن عشَر من شهر جمادى الأولى، سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاللَّهُ يُنْزِلُ العَبْدَ مِنْ نَفْسِهِ حَيْثُ يُنْزِلُهُ العَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ»، وإذا عرفَ المخلوقُ ربَّه؛ اطمأنَّت إليه نفسُه وسكنَ إليه قلبُه، ومَنْ كان باللَّهِ وصفاتِه أعلم؛ كان توكُّله أَصحَّ وأقوى، وأكملُ النَّاسِ عبوديَّةً: المُعظِّمُ للَّه، المُتعبِّدُ له بجميع أسمائه وصفاته.

واللَّهُ سبحانه له من الأسماءِ أَحْسَنُها - وأسماؤُه مدحٌ وتَمْجِيد -، وله من الصِّفات أعلاها - وصفاتُه صفاتُ كمال -، كان النَّبيُّ ﷺ يقول في رُكوعه: «سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ، وَالمَلَكُوتِ، وَالكِبْرِيَاءِ، وَالعَظَمَةِ» (رواه النسائي)، له الكمالُ المُطلقُ في كلِّ شيء، كان النَّبيُّ ﷺ يقول: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» (رواه مسلم).

وجميعُ مَنْ في السَّموات ومَنْ في الأرض يُنزِّهون اللَّه عن كلِّ عَيْبٍ ونَقْصٍ؛ قال سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وكلُّهم يسجُد له؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

له سبحانه الخلقُ والأمرُ وحدَه، أتقنَ ما صنَعَ، وأبدَعَ ما خلق، وقدَّرَ مقاديرَ الخلائقِ قبل أن يخلقَ السَّمواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سَنَة، والحُكمُ حُكمُه، ولا يَشْرَكُهُ في ذلك أحد، لا رادَّ لقضائه ولا مُعقِّبَ لحكمه، حيٌّ لا يموت، جميعُ الخلقِ تحتَ قهرِه وقبضته، يُميتُهم ويُحييهم، ويُضحِكُهم ويُبكِيهم، ويُغنيهم ويُفقِرُهم، ويُصوِّرُهم في الأرحام كيف يشاء.

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾، يُدبِّرُها كيف شاء، وقلوبُ العباد بين أُصبعَيْه يُقلِّبُها كيف شاء، ونواصيهم بيده، وأزِمَّةُ الأمور معقودةٌ بقضائه وقدَره.

لا يُنازِعُه مُنازع، ولا يغلِبُه غالب، لو أنَّ الأُمَّةَ اجتمعت لِتضرَّ أحداً واللَّهُ لَمْ يَكْتُب ذلك؛ لم يضُرَّه أحد، ولو اجتمعوا على نفعه واللَّه لم يُرِد ذلك؛ لم ينفعه أحد.

لا رادَّ لعذابه إن نزل، ولا رافع له إن حلَّ سواه، يخلق ما يشاء، ويفعل ما يُريد ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ والخلقُ يُسألون، قائمٌ بنفسه، مُستغنٍ عن خلقه، ومُهيمنٌ عليهم جميعاً، مفاتيحُ الغيب عنده لا يعلمُها إلَّا هو، وأخفَى عِلْمَها حتى عن الملائكة؛ فلا يَعْلَمُونَ مَنْ سيموت غداً أو ما سيحدث في الكون قبل أن يكون.

ملِكٌ يُدبِّر أمرَ عبادِه؛ يأمرُ وينهَى، ويُعطِي ويمنع، ويخفِضُ ويرفع، أوامرُه مُتعاقبةٌ على تعاقُب الأوقات، نافذةٌ بحسب إرادته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾، ومِنْ جُمْلَة شُؤُونه: أن يُفرِّج كَرْباً، ويَجْبُرَ كَسْراً، ويُغنِيَ فقيراً، ويُجيبَ دعوةً، قال عن نفسه: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾.

عِلْمُه وسِعَ كلَّ شيء، يعلمُ ما كان وما يكون وما لم يكن، لا تتحرَّك ذرَّةٌ فما فوقها إلَّا بإذنه، ولا تَسقُطُ ورقةٌ إلَّا بعلمه، لا تخفى عليه خافية، استوى عنده السِّرُّ والعَلَانِيَة؛ قال سبحانه: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ

أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾، يسمعُ أصواتَ المخلوقين وهو على عَرْشِه، قالت عائشة رضي الله عنها: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ المُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ، وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ البَيْتِ مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾» (رواه أحمد)، وأَفْعالُ العباد في ظُلمة اللَّيل البَهيم لا تخفى عليه؛ قال جلَّ شأنه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، يرى وهو فوق سمواته دبيبَ النَّملةِ السَّوْداءِ على الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ في اللَّيلةِ الظَّلْمَاء.

خَزائنُه مَلْأَى في السَّمَوَات والأرض، ويَداه مَبْسُوطَتَان بالسَّخاء، «**سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، يُنفِقُ كيف يشاء، كثيرُ العطاء، واسعُ الجُود، يُعطِي قبل السُّؤال وبعده، وينزل «**كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟**»، ومن لم يسأله يغضَب عليه.

وأبوابُ عَطائِه فَتَحَها لِخَلْقِه؛ فَسَخَّر بحاراً، وأَجْرَى أنهاراً، وأَدَرَّ أَرْزاقاً، ساقَ لِلْخلق أرزاقهم؛ فَرزَقَ النَّملَ في قَرَار الأرض، والطَّيرَ في الهواء، والحِيتانَ في الماء: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، ورزقُه وسِع الجميع؛ فساق إلى الجنين رزقَه وهو في رحِم أُمِّه، وإلى الجَلَد القوي في مُلكه، كريمٌ يحبُّ العطاء والكرم، إذا سُئِل أَعْطَى، وإذا رُفِعت إلى غيره حاجة لا يرضى، وكلُّ خيرٍ فهو منه ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾.

رِزْقُه لا ينفَد؛ قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ**» (رواه مسلم)، ولو سَأَلَه العِبَادُ جميعاً فأعطاهم ما سألوه؛ لم يُنْقِصْ ذلك من مُلكِه شيئاً؛ قال النَّبيُّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي؛ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ**» (رواه مسلم).

والثَّوابُ على العمل يُضاعِفُه؛ الحسنةُ عنده بعشرة أمثالها إلى سبع مئةِ ضِعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة، والقليلُ من زمن الطَّاعة يُكثِّره؛ فلَيْلَةُ القَدْر خيرٌ من ألفِ شهر، وصيامُ ثلاثة أيَّامٍ من كلِّ شهرٍ كصِيَام الدَّهر، وإذا أنفق العبدُ مالاً ابتغاءَ وجهه؛ ردَّه له أضعافاً مُضاعفة، ويزيدُ في السَّخاء فوق المُنَى؛ فأعطى أهل الجنَّة فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلبِ بشر، وإذا ترك العبدُ شيئاً من أجله؛ عوَّضه خيراً منه.

غنيٌّ عن جميع خلقه، وكلُّ شيءٍ مُفتقِرٌ إليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، لا يبلغُ العبادُ نفعَه فينفعوه، ولا ضُرَّه فيضرُّوه، عليٌّ كبير، الكرسيُّ موضع قدمَيْه سبحانه، وقد وَسِعَ الكُرْسيُّ السَّموات والأرض، والسَّمواتُ السَّبعُ في الكُرْسيِّ كدَرَاهِمَ سبعةٍ أُلقِيَت في تُرْسٍ، والكُرْسِيُّ في العَرْشِ كَحَلْقَةٍ من حديدٍ أُلقِيت بين ظهرَيْ فلاةٍ من الأَرض، وعَرْشُهُ أَعظمُ مخلوقاته، وتحتَ العَرْشِ بَحْرٌ، ويَحْمِلُ العَرْشَ ملائكةٌ ما بين شَحْمَةِ أُذُنِ أحدِهِم إلى عاتقه مسيرةُ سبعِ

مئةِ عامٍ، وربُّنا مُسْتَوٍ على عَرْشِهِ - كما يليق بجلاله وعظمته -، وهو مُسْتَغْنٍ عن العَرْشِ وما دونه.

مُحيطٌ بكلِّ شيء، ولا يُحيطُ به شيءٌ، ويُدرِكُ الأبصارَ، والأبصارُ لا تُدرِكُه، وقدرتُه شملَت جميع مخلوقاته، وهي ضعيفةٌ عنده وإن كبُرت في أعين المخلوقين، فالسموات يطويها سبحانه يوم القيامة ثمَّ يأخذهنَّ بيده اليمنى، ثمَّ يقول: «**أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟**» (رواه مسلم)، ويجعلُ «**السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا المَلِكُ**» (متفق عليه)، وإذا تكلَّم بالوحي أَخَذَتِ السَّموات منه رَجْفَةٌ وصَعِقَ أهلُ السَّماء، وأوَّلُ من يفيقُ جبريل، والسَّموات تَخْشَاه، قال ﷻ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾، قال الضَّحَّاك ؒ: «أَيْ: يَتَشَقَّقْنَ فَرَقاً مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ - أَيْ: خَوْفاً مِنْهُ -».

قَيُّومٌ «**لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُه، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» (رواه مسلم)، الأمرُ يُدبِّره ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.

قويٌّ لا يُعجِزُه شيء، إذا أَرَادَ شيئاً قال له: كُنْ؛ فيكون، وأمرُه كَلَمْح البَصَرِ؛ بل هو أقرب، وله جنودٌ لا يعلمها أحدٌ سواه، قلَبَ قُرى قوم لُوطٍ وجعل عاليَها سافلها، ولمَّا امْتَنَعَ بنو إسرائيل عن قبول ما في التَّوراة رفع جبلاً فوق رؤوسهم كأنَّه ظُلَّةٌ وظنُّوا أنَّه واقعٌ بهم، وتجلَّى سبحانه لجبلٍ فجعله دكّاً، ولما رأى موسى ذلك خرَّ صعِقاً.

والأرضُ إذا انقضى الدَّهرُ يرُجُّها رجّاً، ويدُكُّها دكّاً، ويَنْسِفُ الجبالَ نسفاً. وبِنَفْخَةٍ واحدةٍ في الصُّوْر ينفُخُ فيه إسرافيل؛ يفزعُ الخلق، وبِنَفْخَةٍ أخرى يُصْعَقون، وبثالثةٍ يقومون للحشر. وإذا نزل سبحانه لِفَصْلِ القضاء؛ تَشَقَّقَتِ السَّماءُ لنزوله تعظيماً له وخَشْيَة.

واللَّهُ سبحانه فوقَ ما يصِفُه الواصِفون، ويَمدحُه المادِحون، لا نِدَّ له ولا نظيرَ، ولا شبيهَ ولا مثيلَ، عَرَفَ الرُّسلُ ربَّهم فأكثَروا له التَّذلُّلَ والتَّعبُّدَ والخضوع؛ فكان داودُ عليه السلام يصومُ يوماً ويُفطِرُ يوماً، ونبيُّنا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم يقومُ اللَّيل حتى تَتفطَّرَ قدماه، وإبراهيمُ عليه السلام أوَّاهٌ لِربِّه مُنيب، ومَنْ سَلَك نَهْجَ الأنبياء؛ نال السَّعادةَ والرَّخاء.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنه، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

لا أحدَ أَحبُّ إليه المدحَ من اللَّه، ولذا أَثْنَى على نفسه، وأصلُ التَّفاضُلِ بين النَّاس إنَّما هو بمعرفةِ اللَّه ومَحبَّتِه والثَّناءِ عليه، ومَنْ عرفَ اللَّهَ وقلبُه سليم؛ أحبَّه وعظَّمه، وكلَّما ازدادَ له معرفةً ازدادَ له طاعة.

والذُّنوبُ تُضعِفُ تعظيمَ اللَّهِ وَوَقارَه، ولو تمكَّن وقارُ اللَّه وعظمتُه في قلب العبد ما تَجَرَّأ أحدٌ على معاصِيه، وكلُّ مَعصيةٍ فمِنَ الجهل باللَّه.

وإجلالُ اللَّه يَعْظُم بالطَّاعات، وأعظمُ عبادةٍ يَتقرَّبُ بِها العبدُ من ربِّه؛ هي إفرادُه بالعبادة، فلا يُسألُ إلَّا هو، ولا يُستغاثُ إلَّا بِه، ولا تُصرفُ أيُّ عبادةٍ إلَّا لَهُ وحدَه.

ومَنْ عبدَ معَ اللَّهِ غيرَه؛ فما قدَرَ اللَّهَ حقَّ قَدْرِه، وظَلَمَ نفسَه بالوقوع في الشِّرْك، ومَنْ هداه اللَّه لتعظيم الرَّبِّ وإفراده بالعبادة؛ وجب عليه أن يدعوَ غيرَه إلى توحيدِ اللَّه وتعظيمِه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

تَعْظِيمُ اللَّه (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَةِ الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

شرفُ العلمِ بشرفِ المعلُوم، وأشرفُ العلومِ وأزكاها: العلمُ باللَّه، والحاجةُ إلى معرفتِه سبحانه وتعظيمِه فوق كلِّ الحاجات؛ بل هي أصلُ الضَّرُورات.

واللَّهُ فطرَ عبادَه على محبَّتِه ومعرفتِه، والقلبُ إنَّما خُلق لذلك: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾، وهي الحَنِيفيَّةُ التي يُولَدُ عليها كلُّ مولودٍ، وشياطينُ الجنِّ والإنسِ يسعَوْن لحرفِ فِطَر

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع والعشرين من شهر جمادى الأولى، سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الخلق، قال اللَّهُ في الحديث القُدسيّ: «**خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ؛ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**» (رواه مسلم)، وكلُّ مُسلمٍ مأمورٌ بِتَعاهُدِ فِطرتِه لِتعودَ المُنحرِفةُ إلى أصلِها، ويزدادَ الَّذين آمنوا إيماناً.

واللَّهُ أقامَ آياتِه دليلاً على ربوبيَّته وألوهيَّته، ولو كان ماءُ البحر مِداداً وجِيء ببحورٍ تمُدُّه لَمَا نفِدَت كلماتُ اللَّه وآياتُه الدالَّةُ عليه.

والرُّسُلُ بُعِثوا لِتقريرِ الفِطْرَةِ وتَكميلِها، وتوحيدُ الرُّبوبيَّة بإفرادِ اللَّه بأفعالِه من أعظمِ ما جاؤُوا به، فهو أصلٌ من أصولِ الإيمان، وأحدُ أنواع التَّوحِيدِ الَّذي لأجله خلقَ اللَّهُ العباد، وهو دليلٌ على وحدانيَّتِه في الأُلوهيَّة، وبه احتجَّ اللَّهُ على إفراده بالعبادة، والشِّركُ فيه أعظمُ وأقبحُ أنواع الشِّرك، ولا يغلَطُ في الإلهيَّة إلَّا من لم يُعطِه حقَّه.

واللَّهُ سبحانَه كاملٌ في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه، ومِنْ صِفَاتِه جلَّ شأنُه: **الرُّبوبيَّةُ**؛ لا شريكَ له فيها، كما لا شريكَ له في أُلوهيَّتِه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾.

وهو سبحانَه المُتفرِّدُ بالخلق والمُلك والرِّزق والتَّدبير، خالقٌ ولا خالقَ معه، بديعُ السَّمواتِ والأرض، خلقَ فسوَّى وأحسنَ كلَّ شيءٍ خَلَقَه وهو الخلَّاقُ العليم، وكما بدأَ الخلقَ سيُعيدُه يومَ القيامة وهو أهونُ عليه، وكلُّ من سِوى اللَّه لا يَستحِقُّ العبادة، واللَّه المُستحقُّ لها وحدَه؛ لأنه الخالِق: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

وهو سبحانَه المَلِكُ والمُلكُ له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾، ومالِكٌ لخلقِه، له ما في السَّموات وما في الأرض، وجميعُ الخلقِ له قانِتون ومُسبِّحون، وكلُّهم له يَسجُدون.

هو السَّيِّدُ لا شريك له والجميعُ عَبيدُه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾، له المُلكُ التَّامُّ الدَّائِمُ، مالِكُ الدُّنيا ويومِ الدِّين، وفي الآخرة يَتجَلَّى ويقول: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾؛ فيُجيبُ نفسَه بقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾.

انفردَ سبحانه بتدبير شُؤون خلقِه ومُلكِه، فالأمرُ كلُّه بيدِه وحدَه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾، يأمرُ وينهَى، ويخلُقُ ويرزُقُ، ويُعطِي ويمنَعُ، ويَخفِضُ ويرفَعُ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويُحيِي ويُميت: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾، ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾.

جميعُ الخلقِ تحتَ قَهْرِه ومشيئتِه، وقلوبُ العباد ونواصِيهم بيدِه، وأزِمَّةُ الأمورِ معقُودةٌ بقضائِه وقَدَرِه، قائِمٌ على كلِّ نفسٍ بما كسبَت، والسَّماءُ والأرضُ قائمةٌ بأمره، ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۗ﴾، و﴿يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾، وكلُّ من في السَّموات والأرض يسألونَه ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾، ومِنْ جُمْلَةِ شُؤونِه: يَغفِرُ ذنباً، ويهدِي ضالّاً، ويُفرِّجُ همّاً، ويَجْبُرُ كسراً، ويُغنِي فقيراً، ويُجيبُ دعوة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ﴾.

أوامرُه مُتعاقبة، ومشيئتُه نافِذة، لا تَتحرَّكُ ذرَّةٌ في الكون إلَّا بإذنه، فما شاءَ كانَ، وما لم يشَأْ لم يكُن، يَخلُقُ ما يشاءُ، ويَفعلُ ما يُريد، وكان أمرُه قَدَراً مَقدُوراً، لا مانِعَ لِمَا أعطَى، ولا مُعطِيَ لِمَا مَنَع، ولا مُعقِّبَ لحُكمه، ولا رادَّ لِقضائِه، ولا دافعَ لمُراده، ولا مُبدِّل لكلماته، قدَّر مقاديرَ الخلقِ قبلَ خلقِ السَّموات والأرضِ بخمسينَ ألفَ سَنَة، ولو اجتمعَ الخلقُ على شيءٍ لم يَكْتُبْه اللَّه لِيَجْعَلُوه كائناً؛ لم يَقدِروا عليه، ولو اجتمَعوا على ما هو كائنٌ لِيمنَعوه؛ لم يقدِروا عليه، ولو اجتمعَت الأُمَّةُ على ضُرِّ عَبْدٍ واللَّهُ لم يُرِد ضُرَّه لم يضُرُّوه، ولو اجتمعَت على نفعِه واللَّهُ لم يأذَن بنفعِه لن ينفَعوه، يهدِي من يشاءُ فضلاً، ويُضِلُّ من يشاءُ عدلاً، إذا أرادَ شيئاً فإنما يقولُ له: كُن؛ فيكون: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾.

كلامُه أحسنُ الكلام، لا بدايةَ لكلماته ولا نهايةَ لها: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾.

وعلمُه تعالى وسِعَ كلَّ شيءٍ، فيَعلمُ ما كان وما يكونُ وما لم يكُنْ وما لا يكُون، ويعلمُ ما فعله الخلقُ وما سيفعَلونه، ويعلمُ ما في البرِّ والبحر، وما تَسقطُ من ورقةٍ إلَّا يعلمُها، و﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ أي: لا يغيبُ عنه ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يعلمُ ما هو غائبٌ عنَّا وما هو شاهِد، ويعلمُ ما تُوسوِسُ به النُّفُوسُ، وما تنطوِي عليه خبايا الصُّدور، ويعلمُ ما تحمِلُه الأُنثَى في البُطون، ومفاتِحُ الغيب لا

يعلمُها إلَّا هو، وعلومُ الخلقِ كلِّهم كَقطرةٍ من بحرِ علمِه، وما عِلمُهم إلَّا بمشيئتِه، نَقَرَ عصفورٌ في البحر، فقال الخضرُ لموسى عليهما السلام: «**مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ مِنَ البَحْرِ**» (متفق عليه).

سَمْعُه وسِعَ الأصوات، فلا تَخْتلِفُ عليه ولا تَشْتَبِه؛ اشتكَتِ امرأةٌ زوجَها عند النَّبيِّ ﷺ، وعائشةُ رضي الله عنها في ناحية البيت، ويَخفَى عليها بعضُ كلامها، واللَّهُ من فوقِ سبع سمواتٍ سمِعَ كلامَها وأنزلَ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾.

وبَصَرُه أحاطَ بجميع المَرئيَّات، فأفعالُ العبادِ في ظُلمةِ اللَّيلِ لا تَخفَى عليه، وكلُّ أعمالِهم هو لها بالمِرصاد.

ولأنَّ الخلقَ خلقُه فالحُكمُ له وحْدَه؛ قال سبحانه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾، وأحكامُه وحدودُه وتَشْريعاتُه خيرُ الأحكام، ولا أحسنَ منه حُكماً ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾، يَحْكمُ ولا مُعقِّبَ لحُكمه ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، لا أرحمَ منه؛ فهو أرحمُ الرَّاحمين وخيرُهم، أرحمُ من الوالِدة بولدِها، رحمتُه وسِعَت كلَّ شيءٍ، له سبحانه مئةُ رحمةٍ؛ أنزلَ واحدةً يتراحَمُ الخلقُ بها فيما بينهم، وأمسكَ عنده تسعاً وتسعين.

كريمٌ لا أكرمَ منه، يُحبُّ الإحسانَ والعطاءَ لخَلْقِه، يَرزقُهم مِنْ فوقِهم ومِنْ تَحْتِهم، فضلُه عظيمٌ، وخزائنُه لا تنفَد: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾، ويدُه مَلْأَى لا تَغيضُها نفقة، «**سَحَّاءُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ**»، قال ﷺ: «**أَرَأَيْتُم مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ**

لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ» (متفق عليه)، يُجيبُ دَعواتِ العباد، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، ولا تَتعاظَمُه حاجةٌ أن يُعطِيَها، ولو أنَّ العبادَ - أوَّلَهم وآخِرَهم، وإنسَهم وجِنَّهم - قامُوا في صعيدٍ واحدٍ فسألوه، فأَعْطَى كلَّ واحدٍ مَسْألتَه، ما نقصَ ذلك مِمَّا عنده إلَّا كما ينقُصُ المِخيَطُ إذا أُدخِل البحر.

وتَكفَّلَ سبحانه برزقِ كلِّ مخلُوقٍ - من الإنسِ والجنِّ، مُسلِمِهم وكافرِهم - ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، وهو خيرُ الرَّازقين، فتحَ أبوابَ الخير لعباده، فَسخَّر بِحاراً، وأجرَى أَنْهاراً، وأَدَرَّ أَرْزاقاً، وأعطَى عبادَه نِعَماً كثيرةً وهم لم يسألُوه إياها، ومن كلِّ ما سألُوه آتاهم، ويَعرِضُ على عبادِه سُؤاله فيقولُ كلَّ ليلة: «مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟» (متفق عليه)، كلُّ خيرٍ فهو منه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، وأَوْصَلَ لكلِّ مخلوقٍ رزقَه، فَرَزَقَ الجنينَ في بطن أمِّه، والنَّملَ في جُحره، والطَّيرَ في جوِّ السَّماء، والحِيتَانَ في لُجَج الماء: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾.

قريبٌ مُجيبٌ، ومَنْ لم يسأَلْه يغضَبْ عليه، والمحرُومُ من طمِعَ بغير ربِّه، ولا أحدَ أصبرُ على أذًى يَسْمعُه من اللَّه، يُشرِكون به، ويَدَّعُون له الولدَ، ثم هو يُعافِيهم ويَرزُقهم.

وفَّق - فضلاً منه وكَرَماً - أهلَ طاعته، وأثابَهم بعد توفيقِه، شكورٌ يَجزِي على القليل ويُجزِلُ على الكثير؛ الحَسنةُ عنده بِعَشرة أضعافِها إلى أضعافٍ كثيرة، وأعدَّ لعباده في الجنَّةِ ما لا عينٌ رأَت، ولا أُذنٌ

سمِعَت، ولا خَطرَ على قلبِ بشر، ولا يَزالُ يَسترْضِيهم فيقولُ: «هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ! وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً» (متفق عليه).

غنيٌّ بذاتِه، صَمَدٌ تَصْمدُ إليه الخلائِقُ في حاجاتها، وسيِّدٌ كاملٌ لا جوفَ له: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، و﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾، لن يُطاعَ إلَّا بفضلِه، ولا يُعصَى إلَّا بعلمِه، غنيٌّ عن خلقِه، قائمٌ بنفسِه، وكلُّ شيءٍ قائمٌ به مُفتقِرٌ إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، لا تنفعُه طاعةُ الطَّائِعين، ولا تضُرُّه معصيةُ العاصِين، لو كان الإنسُ والجنُّ على أتقَى قلبِ رجُلٍ واحدٍ ما زادَ ذلك في مُلكه شيئاً، ولو كانوا على أفجَر قلبِ رجُلٍ واحدٍ ما نقصَ ذلك من مُلكِه شيئاً، لن يبلُغ العبادُ نفعَه فينفعُوه، ولن يبلُغوا ضُرَّه فيضُرُّوه.

حيٌّ قيُّومٌ، لا تأخذُه سِنةٌ ولا نوم، يخفِضُ القسطَ ويرفعُه: «يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ».

كبيرٌ عظيمٌ، جبَّار مَتِينٌ، العِزَّةُ إزارُه، والكِبْرياءُ رِداؤُه، قويٌّ لا ظهيرَ له، وعليٌّ لا مثيلَ له، كلُّ شيءٍ هالِكٌ إلَّا وجهَه.

مُحيطٌ بكلِّ شيءٍ ولا يُحيطُ به شيءٌ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾، لا يُسْتَشفَعُ به على أحدٍ من خلقه، ولا يَشفعُ عنده أحدٌ إلَّا بإذنه، وكُرْسِيُّه - مَوضِعُ قدمَيه - وَسِع السَّمَواتِ والأرضَ، و«مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ، إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ».

والعرشُ أعظمُ المخلُوقات، يَحْملُه ملائكةٌ ما بين شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهم إلى عاتقِه مسيرةُ سبعِ مِئَةِ عامٍ.

واللَّهُ مُسْتوٍ على عَرْشِه - كما يَليقُ بجلالِه - وهو مُسْتَغْنٍ عن العَرْشِ وما دُونَه: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ أي: يَتَشقَّقن؛ خوفاً من عظمة اللَّه، وإذا تكلَّمَ بالوحي أخذَتِ السَّمواتِ منه رَجفةٌ وَرِعْدةٌ شديدةٌ، وصَعِقَ أهلُ السَّموات، وخرُّوا للَّهِ سُجَّداً.

هو الأوَّلُ فليس قبلَه شيء، والآخرُ فليس بعدَه شيء، والظَّاهرُ فليس فوقَه شيء، والباطنُ فليس دونَه شيء، قادرٌ على كلِّ شيءٍ وله القوَّةُ جميعاً، لا يُعجِزُه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء، أمرُه كَلَمْحِ البَصَر؛ بل هو أقربُ، وله جنودٌ لا يعلمُها إلَّا هو، وإذا انقضَى أمرُ الدُّنيا يَرُجُّ الأرضَ رجّاً، ويَدُكُّها دكّاً، ويُسَيِّرُ الجبالَ سَيْراً، ويَنسِفُها نَسْفاً، وبِنَفخةٍ يَفزَعُ الخلقُ، وبأُخرى يُصعَقون، وبثالثةٍ يَقومون للمحشَر.

سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ تَنَزَّه عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ، له من الكمالِ أعلاه، ومن التَّمام والجَمال أَسْناه، لا نِدَّ له ولا مَثيلَ، ولا سَمِيَّ له ولا نَظيرَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

أفلا يَجبُ علينا أن نُحِبَّ ربَّنا الذي هذه صفاتُه وأفعالُه، وأن نَحمدَه، ونُثنِيَ عليه، ونُخلِصَ له العبادة.

ومَنْ عَرفَ اللَّهَ اقتربَ منه، وخَضعَ له، وذَلَّ، وأنِسَ به، واطْمأنَّ، ورجَا ثوابَه، وخافَ عقابَه، وأنزلَ به حاجاتِه، وتَوكَّلَ عليه.

ومَنْ مدَحَ اللَّه وأَكْثرَ من ثنائِه ارتفع، فلا أَحدَ أحبُّ إليه المدحُ من اللَّه، مِنْ أَجْلِ ذلك مدحَ نفسَه، ومَنْ أحبَّ اللَّهَ وعبَدَه أحَبَّه اللَّه ورضِيَ عنه وأَدْخلَه الجَنَّة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّهِ على إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مَنْ أشركَ باللَّهِ غيرَه من المخلُوقين؛ فقد تنقَّص ربَّ العالمين، وأساءَ به الظَّنَّ، وسوَّى غيرَه به.

والشِّركُ يُحبِطُ جميعَ الأعمال، ولا يغفِرُ اللَّهُ لصاحبِه، ولا يُدخِلُه الجنَّةَ، وهو في النَّار من الخالدِين، والشِّركُ أشدُّ تغيُّرٍ أصابَ الفِطْرة، وأكبرُ فسادٍ في الأرض، وأصلُ كلِّ بلاءٍ، ومَجمعُ كلِّ داءٍ، ضررُه عظيم، وخطرُه وخيم.

والمعاصِي شُؤمُها كبيرٌ، تجتمعُ على العبدِ فتُهلِكُه، وتَحُولُ بين المَرْءِ وبينَ قلبِه، وبقَدر ما يَصْغُرُ الذَّنبُ في العين يَعْظُمُ عند اللَّه؛ فَلا تنظُرْ إلى صِغَر المعصيةِ، ولكن انظُر إلى عَظَمَةِ من عَصَيْتَ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ[1]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفِرُه، ونَعوذُ باللَّه من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا مَن يهدِه اللَّه فلا مضلَّ له ومَنْ يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالنَّعيمُ في اتِّباع الهُدى، والشَّقاءُ في موافقة الهَوى.

أيُّها المسلمون:

خَلقَ اللَّه الخلقَ لتكون الطَّاعةُ له والتَّذلُّلُ إليه، وكَمالُ السَّعادة في معرفةِ اللَّهِ والإيمانِ به، ومعرفةُ العبدِ ربَّه هو الأصلُ الأولُ الذي يجبُ على الإنسانِ معرفتُه، وهو أوَّلُ ما يُسألُ عنه العبدُ في قَبرِه، أَوْجَدَ اللَّهُ الخلقَ بعدَ عَدَم، وأغْدقَ عليهم من النِّعم، وضَمِنَ لهم الرِّزقَ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

أَوجدَ العالمين بعدَ أن لم يكونوا شيئاً: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس عشَر من شهر صَفَر، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾، ربٌّ متفرِّدٌ بالخلق والرِّزق والتَّدبير: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

مُتفرِّدٌ بالوحدانية، مُتَّصِفٌ بالعَظَمة والجَبَرُوت، مقاليدُ الأمورِ كلِّها بيديه، قويٌّ متينٌ، قاهرٌ فوقَ عباده، لا يرضى أن تُصْرفَ العبادةُ إلَّا لــــه: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾.

نَصَبَ في كلِّ مخلوقٍ آيةً دلالةً على وحدانيَّتِه؛ لِيزدادَ تعلُّقُ القلبِ بِربِّه، آيتان تَتَعاقبانِ علينا تُذكِّرُنا بوحدانيَّةِ اللَّه: ليلٌ يَغْشى ونهارٌ يَتَجلَّى، يَطلُب كلٌّ منهما الآخرَ طلباً سريعاً: ﴿يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾، والشَّمسُ والقمرُ يجريانِ في مسارٍ دقيق، أبهر ذوي العقول، هذه تُشرِقُ وذاكَ يُدبِر، سَيرٌ مُنتظِمٌ لا يتقدَّمُ ولا يتأخَّر: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِى فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾، أرضٌ تُقِلُّنا، وسماءٌ تُظِلُّنا، لا غنى لنا عن أَحدِهِما، خَلْقٌ مُتْقَنٌ وتَدبيرٌ من بديع: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾.

والمسلمُ يعتزُّ إذا كان عبداً لِمُدَبِّر هذا الكونِ العظيم: ﴿قُلۡ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، لا يَعبدُ إلَّا ربَّ هذا الكونِ ﷻ، ولا يَصرِفُ شيئاً من أنواع العبادةِ لغيره، يَلجأُ إليه في المُلِمَّات، ويَخافُ منه وحدَه في العلانيةِ والخفيَّات: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾، فلا يخافُ من ميِّتٍ أن يضرَّه بسوءٍ، أو يرجو منه إحساناً.

والفزعُ إليه وحدَه رُجْحَانٌ في العقل، وأمانٌ في القلب، وطمأنينةٌ على الرُّوح، ومَنْ خافَ ربَّه لم يُفْزِعْهُ أحدٌ؛ بل هو ثابتُ القلبِ ساكنُ الجوارح، وأَنْعِمْ بِنَفْسٍ لا تَأْنَسُ إلَّا مع اللَّه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، يقولُ أبو سليمانَ الدَّارَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا فَارَقَ الخَوْفُ قَلْباً إِلَّا خَرِبَ».

وأقربُ العبادِ إلى اللَّهِ أخوفُهم منه، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**» (متفق عليه)، وهو مِنْ لَوازمِ الإيمانِ ومُوجباتِه، ومَنْ خافَ ربَّه وحْدَه فُتِحتْ له أبوابُ الجِنَان؛ قال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، قال أهلُ العلم: «لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ بَيْنَ خَوْفَيْنِ؛ فَمَنْ خَافَهُ فِي الدُّنْيَا أَمَّنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ أَمِنَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَخَفْ رَبَّهُ أَخَافَهُ فِي الآخِرَةِ»؛ فراقِبْ ربَّكَ وخَفْ من خالقِكَ، تَكُن أَسْعدَ الخلقِ عندَ اللَّه.

ولا تَرْجُ مِن غيرِ اللَّه تحقيقَ مرغوبٍ أو سلامةً من مرهوبٍ - من: زوال علَّةٍ، أو شفاء سُقْمٍ، أو طَلَبِ رِزقٍ، أو جَلْب عافيةٍ -، وحَقِّقْ رجاءك باللَّه دون سِواه؛ فالخلقُ مجبولون على الضَّعف، عاجزونَ عن جَلْبِ النَّفع لأنفسِهم، ودفعِ الضُّرِّ عنهم، وهم أَعْجزُ عن ذلك لغيرهم، ومَا رَجَا أحدٌ مخلوقاً إلَّا خابَ ظنُّه فيه، فلا تُعَلِّقْ أَطْماعَك وأَمَلَك بغير اللَّه، فلنْ تَجْنِيَ سِوى العَدَم وذُلِّ المسألة، وَارْجُ كَرَم اللَّه وعطاءَه وجَزيل مِنَنِهِ، فرجاءُ مَا عندَ اللَّه تعبُّد، وفي ذُلِّ القلب للَّه عزَّةُ النَّفسِ ورفعُ الدَّرجاتِ وتحقيقُ المأمول.

وراحةُ النَّفسِ في تفويضِ أمرِها لِخالقِها، ويَزدادُ تعلُّقُها بِبارِئِها إذا تذكَّرَتْ أنَّ الرَّبَّ عليمٌ بِحالِها، رحيمٌ بأمرِها، قديرٌ على كشفِ ضُرِّها، ولِمَ التَّعلُّقُ بمخلوقٍ عاجزٍ عن كشف الضُّرِّ قَتورٍ في العطاء؟! وربُّك كافيك جميعَ أمورِك؛ وهو متولِّيها إن أَلْقيتَ إليه حاجاتِك وسلَّمت إليه مقاليدَ أمورِك ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

والسَّعيدُ هو الرَّاغب في رحمةِ اللَّه، الرَّاهبُ مِنْ عذابه، الخاضعُ المُتذلِّلُ في عبادته لمولاه، وتلك المحامدُ السَّنيَّة اتصفتْ بها بيوتُ الأنبياء؛ قال سبحانه عن زكريَّا عليه السلام وأهلِه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾، والرُّسلُ سبَّاقون إلى الرَّغبةِ فيما عندَ اللَّه؛ قال سبحانه لنبيِّه مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾، وهي تَنحَسِرُ عن العبد على قَدْر ذُنوبه، وتَزيدُ بزيادةِ إيمانه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِه خَيْراً، وَفَّقَهُ لِاسْتِفْرَاغِ وُسْعِهِ وَبَذْلِ جُهْدِهِ فِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُمَا مَادَّتَا التَّوْفِيقِ، فَبِقَدْرِ قِيَامِ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ فِي القَلْبِ يَحْصُلُ التَّوْفِيقُ».

والخشيةُ من المخلوقِ ذُلٌّ ومهانةٌ، ومَنْ خَشِيَ مِنْ خَالِقِه عاشَ عزيزاً، وفي حياته سعيداً، وأنارَ بصيرَتَه فكان مُتذكِّراً، قال سبحانه: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾، واتَّعَظ بالمواعظِ والعِبَر؛ قال جل وعلا: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾، وكان كتابُ اللَّهِ له سعادةً وذِكْرى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾، وهي موجبةٌ لِمغفرةِ اللَّهِ وجزيلِ نوالِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾؛ فاجعلْ ربَّك بين

ناظِرَيْك، ولا تَأْمَنْ مِنْ مَكْرِهِ وحُلولِ عُقوبَتِه، ولا تَخْشَ غيرَ اللَّهِ في قَطْع رِزْقٍ أو تأخُّر شفاءٍ أو حلولِ شقاءٍ، قال سبحانه: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

والعبدُ ضعيفٌ بنفسه مفتقرٌ إلى عونِ ربِّه القويِّ، وبالاستعانة به ﷻ تَسْتَغْني عن الاستعانة بالخلق، ومَنْ سعى في تحقيقِ مطلوب ولم يكن مستعيناً باللَّه مفتقراً إليه في حُصوله؛ أُغْلِقتْ في وجهه الدُّروب، وتَعسَّرت أَمَامَه المكاسب، يقولُ النَّبيُّ ﷺ لابن عبَّاس رضي الله عنهما: «**يَا غُلَامُ! إنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**» (رواه الترمذي).

والاستعانةُ عليها مَدَارُ الدِّين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وبها أَمرَ الرُّسلُ أقوامَهم: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الدِّينُ: أَنْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يُسْتَعَانَ إِلَّا بِهِ».

وكَمالُ غِنَى العَبْدِ في تَعَلُّقِه بربِّه، ومِنْ فضلِ اللَّه على عباده أنَّ مَنْ تَعلَّقَ به أعانَه، والرِّزق يَتَيَسَّرُ بالطَّاعة والاستعانة، ويزدادُ بالتَّوكُّلِ والاستكانة، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

والحياةُ مليئةٌ بالآفاتِ والمَكَارِه؛ قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾، ولكلِّ مخلوقٍ أعداءٌ من الجنِّ والإنسِ وفي مقدِّمتهم إبليسُ - لَعَنَهُ اللَّهُ -؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، ولا

غنى للعبدِ من الاحتماءِ بِجَنابِ اللَّه، والاستعاذة به وحدَه، والاعتصامُ بحماهُ من الشُّرور، والرَّبُّ متَّصفٌ بالجَبَرُوت والعِزَّة؛ مَنِ اعْتَصَمَ به لم يَنَلْه أذى أحدٍ، وتَخَلَّفَ عنه الضَّررُ ولو معَ وجودِ السبب؛ قال ﷺ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» (رواه مسلم)، قال القُرطبيُّ رحمه الله: «مُنْذُ سَمِعْتُ هَذَا الخَبَرَ عَمِلْتُ عَلَيْهِ؛ فَلَمْ يَضُرَّنِي شَيْءٌ إِلَى أَنْ تَرَكْتُهُ، فَلَدَغَتْنِي عَقْرَبٌ بِالمَهْدِيَّةِ لَيْلاً، فَتَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي فَإِذَا بِي قَدْ نَسِيتُ أَنْ أَتَعَوَّذَ بِتِلْكَ الكَلِمَاتِ».

والمخلوقُ يتعرَّضُ للأذى، ولَنْ تَهْنَأَ حياتُه إلَّا بالاعتصام باللَّه واللِّياذة به، فالضَّررُ والنَّفعُ كلُّه بيد اللَّه، ومَنْ سعى للإضرار بك لم يتحقَّقْ له مُنَاه ما لم يشأِ اللَّه ذلك؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» (رواه الترمذي)، وقد أَمرَ اللَّه نبيَّه ﷺ أن يَستعيذَ بخالقِ الإصباحِ من شرِّ جميع المخلوقات، ومن شرِّ الغاسقِ والحاسد، والقادرُ على إزالة هذه الظُّلمة عن الكون؛ قادرٌ أن يَرفعَ عن المُستعيذِ ما يَخافُه ويَخشاه، والمُعتصمُ باللَّه المستعيذُ به في كلِّ شأنٍ في حصنٍ مكينٍ من أهل الشُّرورِ والماكرين.

وربُّنا لا مَفْزَعَ لنا في الشَّدائدِ سواه، ولا ملجأَ لنا مِنْهُ إلَّا إليه، والمستغيثُ باللَّه المُستجيرُ به يَطْرقُ أخصَّ أنواع الدُّعاء، والاستغاثة بالرَّبِّ العظيمِ مَفْزَعُ الأنبياء والصَّالحين في الشَّدائدِ والمكائد؛ قال

سبحانه: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.

ومَنْ دَعَا الأمواتَ فنِداؤُه لا يُسمع، وحاجاته لا تُرفع؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ * إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾، فإذا حلَّتْ بك الخُطوب، واشْتدَّتْ بك الكُروب، فاسْتَغِثْ بعلَّامِ الغُيوب: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

وإفرادُ اللَّه بأفعال العباد نقاءٌ في المُعتقد، وسعادةٌ تَعُمُّ المجتمع، وطُمأْنِينَةٌ في النُّفُوس.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ * ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

أبوابُ السَّعادةِ والخيرِ تُفْتَحُ بِتَعَلُّقِ القلبِ باللَّه، وتُغْلَق أبوابُ الشُّرورِ بالتَّوبة والاستغفار، وعافيةُ القلبِ في ترك الآثام، ونعيمُ الدُّنيا في انجذابِ القلبِ إلى اللَّه حُبّاً له وخوفاً منه ورجاءَ فضلِه، فالخوف يُبْعِدُكَ عن معصيةِ اللَّه، والرَّجاءُ يَدْفعُك إلى طاعته، ومَحبتُه تَسوقُك إليه سوقاً؛ فاجعلْ أعمالَك كلَّها خالصةً للَّه، قائمةً على أكْملِ الوجوه في الظَّاهرِ والباطنِ، مع اليقينِ بأنَّ اللَّهَ مُطَّلعٌ على السَّرائر والنِّيَّات، بصيرٌ عليمٌ بالخفيَّات.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّهَ أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

عِظَمُ خَلْقِ السَّمَاءِ[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمن اتَّقى ربَّه عَلَا، ومن اتَّبع هواه هَوَى.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللَّهُ الخَلْق وأَتْقَنَه، ودعا عباده إلى التَّفكُّر فيما خَلَق: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾، وخيرُ ما أُنفِقَتْ فيه الأنفاس: التَّفكُّرُ في آياتِ اللَّهِ وعجائبِ صُنعِه، وإذا نَظَرَ العبدُ إلى الآياتِ بالبصر؛ انفَتَحَتْ بصيرةُ القلب، وعُظِّمَ الخالقُ، وزاد الإيمان، قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَفَكُّرُ سَاعَةٍ، خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ لَيْلَةٍ».

وقد أثنى اللَّه على المتفكِّرين في خَلْقِه فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السادس من شهر ربيع الأول، سنة تسع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾.

وذَمَّ مَنْ لم يتفكَّرْ في خَلْقِ اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.

واللَّهُ خَلَقَ الإنسانَ وأَمَرَه بالتَّأمُّل في نفسه؛ فقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾، وخَلَق النَّبات وقال: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾، وخَلَق ما هو أكبرُ من ذلك وقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وكان النَّبيُّ ﷺ كثيراً ما ينظر إلى السَّماء متأمِّلاً فيها، قال أبو موسى الأَشْعريُّ رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَثِيراً مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ» (رواه مسلم).

خَلْقُها عظيمٌ، صُورتُها لا تَتَغَيَّرُ أينما حَلَلْت، بناها اللَّه بقوَّة وأَوسَعَها: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، خَلَقَها على غيرِ مِثَالٍ سابقٍ في اتِّساعِها وارتِفَاعِها، ولا عَمَدَ لها، وأَبْدعَ خَلْقَها: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وحَمِد نفسَه سبحانه عند ذِكْر خَلْقِها فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

خَلَقَها بعد الأرض في يومين: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾، وجعلها سبعَ سمواتٍ طباقاً - طبقةً بعد طبقة -، قال ابن كثير رحمه الله: «كُلُّ سَمَاءٍ أَوْسَعُ مِنَ الَّتِي تَحْتَهَا، لَا صَدْعَ فِيهَا وَلَا شَقَّ، وَلَا أَمْتَ وَلَا عِوَجَ»، مُسْتَوِيةٌ مُعْتَدِلَةٌ، لو نَظَرَ البصرُ إليها

حتى يَملَّ ويَكِلَّ ما اطَّلع على نقصٍ فيها أو عيب: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۞ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، قلَّ أن تَجِيءَ سورةٌ في القرآن إلَّا وفيها ذكرها.

في خَلْقِها برهانٌ على وحدانيَّة اللَّه وقوَّته: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، خَلْقُها أكبرُ من خَلْقِ النَّاس؛ قال سبحانه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ قال ابن القيِّم رحمه الله: «خَلْقُ السَّمَوَاتِ أَعْجَبُ مِنْ بَدَنِ الإِنْسَانِ؛ بَلْ لَا نِسْبَةَ لِجَمِيعِ مَا فِي الأَرْضِ إِلَى عَجَائِبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالبِحَارِ وَالهَوَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحْتَ السَّمَوَاتِ بِالإِضَافَةِ إِلَى السَّمَوَاتِ؛ كَقَطْرَةٍ فِي بَحْرٍ».

خَلَقَها اللَّه بالغةَ الحُسْن مرتفعة، شفَّافةً صَفِيقَة، شديدةَ البناء، متَّسعةَ الأرجاء، مكلَّلةً بالنُّجوم، موشّحةً بالشَّمس والقمر والكواكب، لَونُها لا تَملُّه الأبصار، وما فيها من الكواكب والعجائب، تَتقاصَرُ عقولُ البشرِ عن قليلها.

لم يُقْسِمْ تعالى في كتابه بشيءٍ من مخلوقاتِهِ أكثرَ من السَّماءِ وما فيها من النُّجومِ والشَّمسِ والقمر، أقسمَ بها وبمَنْ بناها فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾، وأقسمَ بنجومِها، وأَخْبرَ أنَّه قَسَمٌ عظيم: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾، وأقسمَ بِجَمالِها وحُسْنها ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ أي: الجمال والحسن.

وتأمَّلْ خلقَ هذا السَّقفِ العظيمِ مع صَلابته وشِدَّته وجَمالِه وما فيه

من العجائب، خَلَقَه اللَّهُ من دخان - وهو بُخار الماء -؛ قال سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾، بُروجُها حِليتُها، ونُجومُها زِينتُها وحِفْظُها: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾، لها أبوابٌ، لا يدخلُ أحدٌ في السَّماء إلَّا من أبوابها، وبعد الإذنِ له، محروسةٌ بِحَرَسٍ شديدٍ من الملائكة والشُّهب: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾، وصانها اللَّه عن قرب الشَّياطين منها: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾، لا معصيةَ فيها، استكبر إبليسُ، وعصى آدمُ ربَّه فيها؛ فأُهبِطَ الجميعُ إلى الأرض: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾.

واللَّهُ قويٌّ متعالٍ، أَمْسَكَها مع عِظَمِهَا وعِظَمِ ما فيها من الزَّوال، وثبَّتها من غير مُمْسِكٍ لها مِنْ فوقِها ولا مِنْ تَحتِها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾، السَّماءُ أكبر من الأرض، وبقدرته سبحانه أمسكها من الوقوع عليها: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾، وتَكَادُ تَنْفَطِرُ من عِظَم ذنبِ الشِّركِ باللَّه؛ قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾، مُسَبِّحةٌ للَّه مقدِّسة، منزِّهةٌ له عن الشَّريكِ والأنداد؛ قال ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾، مُمْتَثِلةٌ أَمْرَ اللَّه مُطيعةٌ له: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾، وعَرْشُ الرَّحْمنِ فوقَها، واللَّهُ مُسْتَوٍ على عَرْشِه - كما يليق بجلاله وعظمته -، رقيبٌ على خلقه، مطَّلعٌ عليهم، يدبِّر الأمر من السَّماء إلى الأرض.

في السَّماء بيتٌ معمور، «يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ» (رواه مسلم)، وفي السَّماء ملائكةٌ لا يُحصِي عددَهم إلَّا مَنْ خَلقَهُم، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، وكلُّ ما فيها قانتٌ للَّه حامد، ساجدٌ له سائلٌ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾، وجميع ما فيها من حركةٍ أو سكونٍ مكتوب عند اللَّه: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

عَظُمَتِ السَّماءُ وعَظُم ساكنوها، قال النَّبيُّ ﷺ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِه إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِئَةِ عَامٍ» (رواه أبو داود)، ومعَ عِظَم خَلْقِهم فإنَّهم يخشون ربَّهم أشدَّ الخشية، و«إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَاناً لِقَوْلِهِ»، ويسبِّحونه إذا تكلَّم ﷻ، قال النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا قَضَى أَمْراً سَبَّحَ حَمَلَةُ العَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا» (رواه مسلم).

وأهلُ السَّماءِ يُحِبُّون الرَّجلَ الصَّالح؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَاناً؛ فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَاناً؛ فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ» (متفق عليه)، وفي غزوة بدرٍ نَزَلَ مَدَدٌ من ملائكةِ السَّماءِ الثَّالثة قَاتَلُوا مع المؤمنين. (رواه مسلم).

وفي السَّماءِ خَزائنُ وأَرْزاقُ العباد، وما في الأرض أسباب له: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، كان الحسن البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا رأى السَّحَابَ قال: «فِي هَذَا وَاللَّهِ رِزْقُكُمْ، وَلَكِنَّكُمْ تُحْرَمُونَهُ بِخَطَايَاكُمْ وَذُنُوبِكُمْ».

مَاؤُها عذبٌ طهورٌ مبارك، إنْ نَزَلَ على الأرض جَمَّلها وَزَيَّنها: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾.

ومنها نزل الوحيُ فاسْتَنَارَتِ الأرضُ بنُور الهُدَى، والنَّبيُّ ﷺ أمينُ الشَّرعِ فيها فلا يُزادُ بعده بغلوٍّ أو ابتداع، أو قدحٍ أو تفريطٍ، فقد كُفي النَّاسُ التَّشريع، ولم يُؤْمَرُوا بسوى الاتِّباع والتَّسليم، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحاً وَمَسَاءً!» (متفق عليه)، وفي كلِّ ليلةٍ يَنزِلُ ربُّنا إلى السَّمَاءِ الدُّنيا حين يبقى ثلثُ اللَّيلِ الآخِرِ فيقولُ: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» (متفق عليه).

والأمرُ للَّه مِنْ قبلُ ومِنْ بعدُ، جَعَلَ النُّجومَ أَمَنَةً للسَّماء من الزَّوال، وإذا انقضى أَمَدُ العملِ في الحياة، أَذِنَ اللَّهُ بِزَوالِ ما في الدُّنيا، ويَفْسُدُ الكونُ إيذاناً بالانتقالِ إلى دارِ القرار، فتُفَجَّرُ البِحارُ وتَتَأَجَّجُ ناراً، وتُكوَّرُ الشَّمسُ، ويَخسِفُ القَمرُ، وتُسَيَّرُ الجِبال، وتَنتَثِرُ الكواكبُ، فَتَضْعُفُ السَّماءُ وتَنْشَقُّ وتُطْوى، قال النَّبيُّ ﷺ: «فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ» (رواه مسلم)، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النُّجُومُ مَا دَامَتْ بَاقِيَةً؛ فَالسَّمَاءُ بَاقِيَةٌ، فَإِذَا انْكَدَرَتِ النُّجُومُ وَتَنَاثَرَتْ فِي

القِيَامَةِ، وَهَنَتِ السَّمَاءُ فَانْفَطَرَتْ، وَانْشَقَّتْ وَذَهَبَتْ»، فتتحرَّك السَّمواتُ يوم القيامة، وتنشقُّ وتنفرِج وتضعُف؛ قال سبحانه: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾، وتُكْشطُ وتكونُ وردةً كالدِّهان - أي: تذوبُ وتتلوَّنُ كما تتلوَّنُ الأصباغُ التي يُدَّهَنُ بها مِنْ شدَّةِ الأمرِ وهولِ يوم القيامةِ العظيم -، وتَتبدَّلُ وتتغيَّر، قال ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾، ويطويها الجَبَّارُ كما يُطوى سِجلُّ الكتاب، ويأخذُها بيده اليمنى ويقول: «أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُوْنَ؟» ويجعلُها على إصبَع.

فتأمَّلوا ما خَلَق اللَّه، وعظِّموا الخالقَ ووحِّدوه، وأقبِلوا عليه بالخشية منه وفِعْلِ الطَّاعات، واحْذَروا الغفلةَ وفِعْلَ الخطيئات.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

التَّفكُّرُ في خلقِ اللَّه سببُ الهدى والفلاح؛ قال وهبُ بنُ منبِّهٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما طالَ تَفَكُّرُ امرئ قطُّ إلَّا فَهِم، ولا فَهِم إلَّا عَلِم»، وكان السَّلَف رَحِمَهُمُ اللَّهُ يُحْيُون تلك العبادة في أحوالهم؛ قال أبو سليمانَ الدَّارَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنِّي لَأَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِي، فَمَا يَقَعُ بَصَرِي عَلَى شَيْءٍ، إِلَّا رَأَيْتُ لِلَّهِ عَلَيَّ فِيهِ نِعْمَةً، وَلِيَ فِيهِ عِبْرَةً».

وإذا تأمَّلتَ ما أمرَ اللَّهُ عبادَه بالتَّفكُّرِ فيه؛ هداكَ إلى العلمِ به سبحانه وبوحدانيَّته، وصفاتِ كمالِه ونعوتِ جلالِه، وعمومِ قدرتِهِ وعلمِه، وكمالِ حِكْمَتِه ورَحْمَتِه وإحسانه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أَمرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

عَجَائِبُ الأَرْض[1]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

تفرَّدَ اللَّه وحدَه بالخلق والتَّدبير؛ وأَوْدعَ في مخلوقاته من عجائب صنعه وعظيم فعله؛ فشهدت له مخلوقاته بالرُّبوبيَّة، وأقرَّ مَنْ نوَّر اللَّه له قلبَه بالوحدانيَّة.

وآيةٌ من آيات اللَّه يراها الصَّغير والكبير ويشعُرُ بها الأعمى والبصيرُ والأصمُّ والسَّميع، يتقلَّبُ الخلقُ عليها ثمَّ يُودَعُون فيها، خَلَقها فأبدعَها، وحَمِد نفسَه لمَّا فرغ من خلقها، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وأقسم بها فقال: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾، وبأجزاءَ منها: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، العاشر من شهر ربيع الآخر، سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

خَلَقَها من غيرِ مثالٍ سابقٍ لها، وبنُورِه اسْتَنَارَت: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وتحدَّى الخَلْقَ أن يخلقوا مثلها: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾.

وهي أكبرُ من خَلْقِ النَّاس؛ ولِعِظَم خَلْقِها أقرَّ الكفَّارُ بأنَّ خالقَها هو اللَّه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾، وأمَرَ بالتَّفكُّر فيها: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وذَمَّ مَنْ لَمْ يَعْتَبِرْ بها وبما فيها: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾، وأخْبرَ أنَّها مليئةٌ بالعِبَر والآيات: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾.

هي أصلُ الإنسانِ ومنها خُلِق: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾، خَلَقَها في يومين قبل السَّماءِ كالأساسِ للبناء، ثمَّ خَلَقَ السَّماءَ في يومين، ثمَّ دحا الأرضَ في يومين آخرَيْن؛ فأخرجَ بدَحيِها ما كان مُودَعاً فيها، فَظَهرتِ العيونُ وجرَتِ الأنهارُ ونَبَتَ الزَّرعُ ورَسَتِ الجِبالُ، فأتمَّ الخَلْقَ في ستَّةِ أيَّام آخِرُهنَّ يومُ الجُمُعَة، فاتَّخَذَه المسلمون عيدَهم في الأسبوع، ثمَّ بعد خَلْقِها استوى الرَّحمنُ على عَرْشِه وقال للسَّماءِ وللأرضِ - بما فيها من جبالٍ ثقالٍ وبحارٍ زاخرات -: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾.

خلقَها سبعَ أرضين، كلٌّ واحدةٍ فوقَ الأخرى، ومدَّها ووسَّعها، فلم تَضِق يوماً على ساكنيها، وسَلَك فيها سُبُلاً لا يتيهون فيها، وذلَّلها لِخلقه؛ فالإنسانُ والطَّيرُ والحيوانُ يُثيرُها؛ قال سبحانه: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ

﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾، ظَهرُها سَكَنٌ للأحياء، وبَطْنُها نُزُلٌ للأموات، في جَوفِها ماء، وحولَها ماء، ولا تَضطرِبُ، ولا تَحِيد، وبفضله كفَّ البَحرَ أن يطغى على يابِسِها، وأمسكَ السَّماءَ أَنْ تَقعَ عليها.

أَرْسَاها بجبالٍ شامخات؛ لئلَّا تَمِيدَ، وأحسَنَ نَصْبَها، ورفعها فأحسنَ هيئَتها، وجعلها صلبةً لا تَضْمحلُّ مع تَطاولِ الزَّمان، خَشَعت جبالُها لخالِقها، وتسجدُ له وتهبط من خشيته، وأَبَتْ وأشفقتْ من حمل الأمانة.

وفيها بحار تَمْخُر الفُلكُ فيها، وتَحْمِل الثِّقالَ، وما في بحارها مأكولٌ حلالٌ ولو كان ميتة: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾، وأنهارُها حُلْوَةٌ عَذْبَةٌ، تنْبُعُ في مَوطنٍ ويَسوقُها إلى مَوطنٍ آخرَ رزقاً للعباد، قِطَعُها مُتَجاوِرَاتٌ، تُسقى بماءٍ واحدٍ، فَتَنْبُتُ الأزواجُ المختلفةُ المُتباينةُ في اللَّون والشَّكل والطَّعم والرَّائحة، منها غذاء والآخرُ دواء، وفيها داء، ونباتها بقَدَرٍ مَوْزُونٍ: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَا تَكَادُ تَخْلُو وَرَقَةٌ مِنْهُ وَلَا عِرْقٌ وَلَا ثَمَرَةٌ مِنْ مَنَافِعَ تَعْجِزُ عُقُولُ البَشَرِ عَنِ الإحَاطَةِ بِهَا وَتَفْصِيلِهَا»، وطُيورُها وسِباعُها وبَهائِمُها أُممٌ شتّى تُبْهِرُ العقلَ من عجائبها وإتقان خلقِها؛ قال جلَّ شأنه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾.

مليئةٌ بالخزائن والأرزاق ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ**» (متفق عليه)، قال

أبو هريرة رضي الله عنه: «وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا - أَيْ: تَسْتَخْرِجُونَهَا -»، قال القُرطبيُّ رحمه الله: «مَلَكَتْ أُمَّتُهُ مِنَ الأَرْضِ مَا لَمْ تَمْلِكْهُ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ».

واللَّهُ تكفَّلَ برزقِ جميعِ مَنْ عليها: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، وخزائنُها تُفتح بالطَّاعات: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، حلالُها كثيرٌ، وبركاتُها وَفيرة، واللَّبيبُ يستغني بحلالِهَا عن حرامِهَا، وبالقناعةِ عن إِثْمِهَا، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾.

جمالُها وما عليها من زينةٍ للابتلاء والامتحان؛ قال عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، وفاضَلَ سبحانه بين أرضه الواسعة؛ فاختار منها أماكنَ جَعَلَها خيرَ البقاع وأشرَفَها، فمَنْ قَصَد بيتَ اللَّهِ الحرام مخلصاً له العمل؛ غُفِرت له ذنوبُه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ أَتَى هَذَا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» (متفق عليه)، وليس على وجهِ الأرضِ بقعةٌ يُشرع الطَّوافُ بها سوى كعبةِ اللَّه المشرَّفة، وليس فيها موضعٌ يُشرعُ تقبيلُه واستلامُه سوى الحَجَرِ الأَسْوَد، والرُّكنُ اليماني من الكعبة يُستَلم.

ونهى عن التَّعبُّدِ في موضع يُشرَك فيه مع اللَّه؛ نَذر رجلٌ أَنْ يَنحرَ إِبلاً بِبُوَانَةَ، فسَأل النبيَّ ﷺ، فقال النبيُّ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ**

الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: **هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟** قَالُوا: لَا، فَقَالَ: **أَوْفِ بِنَذْرِكَ**» (رواه أبو داود).

والأرضُ تَشْرفُ بما يقعُ عليها من الأعمال الصَّالحة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَحَبُّ البِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ البِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا**» (رواه مسلم)، واللَّهُ إذا أَحبَّ عبداً كَتَبَ له المحبَّةَ فيها، والعَالِمُ يَسْتغفرُ له مَنْ في السَّموات ومَنْ في الأرض حتى الحِيتانُ في الماء.

والأرضُ لا تأكلُ أجسادَ الأنبياءِ بعد موتِهم، وفي الإنسانِ عَظْمٌ لا تأكلُه الأرض، منه يُرَكَّبُ يومَ القيامة، وصلاحُها بالطَّاعة وفسادُها بالمعاصي، قال جلَّ شأنه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

والأرضُ مُحكَمةُ البناء لكن من عِظَم ذَنبِ الشِّركِ تَكَادُ تَنْشَقُّ، قال جلَّ شأنه: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾.

والأرضُ للَّه، نهى أن يُمْشَى عليها ببَطَرٍ أو كِبْرٍ أو معصية؛ قارونُ أَعْرضَ عن اللَّه فخُسِفَ به وبداره، و«**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ** - أَيْ: شَعْرُهُ إِلَى مَنْكِبَيْهِ - **وَبُرْدَاهُ؛ إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**» (متفق عليه)، وفي عهد النَّبيِّ ﷺ ارتدَّ رجلٌ ولَحِقَ بالرُّوم، فلما هلكَ حفروا له قبراً، فكلَّما دفنوه فيه أخرجتْه الأرضُ منها، فتركوه منبوذاً. (رواه البخاري).

وكلُّ ما فيها من حَرَكَةٍ أو سُكُونٍ مكتوبٌ عند اللَّه؛ قال ﷻ: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾، وهو سبحانه لا يَغيبُ عنه شيء ممَّا في كونه، قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ﴾، يَقضي حوائجَ عِبادِه؛ بتفريج كروبِهم، وإنزالِ النِّعَم والهِباتِ عليهم: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾.

وفي آخِرِ الزَّمانِ تَكثُر الزَّلازِلُ، وتَظهرُ خُسوفاتٌ؛ إيذاناً بطَيِّ الأرض وزَوالِها، وتقوم السَّاعة على شِرَار الخلق، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ**» (رواه مسلم)، وإذا جاءَ أمرُ اللَّهِ تَتَزلزلُ الأرضُ جميعُها، وتُحملُ وتُرَجُّ رجّاً وتُدَكُّ دكَّةً واحدة، وتُلقِي ما في بطنها من الأموات وتَتَخَلَّى عنهم.

وأوَّلُ مَنْ تَنشقُّ عنه الأرض نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ، وتُحدِّث يومئذٍ أخْبارَها، وتَشهدُ على النَّاسِ بما عَمِلُوا على ظَهْرِها من خيرٍ أو شرٍّ، ويَطْوي اللَّهُ السَّمواتِ ثمَّ يأخذُهنَّ بيده اليمنى، ثمَّ يَطوي الأرضَ بِشِماله، ثمَّ يَقولُ: أنَا المَلِك، أين الجَبَّارون؟ أين المُتَكبِّرُون؟ وتُبدَّل الأرضُ ويُحْشرُ النَّاسُ على أرضٍ غيرِ هذه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ** - أَيْ: شَدِيدَةِ البَيَاضِ - **كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ** - أَيْ: كَالدَّقِيقِ النَّقِيِّ - **لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ** - أَيْ: لَيْسَ فِيهَا عَلَامَةُ سُكْنًى أَوْ بِنَاءٍ أَوْ أَثَرٍ -» (متفق عليه).

والأَمْرُ للَّهِ مِنْ قبلُ ومِنْ بَعد، وإليه يُرجعُ الأمرُ كلُّه، خَلَق فأَتْقَنَ ما صنع، وابتلى مَنْ خلق، والسَّعيدُ مَنْ وحَّد خالقه ونال مرضاته.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

نَصَبَ اللَّهُ مخلوقاتِه علاماتٍ على رُبوبيَّته، وشواهدَ على وَحدانيَّته، وآياتٍ على كمال صفاته، وكم للَّهِ من آيةٍ تَفْنَى الأعمارُ دون الإحاطة بها؟!

وبفضله سبحانه سخَّر لنا جميعَ ما في السَّموات وما في الأرض؛ لِنستعينَ بها على طاعته، ونعملَ على أرضه بما نَفوزُ به في الآخرة من جنَّاته، ولا صلاحَ للقلب إلَّا بتعظيم خالقه وإخلاص العمل له وحده.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

آيَةُ الشَّمْسِ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

أحسنُ ما أُنفِقَت فيه الأنفاسُ التَّفكُّرُ في آياتِ اللَّه وعجائِبِ صُنعِه، والانتِقالُ منها إلى تعلُّق القلبِ والهمَّةِ به دون شيءٍ من مخلُوقاته، وآياتُ الرَّبِّ هي دلائِلُه وبراهينُه التي بها يَعرِفُ العبادُ ربَّهم بأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه وتوحيدِه، والتَّفكُّر في مخلُوقات اللَّه عبادةٌ وهداية، وهو مبدأُ الخيراتِ ومفتاحُها؛ فبِه يُعظِّمُ العبدُ ربَّه، ويزدادُ إيماناً ويقيناً، ويَفتَحُ بصيرةَ القلبِ ويُنبِّهُه من غفلتِه، ويُورِثُه حياةً وتدبُّراً، ومحبَّةً للَّه وتذكُّراً.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السابع عشَر من شهر شوال، سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

التَّفكُّرُ في آياتِ اللَّه من أفضلِ أعمالِ القلوبِ وأنفعِها، يدعُو إلى العمل، ويُلزِمُ صاحبَه الاستِسلامَ للَّه، قال سُفيانُ بن عُيينةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّفَكُّرُ مِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ، أَلَا تَرَى أَنَّ المَرْءَ يَتَفَكَّرُ فَيَتُوبُ؟!»، وهو مِنْ خيرِ ما يُوعَظُ به العباد، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾.

وإذا المرءُ كانت له فِكرة، ففي كلِّ شيءٍ له عِبرة، والقرآنُ العظيمُ مملوءٌ بدعوة الخلقِ إلى التَّفكُّرِ في الآياتِ، والنَّظرِ في المخلُوقات؛ قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾، وفي مخلُوقات اللَّه عِبرٌ وعِظاتٌ أمرَ اللَّه بالتَّفكُّر فيها، فقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنَّظرُ إلى المخلُوقات العُلويَّة والسُّفلِيَّة على وجهِ التَّفكُّر والاعتِبار مأمورٌ به، مندوبٌ إليه»، والعقولُ التَّامَّةُ الذَّكيَّةُ هي التي تُدرِكُ الأشياءَ بحقائِقِها، واللَّهُ أثنَى على المُتفكِّرين في خلقِه وأنَّهم من أُولِي الألباب؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

وذَمَّ اللَّهُ المُعرِضين عن التَّفكُّر؛ فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾، ومن عقوباتِ اللَّه: صَرفُ آياتِه عن المُستكبِرين؛ قال سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ

﴿يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾، قال ابنُ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المعنى: أَصْرِفُهم عنِ التَّفكُّرِ والاعتبارِ بما خُلِقَتْ».

والشَّمسُ من آياتِ اللّه اليوميَّةِ العظيمة، قال سبحانه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ﴾، جعَلَها اللّهُ للكونِ ضياء، وهي في السَّماءِ سِراجٌ وهَّاج، تجرِي بلا صوتٍ مع كِبَر حَجمِها، بحسابٍ دقيقٍ، في فلَكٍ واسِع، إلى أجلٍ مُسمًّى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾.

سخَّرَها اللّهُ لعبادِه؛ فَبِطُلُوعِها وغرُوبِها قيامُ اللَّيلِ والنَّهار، ولولا وُجودُها لبَطَلَ أمرُ هذا العالَم، ففيها من الحِكَم والمصالِح ما يَعْجزُ الخلقُ عن الإحاطَةِ به، جعَلَها اللّهُ دليلاً على وحدانيَّته وألوهيَّته؛ فقال: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾.

وهي آيةٌ لأربابِ العُقول، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾، ودعَا العبادَ إلى النَّظرِ في عجيبِ تسخيرِها، فقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾.

وبها يَحْسُبُ الخلقُ أوقاتَهم، ويَعرِفون مَعالِمَهم؛ قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾، وخلَقَ اللّهُ الظِّلَّ وجعَلَ الشَّمسَ عليه دليلاً، قال البغويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى دلالتِها عليه: أنه لو لم تَكُنِ الشَّمسُ لَمَا عُرِفَ الظِّلُّ، ولولا النُّورُ لَمَا عُرِفَتِ الظُّلمةُ، والأشياءُ تُعرفُ بأضدادِها».

علَّقَ اللَّهُ على مسيرِها كثيراً مِنَ العباداتِ والأحكام؛ ففي الصَّلاةِ قال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾، وعن أفضلِ أوقاتِ الذِّكرِ قال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾، وفي الصِّيامِ يُفطِرُ الصَّائِمُ عند غُروبِها، ومِنْ أَمارَةِ ليلةِ القَدْر: «**تَطْلُعُ الشَّمْسُ صَبِيحَةَ يَوْمِهَا بَيْضَاءَ لَا شُعَاعَ لَهَا**» (رواه مسلم)، وفي أيَّامِ التَّشريقِ بعدَ زوالِها يَرمِي الحاجُّ الجمَرات، وزَمنُ انقِضاءِ عبادةِ التَّوبةِ ينقضِي بطُلُوعِ الشَّمسِ مِنْ مغربِها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**» (رواه مسلم).

وصلاةٌ قبلَ طُلُوعِ الشَّمسِ وقَبْلَ غُرُوبِها رتَّب اللَّه عليها ثواباً عظيماً، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُم كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ** - أَيْ: صَلَاةِ الفَجْرِ - **وَقَبْلَ غُرُوبِهَا** - أي: صَلَاةِ العَصْرِ -؛ **فَافْعَلُوا**» (متفق عليه).

وخسوفُها تخويفٌ من اللَّهِ لعبادِه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ كُسُوفاً فَاذْكُرُوا اللَّهَ حَتَّى يَنْجَلِيَا**» (متفق عليه).

ولعظيمِ خَلْقِها وكثرةِ منافعِها أقسمَ اللَّهُ بها، فقال: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، ومع هذه العظَمة، فاللَّهُ هو الذي يُسيِّرُها وهي تُسبِّحُ له، قال

تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، وكلُّ يومٍ بعد غُروبِها تسجُدُ للَّه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ! أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟** قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾**» (متفق عليه)، وهي مخلُوقةٌ فلا تُعبَدُ، ومن الشِّركِ السُّجودُ لها؛ قال سبحانه: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

والتَّفكُّرُ في غروبِها أسلوبٌ اتَّخذَهُ الأنبياءُ من أساليبِ الدَّعوةِ إلى اللَّه؛ احْتجَّ إبراهيمُ عليه السلام على أُلوهيَّة اللَّهِ وبُطلانِ عبادةِ غيرِ اللَّهِ بمَغيبِها؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

وقد فُتِن بها بعضُ الخَلْقِ فعبَدُوها من دون اللَّه؛ قال الهُدهدُ لِسُليمان عليه السلام حاكِياً عن ملِكَة سبإٍ وقومِها: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

ولسَدِّ ذَريعَةِ عبادتِها نُهِيَ المُسلمُ أن يَتحرَّى بصلاته طلُوعَ الشَّمسِ أو غُروبَها؛ لسجودِ بعضِ الكُفَّار لها حينئذٍ، ولِسُجودِ بعضِ الناسِ لها

يَنتصِبُ الشَّيطانُ لها عند طُلوعِها وعند غُروبِها، يُوهِمُ نفسَه أنَّهم يَسجُدون له، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَحَرَّوْا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا؛ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بِقَرْنَيِ الشَّيْطَانِ» (متفق عليه).

وعندَ زوالِ الشَّمسِ كلَّ يومٍ موعِظةٌ للمُؤمن، فإنَّ النَّارَ تُسَجَّرُ - أي: تُملأُ، وتُوقَدُ - في هذا الوقتِ، فتُكرَهُ الصَّلاةُ حينَها، قال النَّبيُّ ﷺ: «فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمُ» (رواه مسلم).

وطلُوعُ الشَّمسِ من غيرِ مَجراها أمارةٌ على قُربِ السَّاعة، وإِذْنٌ من اللَّهِ بخَرابِ العالَم، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ؛ آمَنُوا جَمْيعاً، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا» (متفق عليه)، وأَوَّلُ الآياتِ خُروجاً: طُلوعُ الشَّمسِ من مَغرِبِها، وخروجُ الدابَّة على النَّاسِ ضُحًى، وأيُّهما كانت قبل صاحِبَتِها؛ فالأُخرى على إِثْرِها قريباً.

وفي المَحشرِ يَجمعُ اللَّهُ الناسَ الأَوَّلِين والآخِرين في صَعيدٍ واحدٍ، يُسمِعُهم الدَّاعي، ويَنفُذُهم البصرُ، وتُدْنَى الشَّمسُ يوم القيامة من الخَلْقِ حتى تكونَ منهم كمِقدارِ مِيل - قال سُلَيم بن عامرٍ رضي الله عنه: «فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الأَرْضِ، أَمِ المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ العَيْنُ» -، قال النَّبيُّ ﷺ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي العَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إِلْجَاماً» (رواه

مسلم)، وسبعةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه، جَمَعَهُم محبَّةُ اللَّه وتَعظيمُه، قال النَّبيُّ ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ» (متفق عليه)، ثمَّ يُطرَحُ بهم في نارِ جهنَّم، وذلك حين تُكوَّرُ الشمسُ فيذهَبُ نورُها، ويُرمَى بها في الجحيم؛ قال سبحانه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَعْنَى ﴿كُوِّرَتْ﴾: جُمِعَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لُفَّتْ فَرُمِيَ بِهَا، وَإِذَا فُعِلَ لَهَا ذَلِكَ ذَهَبَ ضَوْؤُهَا»، قال النَّبيُّ ﷺ: «الشَّمْسُ وَالقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ» (رواه البخاري).

وفي الجنَّةِ لا شمسَ ولا زَمْهَرِيرَ، فهي مُنوَّرةٌ بنورِ اللَّه، وأعظمُ نعيمِ أهل الجنَّةِ: رُؤيةُ اللَّهِ تعالى، فيرَونَه سبحانه كما يرَى أهلُ الدُّنيا الشَّمسَ، في وسَط النَّهارِ ليس دُونَها سحاب، قال الصَّحابةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ» (متفق عليه).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فَجَميعُ المخلُوقات - من الذَّرَّة إلى العرشِ - دالَّةٌ على اللَّه، والكونُ جميعُه أَلْسِنةٌ ناطِقةٌ بوحدانيَّته، والنَّظرُ النَّافعُ: ما كان بالبصائرِ لا بالأبصار فَحَسْب، والمُسلمُ يُعمِلُ عَقلَه وفِكرَه لمُحاسَبَة نفسِه وإصلاحِ قلبِه، فاذكُرُوا اللَّهَ وعظِّمُوه، وأقبِلُوا عليه بالطَّاعة، ووحِّدوه، واحذَروا الغفلةَ والإعراضَ، وسَبِّحُوه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

اقتضَت حكمةُ اللَّه أَنْ جعلَ للشَّمسِ ارتِفاعاً وانخِفاضاً، ومن آثاره الحَرُّ والقَرُّ، وفي حرِّ الصَّيفِ عِظةٌ للمُؤمنين؛ فشِدَّتُه من فَيْحِ جَهنَّم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ! أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً، فَأَذِنَ لها بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ؛ فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ**» (متفق عليه).

والدُّنيا مشُوبةٌ بالأَلَمِ والنَّعِيم، فألَمُها يُذكِّرُ بألَم النَّار، ونعيمُها يُذكِّرُ بنعيمِ الجنَّة، واختلافُ أحوالِها - من حرٍّ وبردٍ، وليلٍ ونهارٍ -، يدلُّ على انقِضائِها وزوالِها.

والمُؤمنُ لا يقطعُه عن اللَّه شيءٌ؛ فلا يمنَعُه الحرُّ عن صلاةٍ، وصوم، وبِرٍّ، وخيرٍ، واللَّهُ ذمَّ القائِلين: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾، وتوعَّدَهم بقوله: ﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾، وعجَباً لمن اتَّقى حرَّ الشَّمس، كيف لا يتَّقِي نارَ الجَحيم؟!

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَنَافِعُ اللَّيْلِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَةِ الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللَّه الخلقَ وأتقَنه، ودبَّر ما خَلَقَ فقدَّرَه، وفَتَقَ السماءَ عن الأرضِ وزيَّنها، وجَعَل اللَّيلَ والنَّهارَ آيتين، فمحا آيةَ اللَّيلِ وجَعَل آيةَ النَّهارِ مبصرة، يُغشي اللَّيلَ النَّهار، ويُكَوِّر النَّهارَ على اللَّيل بمقدارٍ يَعْلمُه، وجَعَل اللَّيلَ بعدَ إدبارِ النَّهارِ آيةً من آيات اللَّه الدَّالةِ على وحدانيَّته، قال سبحانه: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

أقسمَ اللَّهُ بوُلُوجِه على النَّهار شيئاً فشيئاً، من غيرِ إفزاعٍ للبشر، فقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾، وأقسمَ به إذا غَشِيَ الشَّمسَ حينَ تَغيب: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾، وإذا غَطَّى الخلائقَ بظلامه: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾، وأقسمَ به إذا سَكَنَ فأَظْلَم: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، وإذا جَمَعَ ظلامَه كلَّه وادْلَهَمَّ: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾، وإذا كشف غِطاءَه عن الخلق فاستناروا: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾.

وهو آيةٌ عظيمةٌ تُرى بالأبصار؛ تدعو إلى تعظيمِ اللَّه وإفراده: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾، ورحمةٌ من رحمته بعباده: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾، وتقليبُ اللَّيلِ والنَّهارِ برهانٌ على قوَّته وإحكامِ مُلكِه، وتحدَّى الخَلْقَ جميعاً على أن يحوِّلوا اللَّيلَ نهاراً: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾، وتَدبيرُه له بتقديرٍ يجهله البشر: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾.

والتَّفكُّرُ في تدبيره يدعو إلى عبادة اللَّه وذِكْرِه وشكرِه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾، وهو مِنَّةٌ من اللَّه، أمَرَ عباده أن يشكروه عليها: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾، وهو داعٍ إلى إيمان العباد بربِّهم: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ﴾.

في اللَّيل يتثاقل أهل النِّفاق عن الطَّاعة؛ فَأَثْقَلُ الصَّلاة عليهم صلاةُ العشاء والفجر، وهو زمنُ التَّعبُّد، النَّافلةُ فيه أفضلُ من نافلةِ النَّهار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: قِيَامُ اللَّيْلِ**» (رواه مسلم)، وتَعلُّقُ القلوبِ فيه باللَّه أرجى؛ فأمر اللَّه رسولَه بالإكثار من الصَّلاة والتَّسبيح فيه: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾، واقتفى الصَّالحون أثَرَه فـ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾.

وفيه صلاةُ الوتر، واللَّهُ وترٌ يُحبُّ الوترَ، و«**صَلَاةُ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ**»، (رواه مسلم)، و«**مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ**»، و«**إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً** - مِنْ مَغِيبِ الشَّمْسِ - **لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْراً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**» (رواه مسلم)، وفي الثُّلث الأخير منه يَنْزِلُ ربُّنا إلى السَّماء الدُّنيا، فيقول: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**» (متفق عليه)، وهو زمنٌ تُرجَى فيه توبةُ التَّائبين، نزلت توبةُ الذين خُلِّفُوا في الثُّلث الأخير من اللَّيل.

والقرآنُ نزل ليلاً: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾، وأفضلُ زمنٍ لتلاوته هو اللَّيل؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾.

وفيه ليلةُ القَدْرِ خيرٌ من ألفِ شهر؛ وأُسْرِيَ بالنَّبيِّ ﷺ ليلاً. واللَّيل بظلامه مُفزِع، و«**مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ؛ كَفَتَاهُ** - أَيْ: مِنَ الشُّرُورِ -» (متفق عليه).

وفي أوَّل اللَّيلِ تَنتشرُ الشَّياطين؛ فأَمَر النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ** - أي: أوَّلُه - **فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ؛ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَحُلُّوهُمْ**» (متفق عليه).

وفي اللَّيل تُطوَى الأرضُ للمسافر، وفي صلاةِ الفجرِ تَجتمعُ ملائكةُ اللَّيل وملائكة النَّهار.

والنَّومُ مِنْ نِعمِ اللَّه الجسيمة، يحتاجُه الغنيُّ والفقير، وبفضلٍ من اللَّه جعله يسيراً في كلِّ مكان، ويَناله كلُّ مخلوق بلا ثمن، ليس بمتاعٍ يَحملُه المسافرُ فيُجْهَد، ولا بِذِي ثمنٍ لا يَجِدُ الفقيرُ ثمنَهُ فيحزن، ولا جِرْم له يَعْجِز الضَّعيفُ والصَّغيرُ عن نقلِه؛ بل تُغمَضُ العينان، فترتفعُ الرُّوح، فينالُ الجسدُ الرَّاحة والسُّكون، قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾.

وهو من آيات اللَّه العظيمة الدَّالة على قوَّته وجبروته، قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾، يُميتُ البشرَ بالنَّوم، ثمَّ يُوقظُهم متى شاء، إذا شاء، قضى سبحانه أن تكون نَومةُ أهلِ الكهف: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾، فكان ما شاء، وهو سبحانه حيٌّ قيُّومٌ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾، ولا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ**» (رواه مسلم).

والشَّيطانُ يَتَخَبَّطُ العبدَ في منامه، و«مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِي قَبْلَ نَوْمِهِ؛ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَمْ يَقْرَبْهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ» (رواه البخاري).

و«الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالرُّؤْيَا السَّوْءُ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا فَكَرِهَ مِنْهَا شَيْئاً فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ لَا تَضُرُّهُ، وَلَا يُخْبِرْ بِهَا أَحَداً، فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيُبْشِرْ وَلَا يُخْبِرْ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ» (متفق عليه).

والنَّومُ قسيمُ الموتِ ويُذكِّرُ به، قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾، وكم من نائم مات في نومته؟! ومن دعاء النَّبيِّ ﷺ عند نومه: «إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا» (متفق عليه)، و«يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ» (متفق عليه).

والاستيقاظُ بعد النَّوم نعمةٌ من اللَّه تُشكَر، وكان النَّبيُّ ﷺ إذا استيقظ قال: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» (متفق عليه)، ودَعوةُ المستيقظِ من اللَّيل مع الذِّكرِ مستجابة، وصلاتُه مقبولة، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ - أَي: اسْتَيْقَظَ - فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى؛ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ» (رواه البخاري).

ومن نام ولم يَستيقظْ للصَّلاة حتى يُصبح؛ بَالَ الشَّيطانُ في أُذُنه، وكان النَّبيُّ ﷺ إذا قام من اللَّيل يَشُوصُ فَاهُ بالسِّواك، وقال: «**إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ**» (متفق عليه).

والسَّعيدُ مَنْ تفكَّر في خلق الأرض والسَّموات، واغتنم أنفسَ دهرِه بالقربات، ودخل في ليله وخرج منه بالأعمال الصَّالحات ومجانبةِ السَّيِّئات.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۞ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

عمرُ الإنسانِ ليلُه ونهارُه، ومنزلتُه في الآخرة بأعماله في الدُّنيا، وساعاتُ اللَّيلِ خيرُ أزمان الأعمار، ووُلُوج ليلِ كلِّ يوم يُدنِي من الحساب، والبصير مَنْ سَابَق إلى الخيراتِ وابتعد عن السَّيِّئات، واللَّه مُطَّلِعٌ على عباده، يعلمُ سرَّهم وعلانيتهم، وما اقترفوه من سيِّئات في ليلٍ أو نهارٍ، فاجتهِدوا في طاعة ربِّكم، وتدبَّرُوا أحوال دهركم؛ تَقْرُبُوا من ربِّكم.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

نِعَمُ اللَّهِ لا تُحْصَى[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

معرفةُ اللَّه بأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه تُوجِبُ مَحبَّتَه وتعظيمَه وإفرادَه، ومن أسمائِه: الوهَّابُ، ومن صفاته: الكرَمُ، ومن كرمِه: ما امْتَنَّ به على عبادِه من النِّعَم؛ فأسبغَ عليهم ما لم يسألُوه إياها، ومنَحَ لهم ما سألُوه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾، وفتحَ عليهم نِعَماً من السماءِ والأرض: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾، وتذكُّرُ نعمِ اللَّه داعٍ لِشُكرِه وتوحيدِه وكثرةِ عبادتِه، وهي من أسبابِ الفَلَاح؛ قال ﷻ: ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث عشَر من شهر جمادى الآخرة، سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

واللَّهُ أَمرَ رُسُلَه بِتَذكُّرِ نِعَمِه عليهم؛ فقال لعيسى ابنِ مريم عليه السلام: ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، وقال لنبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾.

وأَمرَ الرُّسُلُ أقوامَهم بِتذَكُّرِ أَفْضالِ اللَّهِ عليهم؛ فقال هودٌ لقومِه: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ﴾، وقال صالحٌ لقومِه: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ﴾، وقال شعيبٌ لقومِه: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ﴾، وقال موسى لقومِه: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ﴾.

وقال سبحانه - مُمتنّاً على الأوسِ والخَزرَجِ -: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾، وقال لعباده المؤمنين: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، ولمَّا انْقَضَتْ غزوةُ الأحزابِ قال: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾، وقال نبيُّنا ﷺ للأنصار: «**أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟**» (متفق عليه).

وكان الصَّحابةُ ﷺ يتذاكَرون نِعَمَ اللَّه عليهم؛ فخرجَ عليهم النَّبيُّ ﷺ، فسألهم فقالوا: «جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، وَنحَمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ» (رواه مسلم)، وجلسَ الفُضَيلُ وابنُ عُيينة رحمهما الله يتذَاكرانِ النِّعَمَ إلى الصَّباح.

واللَّهُ سبحانه بفضلِه نوَّعَ النِّعَمَ لِعباده؛ منها ما هو نازلٌ من السَّماء، ومنها ما هو خارجٌ من الأرض، ومنها ما هو في جوفِها، والبحارُ المُتلاطِمةُ الأمواجِ مُذلَّلةٌ للإنسان؛ الفُلْكُ تَمْخُرُ في أعلاها، وما في بَطنِها من الصَّيدِ والطَّعام - بما فيه مَيتَتُه - حلالٌ لهم، وجواهِرُها من اللُّؤْلُؤ والمَرجان ونفائِسَ أُخَرَ حِليَةٌ لهم ومال. والنُّجومُ والكواكبُ من فوقِهم؛ منها الجواري ومنها الكُنَّس، وفيها الوهَّاجُ وفيها ما هو زينة، منها ما يُبصَر، ومنها ما لا يُرى، وما بين السَّماء والأرض رياحٌ بُشرى بين يدَي رحمته. والزَّمانُ خُلِق ودُبِّر؛ فلا نهارَ سرمَدٌ ولا ليلَ بَهِيم؛ بل هذا وذاك. والأرضَ مدَّها فلا تضيقُ بالخلق، وبالجبال أرساها وأنبتَ فيها من كلِّ زوجٍ بهيجٍ. والإنسان خلقَه وركَّبَه وفي أحسن صُورةٍ صَوَّرَه، وأمرَه بالتَّفكُّرِ بما في جسدِه من الآيات، وقال لعباده: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾؛ بل كلُّ ما في السَّموات وما في الأرض وما بينهما فهو هبةٌ من اللَّه للإنسان يَستعينُ

بها على طاعته، قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ﴾.

ولا تتمُّ على العبد النِّعَمُ إلَّا بالدِّين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾، ومن المِنَّة على هذه الأمَّة: أَنْ بعَثَ فيها أفضلَ رُسُلِه؛ قال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾، وأمرَ اللَّهُ بالفرحِ بنعمةِ نُزولِ القرآن: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «أَيْ: بِالقُرْآنِ».

ولِعظيم مِنَّةِ الهدايةِ أمرَ اللَّهُ عبادَه أن يسألُوه الثَّباتَ عليها والزِّيادة في كلِّ ركعةٍ من صلاتِهم؛ فكان من دُعائِهم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، ومَنْ رأى أنَّ اللَّهَ هداه وأدخَله الجنَّةَ، وأضلَّ غيرَه وأدخله النَّار؛ عظُمَت نعمةُ اللَّهِ عليه في قلبِه، قال تعالى إخباراً عن المؤمنِ الَّذي رأى قرينَه في النَّار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾.

والعافيةُ أعظمُ نعمةٍ دُنيويَّة، قال ﷺ: «**سَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ** - أَيِ: السَّلَامَةَ مِنَ الآفَاتِ وَالمَصَائِبِ وَالشُّرُورِ -؛ **فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطَ عَبدٌ شَيئاً أَفْضَلَ مِنَ العَافِيَةِ**» (رواه أحمد)، والفراغُ كالصِّحَّةِ في قَدْر النِّعمة، قال ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ**» (رواه البخاري).

وكَرَمُ اللَّه وافِر، وعطاؤُه جَزيل، ونِعَمُه تزيدُ بالشُّكر، ومِنْ شُكرِها: الإقرارُ بأنَّها منَ اللَّه ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾، وكان ﷺ

يقول في صباحِه ومسائِه: «اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ؛ فَلَكَ الحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ» (رواه أبو داود)، ومن شُكرِها: حمدُ اللَّهِ عليها، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» (رواه مسلم)، والتَّحدُّثُ بها من شُكرِها ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، فمِنْ شُكرِ نعمةِ الهداية: الفرحُ بأنَّ اللَّهَ هداهُ وثبَّتَه، ومن شُكرِ نعمةِ المال: التَّحدُّثُ بفضلِ اللَّه عليك به، والتَّواضُعُ لعبادِه، والإنفاقُ ممَّا أعطاك اللَّه ابتغاءَ وجْهِه، والمُعافَى يَتحدَّثُ بعافيةِ اللَّه له، ويُعمِلُ جوارِحَه في طاعتِه.

وتَذكُّرُ المحرومين من النِّعَمِ يَزيدُ من قَدرِها، وكان ﷺ إذا أوَى إلى فراشِهِ يَحمدُ ربَّهُ على النِّعَم، ويَتَذَكَّرُ مَنْ حُرِمَها؛ قال أنسٌ رضي الله عنه: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ» (رواه مسلم).

والنَّظرُ إلى من هو دونَه في الدُّنيا يَفتَحُ بابَ القناعة؛ قال ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» (متفق عليه).

والطَّاعةُ تَحفظُ النِّعمةَ وتَزيدُها، ومن أسبابِ دوامِهَا: دعاءُ اللَّه أنْ يُبقِيَها، ومن دُعاءِ النَّبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» (رواه مسلم).

وبقاءُ النِّعمةِ مَقرونٌ بالشُّكر؛ فإن لم تُشكَر زالَت؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

والمعاصِي تَدفعُ حُلولَ نعمةٍ نازِلَة، أو تَرفعُ نعمةً حادِثة، وقد لا تَرفَعُها ولكن تُنزَعُ البركةُ منها، أو تكونُ عذاباً لِصاحبِها، وما أذنبَ عبدٌ ذنباً إلَّا زالَت عنه نعمةٌ بحسب ذلك الذنبِ؛ قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «المعاصِي نارُ النِّعَم تأكلُها، كما تأكُلُ النَّارُ الحَطَبَ».

وإذا رأيتَ نِعَمَهُ سابِغةً عليك وأنت تَعصِيه؛ فاحذَرْه فقد يكون استِدراجاً لك، قال سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي العَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ؛ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاج**، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ**﴾» (رواه أحمد).

وإذا حلَّتْ بك نعمةٌ - وإن قَلَّت - فكُنْ حذِراً منها؛ فقد تكونُ سببَ هلاكِك إذا لم تُشكَر؛ في عهد النَّبيِّ ﷺ لما نزلَت قطَرَاتٌ من السَّماء قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ**» (متفق عليه)، وكلُّ نعمةٍ وإن كانت يسيرةً سيُسألُ عنها العبدُ هل شَكرَها أم جَحدَها؟ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ** - يَعْنِي: العَبْدُ - **مِنَ النَّعِيمِ، أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ؟**» (رواه الترمذي).

والنِّعَمُ بذاتِها لا تُقرِّبُ من اللَّه، وإنَّما يُستعانُ بها على طاعته؛ قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾،

وقد يُعذَّبُ المرءُ بالنِّعمةِ إذا لم يتَّقِ اللَّهَ فيها؛ قال سبحانه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾، قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمَتِّعُ العَبْدَ بِالنِّعْمَةِ مَا شَاءَ؛ فَإِذَا لَمْ يَشْكُرْ رَبَّهُ عَلَيْهَا قَلَبَهَا عَذَاباً».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فاللَّهُ وهَّابٌ كريمٌ، يدُه ملأى، سحَّاءُ الليلَ والنهارَ، وهو عليمٌ حكيمٌ، يُعطِي كلَّ عبدٍ ما يُلائِمُه من النِّعَم؛ قال سبحانه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ﴾، وهو سبحانه لطيفٌ رحيمٌ يَحْرمُ العبدَ نعمةً يتمنَّاها، أو يُنزِلُ عليه نعمةً في لِباسِ مُصيبةٍ ليرفَعَ درجتَه، والمؤمنُ يتقلَّبُ في حياته بين الشُّكرِ والرِّضا، والصَّبرِ والاستغفار.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

جُبِلَتِ القلوبُ على حُبِّ من أحسنَ إليها، ولا أحدَ أعظمُ إحساناً من اللَّه؛ فالمخلوقُ يَتقلَّبُ في جميع أحوالِه في نعَمِ اللَّه، ومَنِ استعانَ بها على مَعصيةِ اللَّه فقد جَحَدَها، ومع كثرةِ النِّعَمِ وتوارُدِها على العبادِ قلَّ مَنْ يشكُرُها؛ قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾، والمُفلِحُ مَنْ تذكَّر نعَمَ اللَّهِ عليه في القليلِ والكثيرِ وشَكَرَها.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

طَاعَةُ المَخْلُوقَاتِ لِلَّه[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التقوى؛ فمن اتَّقى ربَّه ارتقى درجات، وطابَ مآلُه بعد الممات.

أيُّها المسلمون:

اتَّصفَ اللَّهُ تعالى بِصفاتِ الكمالِ والجمال، وتنزَّهَ عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ، هو غنيٌّ عمَّا سِواهُ من المخلوقات وهي مُفتقِرةٌ إليه؛ قال سبحانه: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾، ذُو الجلالِ والكِبْرياء، ذلَّ له كلُّ شيءٍ وأسلمَ طوعاً وكَرهاً، استسلمَ له المؤمنُ بقلبِه وظاهِره، والكافرُ مُستسلمٌ له كَرهاً بالتَّسخير والقَهْر، قال ﷻ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث والعشرين من شهر شوال، سنة أربع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

دانَ الجميعُ للَّه؛ فَمَنْ في السَّمواتِ والأرضِ والطَّيرُ كلُّها تُصلِّي للَّه، وتَعبُده بحسب حالِها اللَّائِق بها؛ قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ﴾، وتدخلُ الملائكةُ كلَّ يومٍ البيتَ المعمورَ في السماء تُصلِّي فيه للَّه، قال ﷺ في حديث الإسراء: «**فَرُفِعَ لِيَ البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**» (متفق عليه).

وجميعُ الكائناتِ تَسجُدُ خاضِعةً ذليلةً لِلَّه، قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولا يجبُ أن يكون سجودُ كلِّ شيءٍ مثلَ سجود الإنسان».

والدَّوابُّ والملائكةُ تسجُد خوفاً من اللَّه؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

والشَّمسُ تذهبُ كل يومٍ تحتَ العرشِ وتَسجُدُ للَّه، قال عليه ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه حِينَ غَربت الشَّمس: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟** قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ**» (متفق عليه)، قال ابنُ العربيِّ رحمه الله: «وَلَا مَانِعَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ أَنْ يُمَكِّنَ كُلَّ شَيْءٍ - مِنَ الحَيَوَانِ وَالجَمَادَاتِ - أَنْ يَسْجُدَ لَهُ»؛ بل كلُّ ما له ظلٌّ في

الكون يسجُد للَّه؛ قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾.

ومعَ صلاة المخلوقات للَّهِ وسُجودِهم له فإنَّهم يُسبِّحونه، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾، والرَّعدُ يُسبِّحُ بحمده وَجَلاً منه، والنَّملُ يُقدِّسُ اللَّه ويُنزِّهُه عن الشَّريك والمثيل؛ قال ﷺ: «**قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيّاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ؛ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ!**» (متفق عليه).

والنَّباتُ يُسبِّحُ اللَّهَ وحده، قال ابن القيِّم رحمه الله: «فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ الَّذِي يَعْلَمُ مَسَاقِطَ تِلْكَ الأَوْرَاقِ وَمَنَابِتِهَا، فَلَا تَخْرُجُ مِنْهَا وَرَقَةٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَسْقُطُ إِلَّا بِعِلْمِهِ، وَمَعَ هَذَا فَلَوْ شَاهَدَهَا العِبَادُ عَلَى كَثْرَتِهَا وَتَنَوُّعِهَا وَهِيَ تُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهَا مَعَ الثِّمَارِ وَالأَفْنَانِ وَالأَشْجَارِ، لَشَاهَدُوا مِنْ جَمَالِهَا أَمْراً آخَرَ، وَلَرَأَوْا خِلْقَتَهَا بِعَيْنٍ أُخْرَى، وَلَعَلِمُوا أَنَّهَا لِشَأْنٍ عَظِيمٍ خُلِقَتْ»، وكان الصَّحابةُ رضي الله عنهم وهم مع النَّبيِّ ﷺ يسمَعون تسبيحَ الطَّعام، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ» (رواه البخاري)، وكلُّ ذرَّةٍ في الكون تُوحِّدُ اللَّه؛ قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾، قال ابن كثيرٍ رحمه الله: «وَهَذَا عَامٌّ فِي الحَيَوَانَاتِ وَالجَمَادَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ»، وكيفيةُ التَّسبيح لا يعلمُها إلَّا اللَّه؛ قال جل جلاله: ﴿وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، ومع تَسبيح الحجارة للَّه تَهبِطُ من عُلوِّها خشيةً للَّه خاضعةً مُنكسِرةً له؛ قال جل جلاله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾.

والسَّماءُ والأرضُ مُطيعةٌ للَّه مُمتثلةٌ أمرَه، قال لهما: استجِيبَا لأمري طائعتَين أو مُكرهتَين ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾، ولمَّا عُرِض عليهما وعلى الجبال حَمْلُ الأمانة التي هي التَّكاليفُ الشَّرعية - ولهنَّ ثوابٌ إن فَعلْن ذلك، وإن لم يَقُمْن بها فعليهنَّ العقاب - أَبَيْنَ حَمْلَها خوفاً أن لا يَقُمْنَ بما حُمِّلْنَه لا عِصياناً لربِّهنَّ.

وجماداتٌ تُحِبُّ رسولَ اللَّه ﷺ، وكانت تُسلِّم عليه في حياته، قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الآنَ**» (رواه مسلم)، وجِذعُ نخلةٍ فارقَهُ النَّبيُّ ﷺ، فَحَنَّ له الجِذعُ وبكى، قال جابرٌ رضي الله عنه: «كَانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفاً عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ - أَيْ: وَتَرَكَ الجِذْعَ - فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتاً كَصَوْتِ العِشَارِ - أَيِ: النُّوقِ الحَوَامِلِ - حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا؛ فَسَكَنَتْ» (رواه البخاري)، وكان الحسنُ البصري رحمه الله إذا حدَّث بهذا الحديث يقول: «يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ! الخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَوْقاً إِلَى لِقَائِهِ؛ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَيْهِ».

واتِّباعُ هَدْيِ النَّبيِّ ﷺ من غير غلوٍّ ولا تفريطٍ؛ مِنْ صدْقِ مَحبَّته، وصخرةٌ تحرَّكت حين صعِد عليها النَّبيُّ ﷺ وأكابرُ صحابته، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حِرَاءٍ - جبلٍ بمكةَ - هُوَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **اهْدَأْ! فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ،**

أَوْ شَهِيدٌ» (رواه مسلم)؛ بل اهتزَّ جبلٌ بأكمله لَمَّا صعِدَه النَّبيُّ ﷺ مع خلفاءَ راشِدين، قال أنسٌ رضي الله عنه: «صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ أُحُداً، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ، قَالَ: **اثْبُتْ أُحُدُ! فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدَانِ**» (رواه البخاري)، قال ابن المُنيِّر رحمه الله: «وهذه هزَّةُ الطَّرَب، ولهذا نَصَّ على مقام النُّبُوَّة والصِّدِّيقيَّةِ والشَّهادةِ التي تُوجِبُ سُرورَ ما اتَّصلت به»، ومن أطاعَ اللَّهَ ورسولَه وهو مؤمنٌ فإنَّ جَبلَ أُحُدٍ يُحبُّه، قال عليه الصلاة والسلام: «**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**» (متفق عليه)، قال النَّوويُّ رحمه الله: «أُحُدٌ يُحبُّنا حقيقةً، جعلَ اللَّه تعالى فيه تمييزاً يُحِبُّ به».

وكان عند آلِ رسول اللَّه ﷺ حيوانٌ وحشيٌّ إذا دخل النَّبيُّ ﷺ بيتَه لَمْ يَتحرَّكِ الحَيوانُ لِئَلَّا يُؤذِيَ النَّبيَّ ﷺ؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ لِآلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحْشٌ، فَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَعِبَ وَاشْتَدَّ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا أَحسَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ دَخَلَ، رَبَضَ، فَلَمْ يَترَمْرَمْ - أَيْ: جَلَسَ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ - مَا دَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي البَيْتِ، كَرَاهِيَةَ أَنْ يُؤْذِيَهُ» (رواه أحمد).

وجميعُ المخلوقاتِ - سِوى العاصِي من الثَّقلين - تَعْلَمُ أنَّ مُحمَّداً رسولُ اللَّه، قال جابرٌ رضي الله عنه: «أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَفَرٍ، حَتَّى إِذَا دَفَعْنَا إِلَى حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ بَنِي النَّجَّارِ، إِذَا فِيهِ جَمَلٌ لَا يَدْخُلُ الحَائِطَ أَحَدٌ إِلَّا شَدَّ عَلَيْهِ - أَيْ: هَاجَ عَلَيْهِ - فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ حَتَّى أَتَى الحَائِطَ، فَدَعَا البَعِيرَ، فَجَاءَ وَاضِعاً مِشْفَرَهُ إِلَى الأَرْضِ

- وَالمِشْفَرُ كَالشَّفَةِ مِنَ الإِنْسَانِ - حَتَّى بَرَكَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **هَاتُوا خِطَاماً**، فَخَطَمَهُ وَدَفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى النَّاسِ، وَقَالَ: **إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا عَاصِيَ الجِنِّ وَالإِنْسِ**» (رواه أحمد).

ومَنْ كانَ مِنْ علماءِ الإسلام فإنَّ مَنْ في السَّموات والأرض حتَّى الحِيتانُ تدعُو له بالمغفرة؛ قال ﷺ: «**وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، وَالحِيتَانُ فِي جَوْفِ المَاءِ**» (رواه أبو داود)، وجميعُ الشَّجرِ غيرَ الغَرْقَدِ يُوالِي المُؤمنين وينصُرُهم؛ قال ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ المُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ! يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ**» (رواه مسلم)، ومِنَ المَخلوقاتِ ما يُلَبِّي بتلبِيَة المُسلم؛ قال ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي** - أَيْ: فِي الحَجِّ أَوِ العُمْرَةِ -؛ **إِلَّا لَبَّى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ** - أَيْ: طِينٍ -، **حَتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ هَهُنَا وَهَهُنَا**» (رواه الترمذي).

وتَبكِي السَّماءُ والأرضُ حُزناً على فراقِ المؤمن، قال سبحانه عن قوم فرعون: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «إذا فَقَدَ المؤمنَ مُصلَّاه من الأرض التي كان يُصلِّي فيها ويذكُر اللَّه فيها بكَت عليه السَّماءُ والأرض»، وأمَّا العُصاةُ فإنَّ المخلوقاتِ تتأذَّى منهم، وإذا ماتوا استراحَت منهم؛ مُرَّ على النَّبيِّ ﷺ

بِجنازةٍ فقال: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا المُسْتَرِيحُ وَالمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ البِلَادُ وَالعِبَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ» (متفق عليه).

والشِّركُ باللَّه أعظمُ الذُّنوب، وإذا سمعَتِ الجماداتُ شركاً به تعالى فَزِعَتْ تعظيماً للَّه لِتنقُّصِ حقِّه في الألوهية؛ قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۞ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۞ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾، قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَيْ: يَكَادُ يَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ سَمَاعِهِنَّ هَذِهِ المَقَالَةَ مِنْ فَجَرَةِ بَنِي آدَمَ إِعْظَاماً لِلرَّبِّ وَإِجْلَالاً؛ لِأَنَّهُنَّ مَخْلُوقَاتٌ وَمُؤَسَّسَاتٌ عَلَى تَوْحِيدِهِ»، ونَطق طائرٌ بالإنكار على المُشركين من بني آدم لشِركِهم باللَّه، ودعاهم إلى التَّوحيد؛ قال الهُدهُدُ لسليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾، ولمَّا كان الهُدهُد داعياً إلى الخير وعبادة اللَّه وحده والسُّجود له؛ نُهِيَ عن قتله (رواه أحمد).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالكلُّ من الملائكةِ والجماداتِ والنَّباتاتِ والحيواناتِ نطقَ بِتنزيهِ اللَّه وتوحيدِه، وسجدَ للَّهِ وأطاعَه، وحَقيقٌ بابن آدم أن يكونَ كذلك، لا سيَّما وأنَّ اللَّهَ سخَّر له ما في السَّموات وما في الأرض لِيعبدَ اللَّه، وإذا حقَّق الإنسانُ العبوديةَ كان أشرفَ المخلوقات، ومَنْ أَشْرَكَ به كانت الدَّوابُّ أتمَّ منه؛ قال سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

المخلوقاتُ ذليلةٌ للَّه قانتةٌ له، ومِنَ الشِّركِ أن يُدعَى شيءٌ منها من دون اللَّه، قال سبحانه: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، ومَعَ قُنوتِها للَّه فهي مُسخَّرةٌ لنا لِنَستعينَ بها على طاعته؛ قال ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾، ومَنْ أطاعَ ربَّه رفعَه اللَّه، وأعلى مكانته.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

العُقُوبَاتُ الإِلَهِيَّة(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فبتقوى اللَّه تُسْتَجْلَبُ النِّعَم، وبالبُعد عنها تَحِلُّ النِّقَم.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللَّه العبادَ لِعبادتِه وبيَّن لهم طريقَ الهداية من طريق الضَّلالة؛ فَمَنْ أطاعَه نال السَّعادة، وَمَنْ عَصَاه أعدَّ له عذاباً شديداً، قال ﷻ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾.

واللَّهُ سبحانه قويٌّ قدير؛ إذا نزل عذابُه لم يَردَّهُ أحد؛ ولهذا حذَّر العبادَ من نَفْسِه وغَضَبِه وعذابِه فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، والعقوبةُ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى، سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الإلهيَّةُ سُنَّةٌ من سُنَنِ اللَّهِ التي لا تتغير، قال ﷻ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

وكانتِ الأممُ السَّالفةُ تُعذَّبُ باستئصالِها جميعاً - كقوم نوحٍ وعادٍ وثمود -؛ قال جلَّ شأنُه: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ولمَّا بَعثَ اللَّهُ موسى عليه السلام رَفعَ اللَّهُ برحمته عذابَ إهلاكِ الأمَّةِ جميعاً، قال جَلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَكَانَ قَبْلَ نُزُولِ التَّوْرَاةِ يُهْلِكُ اللَّهُ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ بِعَذَابِ الِاسْتِئْصَالِ عَذَاباً عَاجِلاً يُهْلِكُ اللَّهُ بِهِ جَمِيعَ الْمُكَذِّبِينَ»، ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ سأَل ربَّه أن لا يُهلك أُمَّته جميعاً؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ** - أَيْ: بالجُوعِ -؛ **فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالغَرَقِ؛ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ؛ فَمَنَعَنِيهَا**» (رواه مسلم).

وعذابُ كُلِّ أمَّةٍ يتفاوتُ بتفاوتِ ذنوبِهم، وأولُ عذابٍ أنزله اللَّهُ في الأرض هو الغرق، قال جلَّ شأنه عَنْ قومِ نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾، وأَغْرَقَ فرعونَ وجنودَه به؛ فقال: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾، ومملكةُ سَبأ أهلكها اللَّه بالماء؛ فقال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾، وهدَّدَ الآمنين مِنْ مَكْرِهِ بالغرق؛ فقال: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم﴾.

وَأَرسَل على قومِ عادٍ ريحاً عاتية ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾، وكان عليه الصلاة والسلام إذا رأى غيماً أو ريحاً خَشِيَ منها، قالت

عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! النَّاسُ إِذَا رَأَوُا الغَيْمَ فَرِحُوا رَجاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ المَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الكَرَاهِيَةُ، فَقَالَ: **يَا عَائِشَةُ! مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؛ قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ العَذَابَ، فَقَالُوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾**» (متفق عليه).

وأخَذَتْ قومَ صالحٍ صيحةٌ قطَّعت قلوبَهُم: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾، وتَوَعَّد اللَّهُ المشركين بمِثل هذا العذاب؛ فقال: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾.

ولمَّا كَفر قومُ لوطٍ وارتكبوا الموبقاتِ أَرْسَلَ عليهم حجارةً وقلَبَ ديارَهم؛ فقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾، وَهَمَّ أصحابُ الفيلِ بهدم الكعبةِ ونقضِ حجارتِها؛ فنزلتْ عليهم حجارةٌ من السَّماء: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾.

وقارونُ علَا وظلَمَ فأهانه في سافلِ الأرض، قال سبحانه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾. وحذَّر العُصاةَ من هذا العذاب فقال: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾، و«**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ؛ فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**» (متفق عليه).

وَمَنْ لَمَ يشكرْ نعمةَ الأمنِ والرَّخاءِ سَلَبَهُ إيَّاهُما، قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟

يَصۡنَعُونَ﴾؛ وَعَذّب بني إسرائيل بتسليط الأعداءِ عليهم إلى يوم الدِّين؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ﴾، والذُّلُّ والهوانُ لا يُفارقُهم بما اقترفوا من خطايا، قال سبحانه: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾.

وَعَذَّب اللَّه أقواماً بمسخ صوَرِهم إلى غير صُورةِ البشر؛ فأصحابُ السَّبْتِ احتالوا على ما حرَّم اللَّهُ فمسخهم قِردة؛ قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾، ومَسَخَ مِنْ بني إسرائيلَ قِرَدةً وخنازير، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾، وسيقعُ في هذه الأمَّةِ مثلُ ذلك، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ - أَي: الزِّنَى -، وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ، وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ - أَيْ: جَبَلٍ - يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ - أَيْ: بِغَنَمٍ لَهُمْ -، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي: الفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَداً؛ فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ - أَيْ: يَدُكُّ الجَبَلَ -، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» (رواه البخاري).

و«غَضِبَ اللَّهُ عَلَى سِبْطٍ مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَسَخَهُمْ دَوَابَّ يَدِبُّونَ فِي الأَرْضِ» (رواه مسلم)، وأرسل على آلِ فرعونَ الطُّوفانَ والجرادَ والقُمَّلَ والضَّفادعَ والدَّم؛ وأَحَلَّ العداوةَ والبغضاءَ بين اليهود فلا تَجتمعُ قلوبُهم أبداً؛ قال سبحانه: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾.

والطَّاعونُ مِنْ عذابِ اللَّه؛ قال ﷺ: «الطَّاعُونُ رِجْسٌ، أُرْسِلَ

عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - أَوْ: **عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** -» (رواه البخاري).

ورأى النَّبيُّ ﷺ من قريشٍ إدباراً في أوَّلِ دعوتِه وآذَوْه؛ فدعا عليهم وقال: «**اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ** - أَيْ: دَعَا عَلَيْهِمْ بِالْجُوعِ -؛ فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ - أَيْ: أَذْهَبَتْ - كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الجُلُودَ وَالمَيْتَةَ وَالجِيَفَ» (متفق عليه)، وأرسل اللَّه مَلَكَ الجبالِ للنَّبيِّ ﷺ، وقال له: «**إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ** - أَيْ: عَلَى قُرَيْشٍ - **الأَخْشَبَيْنِ؟** - وَهُمَا جَبَلَانِ عَظِيمَانِ فِي مَكَّةَ -» (متفق عليه).

ولَحِقَ سراقةُ بنُ مالكٍ بالنَّبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ رضي الله عنه وهما في طريق الهجرةِ لِيُخْبِرَ قريشاً عنهما؛ فلمَّا رآه النَّبيُّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ**؛ فَصَرَعَهُ الفَرَسُ، ثُمَّ قَامَتْ تُحَمْحِمُ - أَيْ: تُخْرِجُ صَوْتاً -» (رواه البخاري).

وعصى رجلٌ أَمْرَ النَّبيِّ ﷺ؛ فَشُلَّتْ يدُه في حِينِهَا؛ كان الرَّجلُ يأكلُ بِشِمَالِه، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **لَا اسْتَطَعْتَ**، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ، قال الرَّاوي: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ» (رواه مسلم).

ودخل النَّبيُّ ﷺ على أعرابيٍّ مريض فقال له: «**لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ** - أي: أنَّ المرضَ يُكفِّر الخطايا -، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ - مُتسخِّطاً على قَدَرِ اللَّه -: قُلْتَ: طَهُورٌ؟ كَلَّا؛ بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ - أَوْ: تَثُورُ - عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **فَنَعَمْ إِذاً** - أَيْ: سَتَكُونُ

كَمَا ظَنَنْتَ أَنَّهَا سَتُمِيتُكَ -» (رواه البخاري)، وعند الطَّبرانيِّ: «فَأَصْبَحَ الرَّجَلُ مَيِّتاً».

و«أَسْلَمَ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ؛ فكان يكتبُ للنَّبيِّ ﷺ، فَارْتَدَّ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ، فَدَفَنُوهُ؛ فلَفَظَتْهُ الأرضُ، فَحَفَرُوا له ثَانِيةً فأَعْمَقُوا؛ فلَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَعَلُوا ذَلِكَ ثَلَاث مرَّاتٍ والأرضُ تَلْفِظُه؛ فَتَرَكُوهُ» (متفق عليه).

ولمَّا قرأ كِسْرى كتابَ النَّبيِّ ﷺ مَزَّقَه؛ فَمَزَّق اللَّه مُلْكَه، قال الزُّهريُّ رحمه الله: «فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ المُسَيَّبِ قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُمَزَّقَ كُلَّ مُمَزَّقٍ» (رواه البخاري).

وَمَا أبْغَضَ أَحدٌ النَّبيَّ ﷺ وتطاولَ عليه إلَّا بَتَرَهُ اللَّه بقطعِ ذِكْرِهِ ونَسْلِه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، وَمَنْ نَالَ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم شيئاً فَإنَّ اللَّه يَنْتَقِمُ مِنْه، قال القاضي أبو الطَّيِّبِ رحمه الله: «كُنَّا فِي مَجْلِسِ النَّظَرِ - أَيِ: المُنَاظَرَةِ - بِجَامِعِ المَنْصُورِ، فَقَالَ شَابٌّ: أَبُو هُرَيْرَةَ غَيْرُ مَقْبُولِ الحَدِيثِ، فَمَا اسْتَتَمَّ كَلَامَهُ حَتَّى سَقَطَ عَلَيْهِ حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ سَقْفِ الجَامِعِ، فَوَثَبَ النَّاسُ مِنْ أَجْلِهَا - أَيْ: جَلَسُوا فَزِعِينَ -، وَهَرَبَ الشَّابُّ مِنْهَا وَهِيَ تَتْبَعُهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُبْ، فَقَالَ: تُبْتُ، فَغَابَتِ الحَيَّةُ، فَلَمْ يُرَ لَهَا أَثَرٌ».

وقد يُعاقَبُ المرءُ بقطعِ رزقِه؛ قال جلَّ شأنُه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾.

وَأَعْظَمُ عُقُوبَةٍ في الدُّنْياَ العُقُوبَةُ فِي الدِّين، فَمَنْ صَدَّ عَن دِينِ اللَّه أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْه؛ قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، وَمَنْ

نقضَ ميثاقَ ربِّهِ وأَشْرَكَ معَ اللَّه غيرَه عُوقبَ بقسوةِ القلب؛ قال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾.

وَمَنْ دعا غيرَ اللَّه نُزعتْ من قلبِه محبةُ اللَّه وأَحَبَّ ما سواه، قال سبحانه: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾، وَمَنْ تعلَّق تميمةً تخلَّى اللَّهُ عنه ووَكَلَهُ إلى ما علَّقَ، قال ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً؛ وُكِلَ إِلَيْهِ**» (رواه الترمذي)، وَقَدْ يُعَاقَبُ المرءُ في دينِه بحبوطِ عملِه، قال ﷺ: «**وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؛ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**» (رواه مسلم).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فَعذابُ اللَّهِ شديد، وعِقابُه سريع، وأَخْذُه أليم، وَوَعْدُه حَقّ، وبيدِهِ مقاليدُ السَّموات والأرض، وَلا يُعْجِزهُ شيء، وَمَا يَعْلمُ جُنودَه إلَّا هو، وأمْرُه كَلَمْحِ البَصَر، وإذا عصى العبدُ ربَّه هَانَ عليه، واستَدْرَجَه من حيثُ لا يَعلمُ، وهو سبحانه لا يَخفى عليه شيءٌ من أعمالِ خَلْقِه، فَمَنْ عملَ صالحاً شُكِرَ، ومَنْ أساء عُوقِبَ، والعاقلُ لا يَستهينُ بمعاصي اللَّه فلا يَعلمُ أيَّها تُهلِكُه؟!

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

قصَّ اللَّه علينا قَصَصَ مَنْ قَبْلَنا للعِظَةِ والعِبْرَة، وهو بحكمتِه وعَدْلِه يُظهِرُ للنَّاس أعمالهم في قوالبَ وصورٍ تُناسبُها، فتارةً بقحطٍ وجدب، وتارةً بعدوٍّ، وتارةً بأمراض عامَّة، وتارةً بهمومٍ وآلام وغموم، وتارةً بِمَنْعِ بَركاتٍ من السَّماء والأرضِ وقَطْعِ الرِّزق، ومَنْ تابَ رَفعَ عنه عذابَه، وَمَنْ أنابَ إليهِ أعْلى درجَته.

والعقوباتُ سببُها العبدُ نفسُه؛ قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾، وإذا تأخَّر العذابُ قَدْ يكونُ استدراجاً أو إمهالاً؛ قَالَ جلَّ شَأنه: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، قال القُرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَأْخِيرُ العَذَابِ لَيْسَ لِلرِّضَا بِأَفْعَالِهِمْ؛ بَلْ سُنَّةُ اللَّهِ إِمْهَالُ العُصَاةِ مُدَّةً»؛ فاحذرُوا المعاصي؛ قليلَها وكثيرَها، سرَّها وعَلانِيتَها.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الثَّالث

تَوحِيدُ الأُلوهيَّة

عَقِيدَةُ المُسْلِمِ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمن اتَّقى ربَّهُ نجا، ومَنْ صدَّقه لم يَنلْه أذى، ومَنْ رجاه كان له نِعْم المُرتجى.

أيُّها المسلمون:

إنَّ دينَ الإسلام في غاية الكمال، دِينٌ شاملٌ لِجميعِ مصالحِ البشر، فيه من العبادات والمعاملات والحدود والتَّعزيرات ما يزُكِّي الفرد والجماعة، ويحفظ المجتمع من الفوضى والاضطراب، وما يَردَع النُّفُوس البشريَّة ويكبَح جماحها عن ارتكاب المنكرات واجتراح السَّيِّئات، يَسْمُو بالإنسان عن دنايا الأمور، ورديءِ الأخلاق، لا سعادةَ لأيِّ فردٍ في الحياة إلَّا بتمسُّكِه بدينه، والحسنةُ تَعظُم، ويَكثرُ ثوابُها بزيادة الإيمان والإخلاص، والعملُ يُحبَطُ ثوابُه بالإشراك.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع عشَر من شهر ذي الحِجة، سنة إحدى وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ولقد كان في قريشٍ أُناسٌ يَتعبَّدون ويَحجُّون ويَعتمرُون ويَتصدَّقون ويَصِلُون الرَّحِم، ويُكرمون الضَّيف، ويَعترفون أن اللَّه وحده هو المُتفرِّد بالخلق والتَّدبير، ويُخلصون للَّه العبادةَ في الشَّدائد، ولكنهم يتَّخذون وسائط بينهم وبين اللَّه، يدعونهم ويذبحون لهم ويَنذُرون لهم ويَستغيثون بهم لِيشفَعوا لهم، زعماً منهم أنهم أقربُ منهم إلى اللَّه وسيلةً، فبعث اللَّه مُحَمَّداً يجدِّدُ لهم دين أبيهم إبراهيم ﷺ ويُخبرُهم أنَّ العبادةَ محضُ حقٍّ للَّه، وأنَّ فِعلَهم هذا أفسدَ جميعَ ما هم عليه من العبادات، ثمَّ قاتلَهم لِيَكونَ الدُّعاءُ والذَّبح والنَّذر والاستغاثة وجميعُ أنواع العبادة كلُّها للَّه وحده.

وطلبُ شفاءِ المرضى وغفرانِ الذُّنوب وغير ذلك ممَّا لا يقدر عليها إلَّا اللَّه، لا تُطلب إلَّا منه سبحانه، والقبورُ والأضرحةُ لا تُقصَدُ لأجل الدعاءِ والصلاةِ عندها، إنَّما القبورُ هي مساكنُ للموتى إمَّا نعيمٌ عليهم، وإمَّا جحيم.

ومِنْ أَعظمِ العصيانِ الاستغاثةُ بهم، والاستغاثةُ بالمخلوق فيما لا يقدر عليه؛ كاستغاثة الغريق بالغريق، وما رجا أحد مخلوقاً رجاء كاملاً إلَّا خاب ظنُّه فيه؛ فتوجَّهْ إلى اللَّه؛ فاللَّهُ يرزق بسبب وبلا سبب، ومن حيث لا تحتسب، وكفى باللَّه وليّاً ونصيراً.

وكفَّارة الشِّرك: التَّوحِيدُ، والحسناتُ يذهبن السَّيِّئات، ومَنْ رَجَا من غيرِ ربِّه قضاءَ حاجتِه وصَرَفَ القلبَ عن التَّعلُّق بخالقه؛ عاش خيالاً وطلب مُحالاً.

وطلبُ دفعِ الأذى من غير اللَّه بالرُّقى والتَّمائم تعلُّقٌ بغير اللَّه، يقول ﷺ: «**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**» (رواه أحمد)، والتَّميمةُ جمادٌ لا تَرُدُّ من أمر اللَّه شيئاً، لا تَعصِم مِنَ الآفات، ولا تَمْنعُ المكروهات، ولا تُحَقِّق المبتغى، ومن عَلَّقها على أعناق الصِّبيان أو النِّساء أو غيرهم وَكَله اللَّه إليها وخَذلَه؛ فتَعَلَّقْ باللَّه وأنزل حوائجَكَ به والْتَجِئْ إليه وفوِّضْ أمْرَكَ إليه تُكْفَ حاجتَك وينشرحْ صدُرك: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، وإذا كفى اللَّهُ عَبْدَه المُتوكِّلَ عليه، ووقاه، فلا مَطمعَ فيه لِعدوٍّ، ولا تَجْعلْ تَوكُّلَك عَجْزاً، ولا عَجْزَك توكلاً.

وإتيانُ السَّحَرةِ والعرَّافين وتَصديقُ خُرافاتِهم، وسؤالُهم المغيَّباتِ والمستقْبَلات، وطَلَبُ الصَّرفِ أو العطفِ منهم أو الرِّضا به قدحٌ في المعتقَد وخللٌ في التَّوكُّل، وتَجزُّعٌ على المكتوب، وتَسَخُّطٌ على المقدور، يقول ﷺ: «**مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**» (رواه أحمد).

ورِزْقُ اللَّه لا يَجرُّه حرصُ حريصٍ ولا يَردُّه كراهيةُ كاره؛ يقول الحسنُ البَصريُّ رحمه الله: «لَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لَنْ يَأْكُلَهُ غَيْرِي اطْمَأَنَّ قَلْبِي»، وإتيانُ ذوي الشَّعوذة لا يُعَجِّلُ الرِّزقَ ولا يُؤَخِّرُ الأجلَ، يقولُ القرطبيُّ رحمه الله: «يَجِبُ عَلَى مَنْ قَدِرَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مُحْتَسِبٍ وَغَيْرِهِ أَنْ يُنكِرَ عَلَيْهِمْ - أَيْ: عَلَى السَّحَرَةِ وَالمُشَعْوِذِينَ - وَعَلَى مَنْ يَجِيءُ إِلَيْهِمْ أَشَدَّ النَّكِيرِ».

واحفظْ يَمينَك ولو كنت صادقاً تَعظيماً لِجَنابِ ربِّك، ولا تَحلفْ إلَّا باسمٍ من أسماء اللَّه أو صفةٍ من صفاته، ولا تَحلفْ بغيره سبحانه؛ كالكعبة، والنبيِّ، والأمانة، والوليِّ.

وأَيْقِنْ بِقَدَرِ اللَّه وخَلْقِه وتَدبيرِه، واصبِر على بلائِه وحُكمِه، واستسلِم لأمره، فالدُّنيا طافحة بالأنكاد والأكدار، مطبوعة على المشاقِّ والأهوال؛ فكن مؤمناً بالأقدار؛ فالإيمان بها ركنٌ من أركان الدِّين، وليس كلُّ ما يُتَمَنَّى يُدرَك، وبالإلحاحِ في الدُّعاءِ والتَّوجُّهِ إلى اللَّه بالكليَّةِ تُفْتَحُ الأبوابُ ويَتَحَقَّقُ المَرغوب.

وعلى المؤمنِ أن يكونَ خوفُه ورَجاؤُه واحداً؛ فأيُّهما غَلَبَ هَلَكَ صاحبُه، فمَنْ غَلَبَ خوفُه وقع في نوعٍ مِنَ اليأْس، ومَنْ غَلَبَ رَجاؤُه وقعَ في نوعٍ من الأمنِ مِنْ مَكْرِ اللَّه، والخوفُ المحمودُ ما حَجَزَكَ عن محارم اللَّه.

وإذا لم تَجدْ للعمل حلاوةً في قلبك فاتَّهِمْه فإنَّ الرَّبَّ شكور، وفي الدُّنيا جَنَّةٌ مَنْ لم يدخلْها لا يدخلْ جنَّةَ الآخرة، والمحرومُ مَنْ حُجِبَ قَلبُه عن ربِّه، والمأسورُ من أَسَرَهُ هواه، وإقامةُ الصَّلاةِ معَ جماعةِ المسلمين في بيوتِ اللَّه تَزيدُ الإيمان، وتُضيءُ الوجهَ، وتَحجِز عن المُحرَّمات؛ قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾.

والمَأكلُ والمَشربُ الحلالُ دليلٌ على سَلامةِ الإيمانِ وحُسنِ المسلَك، وسببٌ في إجابة الدُّعاء؛ يقول ﷺ: «**يَا سَعْدُ! أَطِبْ**

مَطْعَمَكَ؛ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ»، وبِتجنُّبِ المعاطاة بالرِّبا، أو التَّعامل بالمُحرَّم تَسْمُو نفسُك وتَطْهرُ رُوحُك.

واجْعلْ تعامُلَك مع الآخرين على ضابطِ الحُبِّ والبُغْضِ في اللّه، فمَنِ الْتَمسَ رضا اللّه بِسَخَطِ النَّاسِ كفاهُ اللّه مؤنةَ النَّاس.

واحذرِ الظُّلمَ؛ فالظُّلمُ ظلامٌ مضاعفٌ في الآخرة، والمظلومُ مستجابُ الدَّعوةِ، مُحقَّقُ المطلَب، فلا تَمْنعِ الآخرين حُقوقَهم، ولا تَعْتدِ عليها، والظُّلمُ لا يَنفَكُّ عن تركِ حسنةٍ أو فعل سيئةٍ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

إنَّ العاقلَ مَنِ اشتغلَ بعيوبِ نفسِه عن عيوبِ غيره، وقام مجتهداً بطاعةِ ربِّه، ولا بُدَّ للسَّالك إلى اللّه من هِمَّةٍ تُسيِّره وتُعليه، وعلمٍ يُبصِّرُه ويَهديه، فَسِرْ إلى اللّه بين مُشاهدةِ المِنَّةِ ومُطالعةِ عَيْبِ النَّفْس، واحذرِ الوقوعَ في أعراضِ المسلمين بالغِيبَة والبُهتان؛ يقول ﷺ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» (متفق عليه).

ولا يَحملْك الحسدُ والهوى على البُهتان، فالحسدُ أشدُّ الأخلاق وبالاً، والإنسان مجبولٌ على حبِّ التَّرفُّع على بني جنسه، والذَّمُّ مُتوجِّهٌ إلى مَنْ يَعملُ بمقتضى التَّسخُّط على القدر، أو ينتصبُ لِذمِّ المحسود، فَاكْرَهْ تلك الذَّميمة على نفسِك، واستعمل معها التَّقوى، فمَنِ اتَّقى وصبرَ نفعَه اللّه بتقواه، وتَحلَّ بأعالي الأخلاق، وداومْ على العبادة؛ فكثرةُ العبادةِ تَدفعُ الرِّياء، والاستعانةُ باللّه تمنعُ الكِبْرِيَاء، وبالأمر

بالمعروف والنَّهي عن المنكر يُدفعُ البلاء، وتَجنَّبِ المعاصيَ دِقَّها وجِلَّها؛ فإنَّها تُوهنُ القلبَ والبدن، وتُزيلُ النِّعَم وتَجلِبُ النِّقَم، والشَّيطانُ يُزيِّنُ للإنسان المعصيةَ، ويُنْسيهِ العقوبة، ويُلَوِّحُ له بِسَعةِ الرَّحمة؛ لِيُوقِعَه في الذَّنبِ مَرَّة بعد أخرى، فيَضْعُفَ سيرُه إلى اللَّه والدَّارِ الآخرة، وقد نَصبَ للإنسان الحبائلَ وابتغى الغوائلَ، فلا تتبّعْ خُطاه، ولا تتأخّرْ عن مجاهدته، وأَكثِرْ مِنْ عَمَلِ الطَّاعات، فمِنْ علامةِ قبول الحَسَنةِ الحسنةُ بعدها.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

فإنَّ معَ الحياةِ موتاً، وإنَّ مع الدُّنيا آخرةً، وإنَّ لكلِّ شيءٍ حَسيباً وعلى كلِّ شيءٍ رقيباً، وإنَّ لكلِّ حسنةٍ ثواباً، ولكلِّ سيئةٍ عِقاباً، وإنَّ لكلِّ أجلٍ كتاباً، ولا بدَّ من قرين يُدفنُ معك وهو حيٌّ، وتُدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لَئيماً أساء لك، ثمَّ لا يُحشر، إلَّا معك، ولا تُبعثُ إلَّا معه، ولا تُسأل إلَّا عنه، فلا تَجعلْه إلَّا صالحاً، فإن كان صالحاً لم تَستأنسْ إلَّا به، وإن كان سيِّئاً لم تستوحش إلَّا منه؛ وهو عملُك!

فأَكْثِرْ من صالحِ العمل، واسْتَقِمْ على دينك، وصَابِرْ على تقويته، واجْتَنِبْ نواهيه، وائْتَمِرْ بأوامره، واسْتَمْسِكْ بأصلِ دينِك، وقُمْ بلوازمه، وتَسلَّحْ بالعلم والإيمان والعمل الصَّالح، واتَّعِظْ بِقَوارع العِبَر، وتدبَّر مواعظَ القرآن، فإنَّهنَّ صوادقُ الخبر، واذْكُرِ اللَّه طُوالَ دهرِك، فذِكْرُه لا

فراغ له ولا انقضاء، وأَكْثِرْ من الاستغفار على التَّقصير، واشكرِ اللَّه على التَّوفيق.

ثمَّ صلُّوا وسلِّمُوا على خير خلق اللَّه؛ مُحمَّدِ بن عبد اللَّه، فقد أمركم ربُّكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الإِخْلاصُ[1]

إنَّ الحمدَ للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالعزُّ في طاعةِ المولى، والذّلُّ في اتِّباعِ الهوى.

أيُّها المسلمون:

القلوبُ لا تطمئنُ إلَّا باللَّه، وغنى العبدِ بطاعةِ ربِّه والإقبالِ عليه، ودينُ الحقِّ هو تحقيقُ العُبوديَّةِ للَّه، وكثيراً ما يُخالطُ النُّفُوسَ من الشَّهَواتِ الخفيَّةِ ما يُفْسِدُ تحقيقَ عبوديتِها للَّه.

وإخلاصُ الأعمالِ للَّه أصلُ الدِّين، وبذلك أمر اللَّه رسوله في قوله: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾، وأُمِرَ النَّبيُّ ﷺ أن يُبيِّنَ أَنَّ عبادتَه قائمةٌ على الإخلاص فقال: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾،

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة، سنة أربع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وبذلك أُمِرتْ جميعُ الأمم؛ قال ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، وأحقُّ النَّاس بشفاعة النَّبيِّ ﷺ يوم القيامة مَنْ كان أَخْلَصهُم للَّه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: **مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ**» (رواه البخاري).

والإخلاصُ مانعٌ - بإذن اللَّه - مِنْ تَسلُّطِ الشَّيطانِ على العبد، قال سبحانه عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾، والمُخْلِصُ محفوظٌ - بحفظ اللَّه - من العِصْيَان والمَكَارِه، قال سبحانه عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾، به رِفعةُ الدَّرجات، وطَرْق أبواب الخيرات، يقول عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ، فَتَعْمَلَ عَمَلاً تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً**» (متفق عليه).

وإذا قويَ الإخلاصُ للَّهِ عَلَتْ منزلةُ العبدِ عندَ ربِّه، يقولُ بكرٌ المُزَنيُّ رحمه الله: «مَا سَبَقَنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه بِكَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ، وَلَكِنَّهُ الإِيمَانُ وَقَرَ فِي قَلْبِهِ، وَالنُّصْحُ لِخَلْقِهِ»، وهو سببٌ لِتفريج الكروب، ولم يُنجِ ذا النُّونِ سوى إخلاصِه لِمعبودِه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

المُخْلِصُ لِربِّه مُجابُ الدَّعوةِ، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ؛ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ؛ فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ**

الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، - فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُتَوَسِّلاً إِلَى اللَّهِ بِصَالِحِ عَمَلِهِ وَإِخْلَاصِهِ -: **اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ؛ فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ**» (متفق عليه).

بِتجريدِ الإخلاصِ تَزولُ أحقادُ القلوب، وضغائنُ الصُّدور، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبداً: إِخْلَاصُ العَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الأَمْرِ، وَلُزُومُ الجَمَاعَةِ**» (رواه أحمد).

والإخلاصُ شرطٌ في قبولِ توبةِ المنافق؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

في الإخلاصِ طمأنينةُ القلبِ، وشعورٌ بالسَّعادة، وراحةٌ من ذُلِّ الخَلْق، يقولُ الفضيل بن عياضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ عَرَفَ النَّاسَ اسْتَرَاحَ - أَيْ: أَنَّهُمْ لَا يَنْفَعُونَهُ وَلَا يَضُرُّونَهُ -»، وكلُّ عملٍ لم يُقصدْ به وجهُ اللَّه طاقةٌ مُهدَرَة، وسرابٌ يَضمحِل، وصاحبُه لا للدُّنيا جَمَع، ولا للآخرة ارْتَفَع، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصاً، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**» (رواه والنسائي).

وإخلاصُ العملِ للَّه، وخلوصُ النِّيَّةِ له وصوابُه أصلٌ في قبول الطَّاعات، يقولُ ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يَنْفَعُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا يَنْفَعُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمَا وَافَقَ السُّنَّةَ».

والإخلاصُ أن تكونَ نيَّتُك للَّه، لا تريدُ غيرَ اللَّه لا سُمْعَةً ولا رِياءً، ولا رفعةً عند أحد ولا تزلُّفاً، ولا تترقَّب من النَّاس مدحاً، ولا تخشى منهم قَدْحاً، واللَّهُ سبحانه غنيٌّ حميدٌ، لا يرضى أن يُشرِكَ العبدُ معه غيرَه، فإنْ أَبى العبدُ إلَّا ذلك رَدَّ اللَّه عليه عَمَلَه؛ قال ﷺ في الحديث القدسي: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» (رواه مسلم).

أيُّها المسلمون:

العملُ الصَّالحُ - وإنْ كان كثيراً - مع فسادِ النِّيَّة يُورِدُ صاحبَه المهالك، فقد أخبر اللَّه ﷻ عن المنافقين أنَّهم يُصلُّون ويُنْفِقُون ويُقَاتِلُون، وأخبر النَّبيُّ ﷺ عنهم أنَّهم يتلون كتابَ اللَّهِ في قوله: «وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَالرَّيْحَانَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ» (متفق عليه)، ولِفَقْدِ صِدْقِهِم في إخلاصِهم قال اللَّه عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾، وأوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بهم النَّار: قارئُ القرآنِ والمجاهدُ والمُتَصدِّقُ بمَالِه الذين لم تكن أعمالُهم خالصةً للَّه، وإنَّما فعلوا ذلك ليُقال: فلانٌ قارئٌ، وفلانٌ شجاعٌ، وفلانٌ مُتصدِّق (رواه مسلم).

والعملُ وإن كان يسيراً يتضاعفُ بحُسنِ النِّيَّة والصِّدقِ والإخلاص، ويكون سبباً في دخول الجنَّات، يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ المُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ؛ فَأُدْخِلَ الجَنَّةَ» (رواه مسلم)، و«بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ

بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ إِذْ رَأَتْه بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ؛ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ» (متفق عليه).

يقول عبد اللَّهِ بن المبارك ﵀: «رُبَّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تُعَظِّمُهُ النِّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ»، قال ابنُ كثيرٍ ﵀ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾: «أَيْ: بِحَسَبِ إِخْلَاصِهِ فِي عَمَلِهِ».

والواجبُ على العبد كثرةُ الصَّالحات مع إخلاص النِّيَّات؛ فكُنْ سبَّاقاً لكلِّ عملٍ صالحٍ، ولا تَحْقِرَنَّ أيَّ عملٍ تُخْلِصُ نيَّتَك فيه، فلا تعلمُ أي عملٍ يكونُ سبباً لدخولك الجنَّات، ولا تَسْتَخِفنَّ بأيِّ معصيةٍ فقد تكونُ سبباً في دخولك النَّار؛ كما قال ﵊: «**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا؛ فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**» (متفق عليه).

واللَّه ﷻ مُتَّصفٌ بالحمد والكرم، وإذا أحسنَ العبدُ القَصْدَ ولم تَتَهيَّأْ له أسبابُ العمل، فإنَّه يُؤْجَرُ على تلكَ النِّيَّة وإن لم يعملْ، كرماً من اللَّه وفضلاً، يقولُ ﵊: «**مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ؛ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**» (رواه مسلم)، ويقولُ النَّبيُّ ﷺ عن الرَّجلِ الَّذي لا مال عنده وينوي الصَّدقة: «**لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ؛ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ**» (رواه الترمذي)، بل إنَّ مَنْ هَمَّ بعملٍ صالحٍ يُؤْجَرُ عليه العبد وإنْ تَخَلَّف العمل، قال ﵊: «**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**» (متفق عليه).

والمسلمُ يجعلُ نيَّته صادقةً في كلِّ خير؛ يقولُ عمرُ ﷺ: «أَفْضَلُ الأَعْمَالِ صِدْقُ النِّيَّةِ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنْ صَدَّقَ العَمَلُ النِّيَّةَ فَذَاكَ، وَإِنْ حِيلَ بَيْنَ العَمَلِ وَالنِّيَّةِ فَلَكَ مَا نَوَيْتَ»، ومَنْ سَرَّه أن يُكمَلَ له عملُه فليُحسِنِ النِّيَّة، فإنَّ اللَّه يَأْجُر العبدَ إذا حسُنت نيَّته حتى بإطعام زوجته.

أيُّها المسلمون:

إذا قَوِي الإخلاصُ وعَظُمَتِ النِّيَّةُ وأُخفيَ العملُ الصَّالحُ ممَّا يُشرعُ فيه الإخفاء؛ قَرُبَ العبدُ من ربِّه؛ وأظلَّه تحتَ ظلِّ عرشِه، يقولُ المصطفى ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ** - وذَكَرَ مِنْهُمْ -: **وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ؛ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**» (رواه البخاري)، وكلَّما أُخْفِيَ العملُ كان أقربَ إلى الإخلاص، قال ﷻ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، يقول بِشْر بن الحارث ﵀: «لَا تَعْمَلْ لِتُذْكَر، اكْتُمِ الحَسَنَةَ كَمَا تَكْتُمِ السَّيِّئَةَ».

وفُضِّلتْ نافلةُ صلاةِ اللَّيل على نافلة النَّهار، واستغفار السَّحَر على غيره؛ لأنَّ ذلك أبلغ في الإسرار، وأقربُ إلى الإخلاص.

وعلى العبد الصَّبرُ عن نقلِ الطَّاعة من ديوان السِّرِّ إلى ديوان العلانية، وإذا أخلصت في العمل ثمَّ أَثْنَى عليك الخلقُ وأنت غيرُ مُتطلِّع إلى مَدْحِهم فليس هذا من الرِّياء، إنَّما الرِّياء أن تُزيِّن عَمَلَك من أجلهم، سُئِل النَّبيُّ ﷺ عن الرَّجُل يعملُ العملَ من الخير يَحْمَدُه النَّاسُ عليه، فقال ﷺ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ**» (رواه مسلم).

ومن كان يعملُ صالحاً ثمَّ اطَّلع الخلقُ على عمله فأَحْجَم عن الاستمرار في تلك الطَّاعة ظنّاً منه أنَّ فِعْلَه بحضرتهم رياء فذلك من حبائلِ الشَّيطان، فامْضِ على فِعْلِك، يقولُ الفضيل بن عياض ﵀: «تَرْكُ العملِ منْ أجلِ النَّاسِ رياء، والعملُ مِنْ أجلِ النَّاسِ شِرْك، والإخلاصُ أَنْ يُعافِيَكَ اللَّهُ منهما».

وبعضُ النَّاسِ يظنُّ أنَّ الإخلاصَ مقصورٌ على الصَّلاة والصَّدقة والحجِّ دون غيرها من الأوامر، ومِنْ رحمة اللَّه ورَأْفَتِه بعباده: أنَّ الإخلاصَ يُستصحبُ في جميع العبادات والمعاملات وغيرها، لِيُثابَ العبدُ على جميع حركاته وسكناته، فزيارةُ الجارِ وصِلَةُ الرَّحِم وبِرُّ الوَالِدَيْن هي مع الإخلاص عبادة، وفي جانب المُعَامَلات من الصِّدْق في البَيْع والشِّرَاء، وحسنُ عِشْرةِ الزَّوجة، والاحتساب في إحسان تربية الأبناء، كلُّ ذلك مع الإخلاص يُجَازَى عليه بالإحسان، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ**» (متفق عليه)، قال شيخ الإسلام ﵀ «مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَأَحْسَنَ إِلَى النَّاسِ، فَهَذَا قَائِمٌ بِحُقُوقِ اللَّهِ وَحَقِّ عِبَادِ اللَّهِ فِي إِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ، وَمَنْ طَلَبَ مِنَ العِبَادِ العِوَضَ - ثَنَاءً، أَوْ دُعَاءً، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ - لَمْ يَكُنْ مُحْسِناً إِلَيْهِمْ لِلَّهِ».

أيُّها المسلمون:

الإخلاصُ عَزِيز، والنَّاسُ يتفاضلون فيه تفاضلاً كبيراً، ولدفع عوارضه من آفة الرِّياء والعُجْبِ بالعمل؛ الْجَأْ إلى اللَّه دوماً بالدُّعاء أن

تكونَ من عبادِه المُخْلِصِين، فالقلوبُ بين إصبعين من أصابع الرَّحمن يُقَلِّبُها كيف يشاء، وكان أكثر دعاء عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحاً، وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خَالِصاً، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئاً».

وأَكْثِرْ من مُطالَعَة أخبارِ أهل الصِّدقِ والإخلاص، واقرأْ سِيَر الصَّالحين الأَسْلَاف، واحْتَقِرْ كلَّ عملٍ صالح تُقَدِّمُه، وكُنْ خائفاً مِنْ عدم قبولِه أو حبوطِه، فليس الشَّأنُ الإتيانَ بالطَّاعة فحسب، إنَّما الشَّأنُ في حفظِها ممَّا يُبطلُها.

ومِنْ حفظِ العمل: عدمُ العُجْب وعدمُ الفَخْر به، فَازْهَدْ في المَدْح والثَّناء، فليس أحدٌ ينفعُ مدحُه ويضرُّ ذمُّه إلَّا اللَّه، والمُوفَّق من لا يَتأَثَّرُ بثناء النَّاس، وإذا سَمِع ثناءً لم يَزِدْه ذلك إلَّا تواضعاً وخَشْيَةً من اللَّه، وأيقِنْ أنَّ مَدْحَ النَّاس لك فِتْنَة، فادْعُ ربَّك أن يُنْجِيَك من تلك الفِتْنَة، واسْتَشْعِرْ عظمةَ اللَّه وضعف المخلوقين وعجزَهم وفقرَهم، واسْتَصْحِبْ دَوْماً أنَّ النَّاسَ لا يَملكون جنَّةً ولا ناراً، وأَنْزِلِ النَّاسَ منزلة أصحابِ القبور في عدمِ جلبِ النَّفعِ لك ودَفْعِ الضُّرِّ عنك.

والنُّفوسُ تَصْلُحُ بتذكُّر مصيرها، ومَنْ أَيْقَنَ أنَّه يُوسَد في اللَّحْد فريداً أَدْرَكَ أنه لن ينفعَه سوى إخلاصه لربِّه، وكان مِنْ دُعَاء السَّلف: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العَمَلَ الصَّالِحَ وَحِفْظَهُ».

أيُّها المسلمون:

ثَوبُ الرِّياءِ يَشِفُّ ما تحته، يُفسِدُ الطَّاعة ويُحْبِطُ الثَّواب، وهو من قبائح صفات أهل النِّفاق: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾،

وهو مِنْ أَشَدِّ الأبوابِ خفاء، وَصَفَه ابن عبَّاس ﵄ بقوله: «أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ»، قال الطَّيبيّ ﵀: «وهو مِنْ أَضَرِّ غوائلِ النَّفس وبَوَاطِن مَكائِدِها، يُبْتَلَى به المُشمِّرون عَنْ سَاقِ الجِدِّ لسُلُوكِ طريقِ الآخِرَةِ»، والنَّبيُّ ﷺ خافه على أُمَّتِه، وحَذَّرَهُم منه، قال عليه الصلاة والسلام: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟** قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: **الشِّرْكُ الخَفِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**» (رواه ابن ماجه)، قال في تيسيرِ العزيزِ الحميد: «الرِّيَاءُ أَخْوَفُ عَلَى الصَّالِحِينَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ».

المُرَائِي مُضْطَرِبُ القلب، مُزَعْزِعُ الفكر، لا يُخلصُ في عبوديَّتِه ومُعَامَلتِه، يعمل لحظِّ نفسِه تارة، ولطلبِ الدُّنيا تارة، ولطلبِ الرِّفْعَة والمنزلة عند الخلق تارة.

المُرَائِي يَفْضَحُه اللَّه، ويَهْتِكُ سِترَه، ويُظهِرُ خباياه، ضاعت آمالُه، وخَابَ سَعْيُه، وعُومِل بنَقِيضِ قَصْدِه، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ يُسَمِّعْ؛ يُسَمِّعِ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي؛ يُرَائِي اللَّهُ بِهِ**» (متفق عليه).

وإِنْ أَخْفَى المُرَائِي كَوَامِنَ نَفسِه وخَفايا صَدْرِه أَظْهَرَها اللَّه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**» (متفق عليه).

فاخشَ على أعمالِك من الخُسْرَان، فالميزانُ يومَ الحَشْرِ بمَثَاقِيلِ الذَّرِّ، والمَنُّ والأَذَى يُبْطِلُ البَذْل، والرِّياءُ يُحْبِطُ العمل، وإرادةُ الدُّنيا وثَنَاءُ الخلقِ مُتوعّدٌ فاعلُه بدخول النَّار.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

لا أنفعَ للقلبِ من تجريدِ الإخلاص، ولا أَضَرَّ عليه من عدمه، وكلَّما قويَ إخلاصُ الدِّينِ للَّه كَمُلَت العبوديَّة، ومَنْ عَرَفَ النَّاسَ أَنْزلَهم مَنَازِلَهم، ومَنْ عَرَفَ اللَّهَ أخلصَ له أعمالَه، وكلَّما صحَّتِ العزيمةُ وعَظُمَتِ الهمَّةُ طلب الإنسانُ مَعَالِيَ الأمور، ولم يلتفتْ إلى غير اللَّه، ولم ينظرْ إلى ما سواه، وليس من الرُّشْد طلبُ الآخرةِ بالرِّياء، وإيَّاك أن تطلبَ بعَمَلِكَ مَحْمَدَةَ النَّاس، أو الطَّمعَ بما في أيديهم.

والإخلاصُ يَحتاجُ إلى مجاهدة قبل العملِ وأثناءَه وبعده، وآفةُ العبدِ رضاه عن نفسه، ومَنْ نظر إلى نفسه بعينِ الرِّضا فقد أهلَكَها، وأمارةُ الإخلاص: اسْتِوَاءُ المَدْح والذَّمِّ.

واللَّهُ يُحِبُّ مِنْ عَبْدِه أن يَجعلَ لسانَه ناطقاً بالصِّدق، وقلبَه مملوءاً بالإخلاص، وجوارحَه مشغولة بالطَّاعة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بأمرٍ بَدَأ فيه بنفسِه ...

الدُّعَاءُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه ارْتَقَى درجات، وطَابَ مآله بعد الممات.

أيُّها المسلمون:

الخلقُ مفتقرون إلى ربِّهم في جَلْب منافِعهم ودفعِ مضارِّهم، في إصلاح دينِهم ودنياهم، وكمالُ المخلوقِ في تحقيقِ عُبوديَّة اللَّه ﷻ، وكلَّما زاد العبدُ تحقيقاً للعُبوديَّة ازداد كمالُه، وعَلَتْ درجتُه، واللَّهُ ﷻ يَبْتَلِي عبادَه بعوارضَ تَدفعُهُم إلى بابه يستغيثون به، وهذا من النِّعَم في طَيِّ البلاء.

والافتقارُ إلى اللَّه هو عَيْنُ الغِنَى ولُبُّ العبادةِ ومقصودُها الأعظم،

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث من شهر شعبان، سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والتَّذلُّلُ له سبحانه هو العِزُّ الذي لا يُجَارَى، والدُّعاء هو سِمَة العُبوديَّة، واللَّهُ يحبُّ أن يسأله العبادُ جميع حاجاتهم، في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ**» (رواه مسلم).

والرَّبُّ لا يَعْبَأُ بعبادِه لولا ضَرَاعَتُهُم إليه؛ قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

والدُّعَاءُ من صفات أنبياء اللَّه وأصفيائِه ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾، وإمامُ الحُنَفَاءِ يقول: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾.

الدُّعاءُ روضةُ القلبِ وجنَّةُ الدُّنيا، عبادةٌ ميسورة، مُطْلَقَةٌ غيرُ مُقيَّدة بمكانٍ ولا زمان ولا حال؛ دُعاءٌ في اللَّيل والنَّهار، وتضرُّعٌ في البَرِّ والبَحْر، وحين الإقامة والسَّفر، نَفْعُه يَلْحَقُ الأحياء في دنياهم والأموات في لحودهم: «**أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**».

الدُّعاءُ يَكشفُ - بفضل اللَّه - البلايا والمصائب، ويَمْنَعُ وقوعَ العذابِ والهلاك، وهو سلاحُ المؤمن، لا شيءَ من الأسباب أنفعُ ولا أبلغُ في حصول المطلوب منه، هو عدوُّ البلاء يُدَافِعُه ويُعَالِجُه، ويَمنعُ نزولَه ويرفعُه أو يُخفِّفُهُ إذا نزل، يقولُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أَنَا لَا أَحْمِلُ هَمَّ الإِجَابَةِ، وَلَكِنْ أَحْمِلُ هَمَّ الدُّعَاءِ، فَإِذَا أُلْهِمْتُ الدُّعَاءَ فَإِنَّ مَعَهُ الإِجَابَةَ».

فلا شيءَ أكرمُ على اللَّه منه، ما اسْتُجْلِبَتِ النِّعَمُ ولا اسْتُدْفِعَتِ النِّقَمُ بمثله، به تُفرجُ الهمومُ وتزولُ الغموم، كَفَاه شَرفاً قُرْبُ اللَّه من عبده حالَ الدُّعاء، وأعجزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عن الدُّعاء، وأضعفُهم رأياً وأدناهم هِمَّةً مَنْ تخلَّف عن النِّداء.

الدُّعاء هو عينُ المنفعة، ورجاءُ المصلحة، ودعاءُ المسلم بين يدي جواد كريم يعطي ما يُسألُ إمَّا معجلاً وإمَّا مؤجلاً، يقول ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُلُّ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ، لَكِنْ تَتَنَوَّعُ الإِجَابَةُ؛ فَتَارَةً تَقَعُ بِعَيْنِ مَا دَعَا بِهِ، وَتَارَةً بِعِوَضِهِ».

بالدُّعاء تَسْمُو النَّفس، وتَعْلُو الهِمَم، ويُقطعُ الطَّمع ممَّا في أيدي الخلق، الدَّاعي موفور الكرامة، مهاب الجناب، وكلَّما اشتدَّ الإخلاص وقوي الرَّجاء كلَّما كانت الإجابة أَحْرَى، يقول يحيى بن معاذٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ جَمَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَلْبَهُ فِي الدُّعَاءِ لَمْ يُرَدَّ».

فأَطِبْ مَطْعَمَك ومَشْرَبك، وتَعفَّفْ عن الشُّبُهات، وقدِّمْ بين يدي دعائك عملاً صالحاً، ونَادِ ربَّك بقلبٍ حاضرٍ وصوتٍ خافت، زكريَّا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نادى ربَّه نداءً خفياً: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾؛ فرَزَقَهُ اللَّه يحيى نبيّاً، وتخيَّرْ في دُعائِك والثَّناء على ربِّك أحسن الألفاظ وأَنْبَلَها وأجمعَها، وتَحرَّ من الأوقات الفاضلة والأحوال الصَّالحة أرجاها، وإذا دعوت فاسْتَكْثِرْ ربَّك الخيرَ في دُعَائِك، يقول النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**» (متفق عليه).

والسَّاجدُ من ربِّه قريبٌ، حَرِيٌّ أَنْ يُعْطَى سُؤلَه، وتَجَنَّبِ الدُّعاءَ على أهلك ونفسك ومالك، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ؛ لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**» (رواه مسلم)، ولا تَسْتَبْطِئِ الإجابة، وأَلِحَّ على اللَّه في المسألة، فالنَّبيُّ ﷺ مكث يدعو على رِعْلٍ وذَكْوَانَ شهراً، وربُّك حَيِيٌّ كريمٌ يستحي من عبده إذا رفع يده إليه أن يَرَدَّهَا صِفْراً.

فادْعُ وربُّك الأكرم، وأَلْقِ نفسَك بين يديه، وسلِّم الأمر كله إليه، واعزم المسألة، وأَعْظِمِ الرَّغبة، فما رُدَّ سائلُه ولا خابَ طالبُه، ومَنْ نَزلتْ به فاقةٌ فأنزلها بالخلق لم تسد فاقته، ومَنْ أنزلَها بالرَّبِّ فنِعْم الرَّزَّاق هو، فأظهر- أيُّها الدَّاعي- الشَّكوى إلى اللَّه والافتقار إليه، فهو جابر المنكسرين وإله المستضعفين، يقول يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، فهو صاحبُ كلِّ نجوى، وسامعُ كلِّ شكوى، وكاشفُ كلِّ بلوى، يدُه تعالى مَلْأَى، لا تَغيضُها نفقة، سحَّاءُ اللَّيلَ والنَّهارَ، ما أُمِّل تعالى لنائبة فخيَّبَها، وما رُجيَ لِعظيمةٍ فقَطَعَها، لا يُؤَمَّلُ لكشف الشدائد سواه، بيده مفاتيحُ الخزائن، بابُه مفتوحٌ لِمَنْ دعاه، فاستعملْ في كلِّ بليَّة تَطْرُقكَ حسنَ الظَّنِّ باللَّه في كشفها، ومَنْ ظَنَّ بربِّه خيراً أفاض عليه جزيلَ خيراته، وأسبلَ عليه جميلَ تَفَضُّلاتِه.

وبالإخلاصِ تَدورُ دوائرُ الإجابة، ولازِمِ الطَّلبَ فالمعطي كريم، والكاشفُ قدير، ولا تَسْتَعْجِلِ الإجابةَ إذا دَعَوْت، ولا تَسْتَبْطِئْهَا إذا

تأخَّرت، ومَنْ يُكْثِرْ قرعَ الأبوابِ يُوشكُ أن يُفتحَ له، وإذا تزخرفَ النَّاسُ بطيبِ الفراشِ فَارْفَعْ أكُفَّ الضَّراعة إلى المولى في دُجَى الأسحار؛ إذْ يناديك في ظلمائها: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟»، والدُّعاءُ بينَ الأذانِ والإقامةِ لا يُرَدّ، ودعوة الوالد لولده مستجابة، فأكثِرْ - أيُّها الأَبُ - من الدُّعاء لأبنائك بالهداية، وملازمةِ السَّعادة والعِصْمَة من الفِتَن، ودَعوةُ المسلمِ لأخيه الغائبِ مَسموعةٌ والمَلَكُ يُؤمِّنُ على دَعوتِه، والبارُّ بوالديه دَعوتُهُ لا تُرَدُّ، وفي الجمعة ساعةٌ مستجابة، ولا تُؤْذِ الصَّالحينَ أو تَسخرْ منهم فلهم عندَ اللَّه شأن؛ كلماتُهُم صاعدة، ودعواتُهُم مستجابة، يقولُ اللَّه ﷻ في الحديث القدسي عن أوليائه: «وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ».

ومَنْ حَلَّت به نوائبُ الدَّهرِ وجَأَرَ إلى اللَّهِ حماه، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾، أُلْقِيَ يونسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في بطنِ الحوتِ، وبالدُّعاءِ نُبِذَ بالعَرَاءِ من غيرِ أذى، يقول النَّبيُّ ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ» (رواه الترمذي)، وفي لفظٍ: «لَا يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ».

بدعوةٍ تتقلَّبُ الأحوال، فالعَقِيم يُولَدُ له، والسَّقيمُ يُشْفَى، والفقيرُ يُرزَق، والشَّقيُّ يَسعَد، بدعوةٍ واحدة أُغرِقَ أهلُ الأرضِ جميعُهم إلَّا من شاء اللَّه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾، وهلك

فرعون بدعوةِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾، ووَهَب ما وَهَبَ لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بغير حساب، بسؤال ربِّه الوهاب، وشفى اللَّهُ أيَّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مرضه بتضرُّعه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرحَمُ الرَّحِمِينَ﴾، وأُغيثَ نبيُّنا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومَ بدر بالملائكة بِتَبَتُّلِه إلى مولاه، مع قلَّة العَدد، وذات اليـد: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

وإذا انقطعت بك - أيُّها المظلوم - الأسباب، وأُغْلِقَت في وجهك الأبواب، فاقْرَعْ أبوابَ السَّماء، وبُثَّ إلى الجبَّار اللَّأْوَاء، فهو مَفزعُ المظلومين، ومَلجأ المستضعفين، وَعَدَ بنصرة الملهوفِ وإجابةِ المظلوم، ظَلَم رجلٌ سعدَ بنَ أبي وَقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال سعد: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِباً، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً؛ فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ! وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قال الرَّاوي: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ، يَغْمِزُهُنَّ» (رواه البخاري)، يقول ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ بِسُرْعَةٍ لِلْمُخْلِصِ وَالمَظْلُومِ»، فيا ويل من وُجِّهت له سهام المظلومين! ورُفعت عليه أيدي المستضعفين!

فاصبر - أيُّها المُصاب - على ما قُدِّر؛ فالنَّصرُ مع الصَّبر، والفَرَجُ مع الكرْب، واليسرُ مع العسر، والبلاءُ المحضُ هو ما يَشغلُك

عن ربِّك، وأما ما يُقيمُك بين يديه ففيه كَمالُكَ وعزُّكَ، وإذا أقبل اليسرُ وحلَّ الفرجُ وزالت الغمومُ - وما أقرب الأمر -، فاحْمَدِ اللَّه على ما كشف، ففي الحمدِ شكرٌ وزيادةُ النِّعَم.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

قضاءُ اللَّه لِعبدِه المؤمن عطاءٌ، وإن كان في صورة المَنْع، وهو نعمةٌ وإن كان في صورة مِحْنَة، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بليَّة، يقول عمر بن العزيز رَحِمَهُ اللَّه: «أَصْبَحْتُ وما لي سرورٌ إلَّا في انتظار مواقع القدر، إن تَكنِ السَّرَّاءُ فعندي الشُّكر، وإن تكنِ الضَّرَّاءُ فعندي الصَّبر»، ومن أُلْهِمَ الدُّعاءُ لم يُحرمِ الإجابة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا؛ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ،** فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إِذاً نُكْثِرُ، قَالَ ﷺ: **اللَّهُ أَكْثَرُ**» (رواه الترمذي).

والذين يدعون اللَّه، ويدعون معه غيرَه أغلقوا بابَ الإجابة؛ قال اللَّـه ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾، دعاؤُهم للأموات هَباءٌ لا يَجْلِبُ مرغوباً، ولا يمنع مكروهاً، وهو الشِّركُ الأكبر، والذَّنبُ الذي لا

يغفر، يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾، ويقول ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**» (رواه الترمذي).

فاجْتَهِدْ في الدُّعاء، وأَخْلِصْ له العبادة، وأَفْرِدْه بالدُّعاء، واغْتَنِمْ ساعاتِ عمرِك، فلن يَهْلِكَ مع الدُّعاء أحد، فالسَّعيد مَنْ وُفِّق لذلك، والمَحرُومُ من حُرِمَ لَذَّةُ العبادة، أو أَيِسَ من رحمة اللَّه وكان من القانطين.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الإِنابَةُ[1]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربه أكرمه بين الأنام؛ وأسعده مولاه على الدَّوام.

أيُّها المسلمون:

أفضلُ الخلقِ وأهداهم أتمُّهم عبوديَّةً للَّه، وسرورُ القلبِ وانشراحُ الصَّدرِ في إنابة العبد إلى اللَّه، والإقبال عليه والاستعانة به.

والرُّجوعُ إلى اللَّه والإنابةُ إليه عبادةٌ عظيمةٌ من سنن الأنبياء والمرسلين؛ كما قال سبحانه عن داود عليه السلام: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾، وقال عن سليمان عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾، وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع من شهر محرَّم، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾، وقال عن نبيِّنا محمَّد ﷺ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾، وأثنى اللَّه على خليله إبراهيم عليه السلام؛ لاتِّصافِه بالإنابة إليه، والرُّجوعِ إليه في كلِّ أمر، قال سبحانه: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾، ومِنْ دُعاءِ الخليلِ عليه السلام: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، والمنيبُون إلى اللَّه هم خيرُ مَنْ يَصْحَبُهم المرءُ في حياته؛ يقول سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾.

والإنابةُ إلى اللَّه هي مفتاحُ السَّعادة والهداية؛ قال سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾، والبشارةُ لأهل الإنابة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾، ولا يعتبرُ بالآيات ولا يَتَّعظُ بالعِبَر إلَّا المنيبُ إلى ربِّه؛ قال جل جلاله: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾، وهو المُتذكِّرُ بنزول النِّعم: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾.

والإنابةُ إلى اللَّه مانعةٌ من عذاب اللَّه: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾، والجنَّةُ أُعِدَّت نُزلاً للقلبِ الخاشع المُنيب؛ قال سبحانه: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ * هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ * مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾.

وأمَر اللَّه جميع الخلق بالإنابة إليه والرُّجوع إليه؛ قال سبحانه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

وقد جَمَعَ اللَّهُ بينها وبين التَّوكُّل: ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾، ومنزلة التَّوكُّل قبل منزلة الإنابة، فالتَّوكُّل وسيلةٌ

وهي غايةٌ، فالعبد يَتوكَّلُ في حصولها، وحقيقتُها الرُّجوع إلى اللَّه، وهي منزلةٌ أعلى من التَّوبة، فالتَّوبة إقلاعٌ عن الذَّنب وندمٌ على ما فات وعزمٌ على عدم العودة إليه، والإنابةُ تدلُّ على ذلك، وتدل على الإقبال على اللَّه بالعبادات: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾.

ومن أكثر الرُّجوعَ إلى اللَّه كان اللَّهُ مَفْزعَه عند النَّوازلِ والبلايا والفواجع، وحقيقٌ بالمرء أن يُنيبَ إلى ربِّه، وأن يحاسب نفسَه على ما سلف، وعلى ما اقترف من عصيان، يقولُ الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ العَبْدَ لَايَزَالُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَهُ وَاعِظٌ مِنْ نَفْسِهِ وَكَانَتِ المُحَاسَبَةُ هِمَّتُهُ».

والمؤمنُ في الدُّنيا كالغريب لا يَجزعُ من ذلها، ولا يُنافِس في عزِّها، له شأن وللنَّاس شأن، واعمل بوَصيَّة النَّبيِّ ﷺ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» (رواه البخاري).

ومن كانتِ الآخرةُ هَمَّه؛ كانت هِمَّتَه في تحصيل الزَّاد الصَّالح، وإذا استيقظت القلوب استعدت للآخرة، قال بعض السَّلف: «ما نمت نوماً قط فحدَّثْتُ نفسي أنِّي أستيقظ منه»، ومَنِ اجتهدَ في محاسبة نفسه ولَجَمَهَا عن العصيان نَجا في الآخرة من النَّدامة والخسران.

أيُّها المسلمون:

حقٌّ على الحازم أن لا يَغفلَ عن زَلَّات نفسه وخَطراتِها وخَطواتِها؛ بل يقودها إلى ما يقربها إلى ربها؛ فالمحافظة على الصَّلوات جماعة في بيوت اللَّه من شعائر الإيمان، والدَّعوة إلى اللَّه تنير البصيرة، وبذكر اللَّه تلين القلوب؛ قال سبحانه: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ

﴿تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾، ومجالسة العلماء والصَّالحين، وملازمةُ دروسِهم من أسباب خشية اللَّه ومراقبته: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

وبرُّ الوالدين مفتاحُ السَّعادة، وصِلَةُ الرَّحِمِ بركةٌ في الوقت والمال، والمالُ الحلالُ سببٌ في صلاح الأبناء وإجابة الدُّعاء، وقصرُ الأمل دافعٌ للعمل، وتَذَكُّر الموتِ خيرُ واعظ، وزيارةُ المقابر والتَّأمُّل في أحوال الموتى تذكير بالآخرة، والتَّطلُّع إلى سير السَّلف يُهذِّبُ النَّفسَ ويَحْدو للعمل، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَجَدَهُمْ فِي غَايَةِ العَمَلِ مَعَ غَايَةِ الخَوْفِ، وَنَحْنُ جَمَعْنَا بَيْنَ التَّقْصِيرِ - بَلِ التَّفْرِيطِ - وَالأَمْنِ! فَهَذَا الصِّدِّيقُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «وَدِدْتُ أَنِّي شَعْرَةٌ فِي جَنْبِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ»،... وَكَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ كَأَنَّهُ عُودٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

الرَّشيدُ مَنْ خاف على نفسه الوقوعَ في الزَّلل، أو الإصرارَ على الخلل؛ فالصُّحبةُ السَّيِّئةُ تُورِدُ المَهالك، وإطلاقُ عنانِ البصر في المُحرَّمات ممَّا يُشاهَد في الفضائيَّات والطُّرقات يُضعِفُ زكاء النَّفس، وإِهمالُ الأبِ إصلاحَ أهلِ بيتِه تفريطٌ في الأمانة، واتِّبَاعُ الهوى والشَّهَواتِ يُورثُ النَّدامة، وإطلاق اللِّسان بالكذب وفي أعراض المسلمين يُظلمُ القلب، وإشغال النَّفس بما لا يعنيها حرمانٌ لها مما يرفع درجاتها، يقول إبراهيمُ بنُ أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِنْ عَلَامةِ إِعْرَاضِ اللَّهِ عَنِ العَبْدِ أَنْ يُشْغِلَهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ»، والتَّقصيرُ في إنكارِ المنكرِ بالحكمةِ ضَعفٌ في النُّصح، ودَواءُ السَّيِّئاتِ كثرةُ الاستغفار، وتركُ الخطيئة أَيسرُ من طلب التَّوبة.

واغتنمِ الأعمالَ الصَّالحةَ قبل أن يَحولَ بينَك وبينَها حائل؛ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ**

سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» (رواه الحاكم).

والمُوفَّق هو المنيبُ إلى اللَّه بالرُّجوعِ إليه من العصيان، المُكْثِرُ من أنواع الطَّاعات والقربات.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الاستِعَاذَةُ[1]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

نعَتَ اللَّهُ نفسَه بصفات الجلال والجمال والكمال، فأسماؤُه حسنى وصفاتُه عُلَا، خَلَقَ فأبدعَ وأتقنَ ما صنع، ومِنْ كمال حكمتِه وقُدرتِه: أنْ خلَق من كلِّ شيءٍ زوجين اثنين، فَخَلَقَ الشَّيءَ وضدَّه - من ليلٍ ونهار، وذكرٍ وأنثى، وخيرٍ وشرٍّ -، والعبدُ ضعيفٌ، ولا غِنى له عن اللَّه في كلِّ حال، يَسألُه الخيرَ ويستعيذُ به من الشَّرِّ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، وهو سبحانه

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الأول من شهر صَفَر، سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

المدعُوُّ عند الشَّدائدِ، المَرجُوُّ عند النَّوازِل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾، وإذا مسَّ الإنسانَ ضُرٌّ فاللَّهُ الذي يكشِفُه؛ قال سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾.

وأمرَ عبادَه بدعائِه وحدَه ووعدَهم الإجابة، وذلك مِنْ حقِّه الذي لا يَشرَكُه فيه غيرُه، ومن دُعائِه: الاستعاذة به من المخاوِف، فهي عبادةٌ من أجلِّ العبادات، يظهرُ فيها تعظيمُ اللَّه، وتعلُّق القلب به، وإفرادُه بالطَّلب والافتقار، وعلى قدرِ صِدق العبد ولجُوئِه إلى اللَّه يتحقَّقُ مُبتغاه، قال اللَّهُ في الحديث القُدْسي - عن عبدِه الَّذي أَحبَّه -: «وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» (رواه البخاري)، ومَنْ كان للَّهِ أعظمَ عبوديةً كان أشدَّ استِعاذةً به ولُجُوءاً إليه.

والرُّسلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كانوا يَعُوذُونَ باللَّهِ في الكُروب ودفع المكارِه والشُّرور، لمَّا نهى اللَّه نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الدُّعاء لابنِه لكفره باللَّه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾، ويوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ اعتصمَ باللَّه من الفِتْنَة: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا توهَّم قومُه أنَّه يَسْخرُ بهم بأمره ونهيِه، قال: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، وتكبَّر فرعونُ وقومُه على دعوته فقال: ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾، واستعاذَ عَلَيْهِ السَّلَامُ من أذيَّةِ فرعونَ وجُندِه له، فقال: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾.

وأولياءُ اللَّه لَجؤُوا إليه؛ امرأةُ عمران وَضَعَتْ حَمْلَها وقالت: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا مِنْ

مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ؛ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخاً مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ» (متفق عليه)، ومريمُ عليها السلام جاءَها الملَكُ لِنفخِ الرُّوح فيها، فظنَّت أنه بشرٌ يُريدُ بها سُوءاً، فقالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾.

ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ كان دائِمَ اللُّجوءِ إلى ربِّه، مُقبِلاً عليه في كلِّ أحواله؛ فيستعيذُ باللَّهِ إذا أصبحَ وإذا أمسَى، وإذا سافرَ وأقام، وفي السِّلْم والحَرْب، وإذا أخذَ مَضْجعَه للنَّوم أو استيقظَ، وعند دخول الخلاء، وفي صلاتِه يُكثِرُ من التَّعوُّذات، ففي قيامِه في الصَّلاة إذا مرَّ بآية عذابٍ تعوَّذ، ويتعوَّذُ في سجوده وجُلوسه، وإذا رأى ما يكرَه لجأَ إلى اللَّه واستعاذَ به، لا يدَعُ شرّاً إلَّا استعاذَ باللَّهِ منه، يستعيذُ باللَّه ممَّا يُناقِضُ الإيمانَ وما يُنْقِصُه، كان يقول: «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ، وَالكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ، وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ**» (رواه ابن حِبَّان).

ويُعلِّمُ أصحابَه ذلك ويَحثُّهم عليه، ويُعوِّذُ الصِّغار؛ فكان يُعوِّذُ الحَسَنَ والحسينَ رضي الله عنهما ويقول: «**إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**» (رواه البخاري)، وكان يغرِسُ في النُّفوس عِظمَ شأن الاستعاذة باللَّه؛ فيقول: «**مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ**» (رواه أبو داود).

وقضَت حكمةُ اللَّه أنَّ لكلِّ مسلمٍ عدوّاً من شياطينِ الإنس والجنِّ، قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ أي: وكذلك أتباعُهم ﴿عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾.

والشَّيطانُ هو العدوُّ المُبين، وأساسُ كلِّ شرٍّ وبليَّة، يسعَى بكلِّ سبيلٍ للإضرارِ بالعبدِ وشقائِه، ولا نجاةَ منه إلَّا باللَّه، وقد أنزلَ اللَّهُ سورةً كاملةً في الاستِعاذة من شرِّه وشرِّ جنوده من الجنِّ والإنس: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ومَنِ اعتصمَ باللَّه، وأخلصَ له وتَوكَّل عليه فإنَّ الشَّيطانَ لا يقدِرُ على إغوائِه وإضْلَالِه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وأُمر المُسلم أن يستعيذَ باللَّه من همَزات الشَّياطِين - أي: من نَزغَاتِه ووَسَاوسِه -: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾.

وأعظمُ مقاصِد الشَّيطان: إغواءُ بني آدم وإضلالُهم: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾، يُوسوِسُ للناس في أصولِ الإيمان، ولا نجاةَ منه إلَّا باللَّه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ؛ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ**» (متفق عليه).

واللَّهُ أمرَ بأوامرَ في محاسِن الدِّين، وكسبِ قلوبِ النَّاس للإسلام - من الصَّفح، وأَمْرِ النَّاسِ بالمعروف، والإعراضِ عن الجاهل -، والشَّيطانُ يَصُدُّ عن ذلك، ولا مَخرجَ إلَّا بالاستعاذة باللَّه منه، قال سبحانه: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وكلَّما كان العملُ أنفعَ للعبد وأحبَّ إلى اللَّه كان اعتراضُ الشَّيطان له أشدَّ، ففي الصَّلاة يُوسوِسُ للمُصلِّي، قال النَّبيُّ ﷺ: «**ذَاكَ**

شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ: خِنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ؛ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ - ثَلَاثاً -» (رواه مسلم).

وعند قراءةِ القرآن تُشرعُ الاستعاذةُ من الشَّيطان؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.

وأماكنُ الخلاء تكثُرُ فيها الشَّياطين، والعِصْمةُ منهم في الاستعاذة باللَّه، بقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ** - أَيْ: مِنْ ذُكُورِ الشَّيَاطِينَ وَإِنَاثِهِمْ -» (متفق عليه).

وفي الصَّباح والمساء نتعوَّذُ باللَّه من شرِّ الشَّيطان، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: **قُلِ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ،** قَالَ: **قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ**» (رواه أبو داود).

والشَّيطانُ لا يَدَعُ أذيَّةَ الإنسان حتَّى في منامِه، ومَنْ رأى في نومِه ما يكرَهُ فليستعِذ باللَّه منه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا؛ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثاً، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثاً، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ**» (رواه مسلم).

والغضبُ مَرْكَبُ الشَّيطان، وهو جَمرةٌ في القلب تحمِلُ على المعاصِي والآثام، وذهابُ ذلك بالاستعاذة، قال سليمانُ بن صُرَدٍ رضي الله عنه:

«كُنْتُ جَالِساً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالهَا؛ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ**» (متفق عليه).

ويسعَى الشَّيطانُ للإضرار بابن آدم من أوَّل ساعةٍ يلتقِي فيها الرَّجلُ بامرأته، وبالاستِعاذة يَندفعُ ضَررُه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ؛ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَداً**» (متفق عليه).

وإذا سمِع الإنسانُ نَهيقَ حمارٍ أُمِر بالاستِعاذة؛ لأنَّه رأى شيطاناً، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ؛ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَاناً**» (متفق عليه) .

وقلوبُ العباد بين أُصبعين من أصابع الرَّحمن يُقلِّبُها كيف يشاء، فيهدي بعد ضلالٍ، ويُضِلُّ بعد هُدى، وكان النَّبيُّ ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي**» (رواه مسلم)، واستعاذَ النَّبيُّ ﷺ من الحَوْر بعد الكَوْر، أي: التَّحوُّل من الطَّاعةِ إلى المعصية.

ومُنتهى الضَّلال: الشِّركُ باللَّه، وأئمَّةُ المُوحِّدين يخافُونَه على أنفسهم، قال النَّبيُّ ﷺ لأبي بكرٍ رضي الله عنه: «**قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**» (رواه البخاري في الأدب المفرد).

والنَّفسُ أمَّارةٌ بالسُّوء، وفيها طِباعٌ من الشَّرِّ، والمُوفَّقُ مَنْ يَحمِلُها

على الطَّاعة، ويَستعيذُ باللَّه من شرِّها، كان النَّبيُّ ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ أَسْتَهْدِيكَ لِأَرْشَدِ أَمْرِي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي**» (رواه أحمد)، ومن السُّنَّة الاستعاذةُ باللَّه من النَّفس في مَطْلَع الخُطب: «**وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا**» (رواه الترمذي).

وجَوارِحُ الإنسانِ تَكتنِفُها الشَّهَوات، وصلاحُها باستِعمالها في الطَّاعات، والنَّأْيِ بها عن الشُّرور والسَّيِّئات، معَ دوامِ الاستعاذةِ باللَّه ممَّا يكون منها من الآفات، علَّم النَّبيُّ ﷺ أحدَ أصحابِه أن يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي** - يَعْنِي: فَرْجَهُ -» (رواه الترمذي)، واستعاذَ النَّبيُّ ﷺ من عِلْمٍ لا يَنْفَع، ومن قلبٍ لا يَخْشَع، ومن نَفْسٍ لا تَشْبَع، ومن دَعْوةٍ لا يُستجابُ لها.

والأعمالُ الصَّالحة كلُّها خيرٌ، والذُّنوبُ كلُّها شرٌّ، فافعَل الطَّاعةَ، وسَلِ اللَّهَ القبولَ والثَّباتَ عليها، وابتعِدْ عن المعصيةِ، واستعِذْ باللَّه من شرِّها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ**» (متفق عليه)، والظُّلمُ سببُ الهلاك، ودعوةُ المظلُوم لا تُردُّ، وقد استعاذَ النَّبيُّ ﷺ من شرِّها، فـ«كَانَ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ دَعْوَةِ المَظْلُومِ» (رواه مسلم).

واللَّهُ يُحبُّ من الأخلاق أطيبَها، ويكرَهُ سيِّئَها، والمُسلمُ يمتثِلُ أعالِيَ الأخلاق والأعمال، ويبتعد عن منكرها ويستعيذُ باللَّه من شرِّها، كان النَّبيُّ ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ، وَالأَعْمَالِ، وَالأَهْوَاءِ**» (رواه الترمذي).

وحياةُ الإنسانِ محفوفةٌ بالشُّرور، والسَّبيلُ الأمثلُ للوقاية منها: الاستعاذةُ باللَّه، فهو الذي خلقَ الخلق، وهو القادرُ على دفع شُرورِهم، كان النَّبيُّ ﷺ إذا أوَى إلى فراشِه قال: «**أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ**» (رواه مسلم).

والحياةُ لا تبقَى على حالٍ، ومن رأى فيها تَغَيُّراً بزوال نعمةٍ فليستعِذ باللَّه من ذلك، وكان من دُعاء النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ**» (رواه مسلم)، واللَّهُ هو المُعِيذ من جَهْد البلاء، ودَرَك الشَّقاء، وسُوء القَضَاء، والفقرُ والغِنى مطايا إلى الخير أو الشَّرِّ، والسَّعادةُ في لُزوم التَّقوَى وإن اختلفَتِ المطايا، ومَنِ استعاذَ باللَّه من شرِّهما كفَاه اللَّهُ ووَقَاه، والنَّبيُّ ﷺ كان يدعُو: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ الغِنَى وَالفَقْرِ**» (رواه أبو داود).

والإسلامُ دينُ فرحٍ وسُرورٍ بما أنزل اللَّه، وينهَى عن الأحزان والهموم؛ لأنَّها تُضعِفُ العبدَ عن صلاح دينِه وبناءِ حياتِه، ومِنْ دُعاءِ النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ**» (متفق عليه).

وإذا حلَّ داءٌ في الجسد فعند اللَّه الشِّفاء، فاستعِذْ باللَّه من شرِّ ما تجدُ، فمنه الخيرُ والعافية، شكا عُثمانُ بن أبي العاص رضي الله عنه إلى رسولِ اللَّه ﷺ وَجَعاً يجِدُه في جسده، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ - ثَلَاثاً -، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**» (رواه مسلم).

والسِّحرُ والعينُ حقٌّ، ولا تُتَّقى آفاتُهما بمثلِ الاستعاذة، فالمُعوِّذاتُ من أفضل الاستعاذات وأنفعِها، وهي - بإذن اللَّه - تدفعُ الشُّرورَ قبل وقوعها، وترفعُها بعد حُدوثها، قال النَّبيُّ ﷺ لعُقبة بن عامرٍ رضي الله عنه: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلَ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟** قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾**» (رواه أحمد).

والأمانُ من شرِّ الأعداء وشَمَاتَتِهِمْ بالاستعاذة باللَّه منهم، وجِدَالُ الكفَّار المستكبرين عن آيات اللَّه يُورِثُ مكرَهم وكيدَهم، والنَّجاةُ في الاستعاذة باللَّه، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

والجارُ مَظِنَّةُ الإحسانِ إلى جاره، ويَطَّلعُ على أسراره، وخيرُ الجيران مَنْ سَتَرَها، وجارُ السُّوء مُؤْذٍ لجاره، فاضِحٌ له، كاشِفٌ لِسِتْرِه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامِ**» (رواه النسائي).

والفتنةُ تُعْرَضُ على القلوب كَعَرضِ الحصير عُوداً عُوداً، ولا سلامةَ منها إلَّا بالاستعاذة باللَّه، قال النَّبيُّ ﷺ للصَّحابة: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**» (رواه مسلم)، قال ابن حجرٍ رحمه الله: «فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ الِاسْتِعَاذَةِ مِنَ الفِتَنِ، وَلَوْ عَلِمَ المَرْءُ أَنَّهُ مُتَمَسِّكٌ فِيهَا بِالحَقِّ؛ لِأَنَّهَا قَدْ تُفْضِي إِلَى وُقُوعِ مَا لَا يَرَى وُقُوعَهُ».

والفِتَنُ مُتعدِّدةٌ، وتتلوَّنُ بِصُورٍ مُختلفة، وتَجمعُها فتنةُ المحيا والممات، وفتنةُ المسيح الدَّجَّال فتنةٌ عظيمة، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يَستعيذُ باللَّهِ منها في صلاتِه قبل السَّلام، والدُّنيا فتنةٌ ولا عاصِمَ منها إلَّا اللَّه، كان النَّبيُّ ﷺ يقول: «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا**» (رواه البخاري)، وكان يستعيذُ من فتنةِ الغِنى وفتنةِ الفقر.

والمشاقُّ تُدفعُ بِتعلُّقِ القلبِ باللَّه، والسَّفَرُ قِطعةٌ من العذاب، ويُشرعُ للمُسافر أن يَستعيذَ باللَّه من وَعْثاءِ السَّفَر، وكآبَةِ المنظر، وسُوءِ المُنقلَب في المال والأهل والولَد، و«**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**» (رواه مسلم).

والمؤمنُ يَستعيذُ باللَّه إنْ تغيَّر حالٌ في الكون، فالرِّيحُ منها رحمةٌ، وبِها عُذِّبَت أُمم، وكان النَّبيُّ ﷺ إذا عصفَت الرِّيحُ قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**» (رواه مسلم).

ومَنْ عَرفَ اللَّهَ؛ أحبَّه، وخافَ غضبَه وعقابَه، كان النَّبيُّ ﷺ يدعُو في سجوده يقول: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» (رواه مسلم)، وكان النَّبيُّ ﷺ يأمرُ أصحابَه بالتَّعوُّذ من عذاب النَّار، يقول لهم: «**تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**» (رواه مسلم).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالمُستعاذُ به هو اللَّهُ وحدَه، لا ربَّ لنا غيرُه، ولا معبودَ لنا سِواه، ولا ملجَأ ولا منجَا منه إلَّا إليه، ومن تَعلَّق باللَّه وأنزلَ حوائِجَه به كفَاه ووقاه، وفرَّج كُروبَه، ويسَّر عليه كلَّ عسير، فعلى المُسلم أن يُعلِّقَ قلبَه باللَّه، ويَلُوذَ به في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، ولا يَمَلَّ من كثرة الاستِعاذة؛ فَبِها يعبُدُ ربَّه، ويعصِمُ نفسَه من السُّوء، وبذلك سعادتُه وعزُّه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۞ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مَنْ تعلَّق بغير اللَّه واستعاذَ به ولجَأَ إليه؛ وكَله اللَّه إلى ما تعلَّق به، وخُذِل من جهة ما يَتعلَّقُ به، وفاتَه تَحصيلُ مقصودِه من اللَّه، بِتعلُّقه بغيره، والتِفاتِه إلى ما سِواه، فلا على نصيبِه من اللَّه حَصَل، ولا إلى ما أمَّله ممن تعلَّق به وصَل؛ قال سبحانه: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۞ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾، ويوم القيامة يتبرَّأُ بعضُهم من بعضٍ؛ قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۞ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾.

ومَنْ لَاذَ بغير اللَّه من الجنِّ، أو استعانَ بالسحرة فلن يُحقِّقَ مقصودَه منهم، ولن يَزيدُوه إلَّا شرّاً وخوفاً وإرهاباً، وحَيْرَةً وذُعراً؛ قال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

والسَّعيدُ مَنْ أَنزلَ حاجاتِه بالرَّبِّ العظيم، مُفرِّجِ الكروب، ومُزيلِ الغُموم، سبحانه وتعالى عمَّا يقولون علوّاً كبيراً.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَحَبَّةُ اللَّهِ[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

أوجَدَ اللَّهُ الخَلقَ لعبادتِه الجامِعة لمحبَّته ورجائِه وخشيَتِه، وعلى هذه الثَّلاثةِ الأصُولِ تُبنَى العِبادة، والمحبَّةُ أعظمُ هذه الأركان، فأصلُ كلِّ فعلٍ وحركةٍ إنما هو من المحبَّة والإرادة، ومحبَّةُ اللَّهِ من أعظم واجبات الإيمان وأكبرِ أصولِه؛ بل هي مقصودُ الخلق والأمر، وأصلُ كلِّ عملٍ من أعمال الإيمان والدِّين، وغايةُ العبادة إنما هو كمالُ الحبِّ والخُضوعِ للَّه، ولأجلِها تنافس السابقون، ولا شيءَ أحبُّ إلى القلوب السليمة من خالقها وفاطرها.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة، سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وأصلُ التَّوحيدِ وروحُه: إخلاصُ المحبَّة للَّه وحده، ولا يَتمُّ حتى تكمُلَ محبَّةُ العبدِ لربِّه، وتسبِقَ محبَّتُه جميعَ المَحَابِّ، فأصلُ الدِّين الإخلاصُ فيها، ومنشأُ الشِّركِ وأصلُه من التَّشريكِ فيها.

واللَّهُ امتدح عبادَه المؤمنين بإخلاصِ المحبَّة له، وذمَّ المشركين بالتَّنديدِ فيها، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، وجَعَلها أخصَّ خصالِ أوليائِه فقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وإذا أخلص العبدُ محبَّتَه للَّه ذاقَ حلاوةَ الإيمان وطعمَه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ وَطَعْمَهُ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**» (متفق عليه).

وصِدقُ المحبَّة خيرُ زادٍ ليوم المعاد، وهي نِعمَ العُدَّةُ للقاء اللَّه، سألَ رجُلٌ النَّبيَّ ﷺ: «مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: **مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟** قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» (رواه البخاري).

ومنازِلُ العبادِ عند اللَّهِ على قَدر حُبِّهم وخُضُوعِهم له، قال بكرٌ المُزنيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا فَاقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بِكَثْرَةِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ»، قال ابنُ عُلَيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الَّذِي كَانَ فِي قَلْبِهِ: الحُبُّ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي خَلْقِهِ».

ومَنْ ذاقَ مِن خالصِ محبَّة اللَّهِ شَغَله ذلك عن جميعِ المحابِّ، فلا يأنَسُ إلَّا بربِّه، ولا يتعلَّقُ بغيرِه.

واللَّهُ توعَّدَ المُعرِضِين عن محبَّتِه بقولِه: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

وتحصِيلُ هذه المحبَّة يكونُ بما سنَّه اللَّهُ وشرَعَه، وأعظمُ الأسباب المُوجبةِ لمحبَّة العبدِ ربَّه: العلمُ بأسمائِه وصفاتِه، فهو المحبوبُ لذاتِه وكمالِ صِفاتِه، فجمالُه تعالى وكمالُه وأسماؤُه وصفاتُه تقتَضِي مِن عبادِه غايةَ الحبِّ والخضوعِ والطَّاعةِ له، وكلُّ اسمٍ وصِفةٍ له سبحانه فيه من وجوه الدَّلائِلِ عليه تعالى ما يستحِقُّ لأجلِه المحبَّةَ الكامِلةَ مِن عبادِه، ولهذا تعرَّفَ اللَّه بها إلى خلقِه، وأكثَرَ مِنْ ذِكْرِها في كتابه وفي سُنَّةِ نبيِّهِ ﷺ؛ ليُذكَرَ بها الرَّبُّ ويُشكَر، وتفاوتُ مراتبِ الخلقِ في محبَّته على حسب تفاوُتِ مراتبهم في معرفته والعلمِ به، فأعرَفُهم به أشدُّهم حبّاً له.

ومِنْ مُوجباتِ محبَّة اللَّه: كثرةُ ذِكرِه، فدوامُ الذِّكر يورثُ المحبَّة، وسُنَّةُ اللَّهِ في خَلقِه أنَّ مَن أكثَرَ مِن ذكرِ شيءٍ أحبَّه، ومَن أحبَّ شيئاً أكثَرَ ذِكْرَه، واللَّه أحقُّ مَن يُحَبُّ، وأجَلُّ مَن يُذكَر، والنُّفوسُ تُحِبُّ مَن أحسنَ إليها، واللَّهُ هو المنعِمُ المُحسِنُ إلى عبادِه بالحقيقةِ، وهو المتفضِّلُ بجميعِ النِّعَم، وإن جرَت بواسِطةٍ فهو المُيسِّرُ لها، ومُسبِّبُ الأسبابِ وحدَه؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ

خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

والتَّفكُّرُ في ملكوتِ السَّمواتِ والأرضِ يدعو صاحِبَه لمحبَّة اللَّه وتعظيمِه، فالقلوبُ مفطُورةٌ على محبَّة الكمال، ولا كمالَ على الحقيقةِ إلَّا له سبحانه، والإقبالُ على الطَّاعةِ بصِدقٍ وإخلاصٍ سببٌ لتفضُّلِ اللَّهِ على عبدِه؛ فيُثيبُه لذَّةَ محبَّتِه وأُنسَ مُناجاتِه، وتلاوةُ كِتابِ اللَّه وتدبُّرُ آياتِه حياةٌ للقلوبِ وطهارةٌ للنُّفوسِ - فهو ذِكرٌ، وهُدًى، وموعظةٌ، وشِفاءٌ -، ومَن لزِمَه أحبَّ ربَّه، وأعرض عمَّا سواه، قال عُثمانُ رضي الله عنه: «لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُنَا مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ»، ولا سبيلَ للوصولِ إلى حبِّ اللَّه والتَّقرُّبِ منه إلَّا على سبيلِ الذُّلِّ له سبحانه، وانكِسارِ القلبِ بين يدَيه، والدعاءُ يجمَعُ ذلك كلَّه.

والبُعدُ عن الشُّبُهاتِ والشَّهَواتِ سبيلُ الصَّلاحِ والاستِقامة، والصُّحبةُ الصَّالِحةُ خيرُ عَونٍ على ما يُحبُّه اللَّهُ ويرضَاه، وذِكرُ الجنَّة وما فيها من النَّعيم - وأعلى ذلك رُؤيةُ الرَّبِّ الكريمِ - يبعَثُ على حبِّ اللَّه وحبِّ لِقائِه.

والمَحبَّةُ الصَّادقةُ تَظهَرُ على الجوارِحِ، فلا يكون صاحبُها إلَّا مُخلِصاً عبادتَه للَّه، مُتَّبِعاً لرسولِ اللَّه ﷺ، قال الحسنُ البصري رحمه الله: «زَعَمَ قَوْمٌ حُبَّ اللَّهِ، فَامْتَحَنَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾»، وإذا صحَّت المحبَّةُ استقامَ مُقتضاها؛ فأحبَّ العبدُ للَّه، وأبغَضَ للَّه، واللَّهُ وصَفَ مَن يُحبُّهم بقولِه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

ومَنْ أحبَّ مَنْ يُحبُّ اللَّهَ فإنَّما أحبَّ اللَّه، ومَن صدَقَت محبَّتُه للَّه أحبَّ الطَّاعةَ وامتثَلها، وأبغَضَ المعصِيةَ واجتنَبَها، وعمَرَ وقتَه بذِكر ربِّه، ومَنْ أحبَّ اللَّهَ أحبَّ كلامَه، وانشرَحَ صدرُه له، قال ابن القيِّم ﷺ: «وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَا عِنْدَكَ وَعِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ؛ فَانْظُرْ مَحَبَّةَ الْقُرْآنِ مِنْ قَلْبِكَ، وَالْتِذَاذَكَ بِسَمَاعِهِ».

وإذا تمكَّنَت المحبَّةُ في القلبِ أَقْبلَ على اللَّهِ راجِياً رحمتَه، خائِفاً مِن سخَطِه، فيَصلُحُ بذلك الجسدُ كلُّه، لا يمَلُّ قُربةً، ولا يسأمُ من طاعة، راضِياً بقضاء اللَّهِ وقَدَرِه، مُوقِناً بأنَّ اختِيارَ اللَّهِ خيرٌ مِن اختِياره، فيترقَّى في درجاتِ الإحسان، حتى يصِيرَ الغيبُ عنده كالشَّهادة.

واللَّهُ موصوفٌ بصفاتِ الجلال، منعُوتٌ بنُعوتِ الجمال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ومِنْ صفاتِه المحبَّة، فيُحبُّ الطَّاعةَ وأهلها محبَّةً تليق بجلاله وعظمته، وعلى العبدِ أن يسعى إلى الأعمال التي يحبُّها اللَّه، فمن الأديان: يحبُّ اللَّهُ دينَ الإسلام وارتضَاهُ لنا، ولا يقبَلُ ديناً سواه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وهو سبحانه وِترٌ يحبُّ الوترَ مِن طاعاتِ العبادِ، وأن يُفرَدَ بها دون شريك.

والصَّلاةُ عمودُ الدِّين، واللَّهُ يحبُّ أداءَها على وقتها، وأحبُّ نوافل الصَّلاة والصِّيَام إليه: ما كان عليه داودُ عليه السلام: «**كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيُصَلِّي ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ**» (متفق عليه).

وأحبُّ الهيئاتِ إلى اللَّه: ذُلُّ عبادِه له، وانكِسارُهم بين يديه، قال رجُلٌ للنَّبيِّ ﷺ: «أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ العَمَلِ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ: **عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ**» (رواه مسلم).

وخيرُ المَدحِ والثَّناءِ والتَّمجيدِ والحمدِ ما كان للَّه، وهو يُحبُّ ذلك مِن عبادِه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللَّهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ**» (متفق عليه)، وأحبُّ الكلامِ إلى اللَّه: «**سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**» (رواه مسلم)، و«**سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ**» حبيبَتان إلى الرَّحْمن، وأربعُ كلماتٍ هي أحبُّ الكلامِ عند اللَّه: «**سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ**» (رواه مسلم)، وأحبُّ أسمائِكم إلى اللَّه: «**عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**» (رواه مسلم).

وأحقُّ النَّاسِ بالصُّحبةِ هما الوالدان، وبِرُّهما يُحبُّه اللَّه ويرضَاه؛ قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: **الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **بِرُّ الوَالِدَيْنِ**» (متفق عليه).

والرِّفقُ كلُّه خيرٌ، واللَّهُ يُحبُّ ذلك، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ؛ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**» (متفق عليه)، والحِلْمُ والأناةُ خُلُقان كريمان يُحبُّهُمَا اللَّه، قال الرَّسولُ ﷺ لِأَشَجِّ عبدِ القَيْس: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الحِلْمُ، وَالأَنَاةُ**» (رواه مسلم).

والحياءُ عن اقترافِ المعاصي، والسِّترُ على مَنْ وَقَعَ فيها - وهو أَهلٌ للسَّتْر - ممَّا يُحبُّه اللَّه، قال الرَّسُولُ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ عز وجل حَيِيٌّ سَتِيرٌ**

- أَيْ: شَأْنُهُ السِّتْرُ، وَهِيَ صِيغَةُ مُبَالَغِةٍ - **يُحِبُّ الحَيَاءَ وَالسِّتْرَ**» (رواه أبو داود)، وهو سبحانه: «**جَمِيلٌ؛ يُحِبُّ الجَمَالَ**» (رواه مسلم).

عفُوٌّ ويُحبُّ العافِين مِن عبادِه؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنِّي**» (رواه أحمد)، وبيانُ ما للنَّاسِ بعضِهم على بعضٍ مِن حقوقٍ وواجباتٍ مما يُحبُّه اللَّه، قال الرَّسُولُ ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الكِتَابَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ**» (متفق عليه).

والإسلامُ حثَّ على التَّكسُّب وحِلِّ المكسَب، و«**مَا أَكَلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ طَعَاماً أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ**» (رواه أحمد)، وامتثالُ الشَّريعةِ برُخَصِها وعزائِمِها شأنُ المُؤمن، قال الرَّسُولُ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ**» (رواه أحمد)، ودوامُ الطَّاعة - وإن قلَّت - توفيقٌ وثباتٌ، و«**أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**» (متفق عليه)، والدُّنيا قصيرةٌ، واللَّهُ يُحبُّ أن تُختمَ بذِكرِ اللَّه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ: أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**» (رواه ابن حِبَّان).

والأمكِنةُ تتفاضَلُ، وأحبُّها إلى اللَّهِ مواطِنُ العبادة؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**أَحَبُّ البِلَادِ إِلَى اللَّهِ: مَسَاجِدُهَا**» (رواه مسلم).

وكما أنَّ اللَّهَ يُحبُّ الطَّاعةَ والعملَ، فإنه يُحبُّ الطائِعَ والعامِلَ، فيُحبُّ أنبياءَه ورُسُلَه وعبادَه الصَّالِحين، وَدُودٌ ذُو حبٍّ شديدٍ لأوليائِه

وعبادِهِ المُؤمنين، لذا فمَن عاداهم فقد آذنَه اللَّه بحَربٍ، واتَّخذَ اللَّهُ إبراهيمَ ومُحَمَّداً عليهما السلام خَلِيلَيْن، والخُلَّةُ: أعلى أنواعِ المَحبَّة، قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً» (رواه مسلم)، وأَلْقَى مَحبَّتَه على مُوسى عليه السلام، فقال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾.

واللَّهُ شَكورٌ، مَن أحبَّ أسماءَه وصِفاتِه أحبَّه اللَّه؛ كان رجُلٌ يقرأُ ويُصلِّي بأصحابِه فيختِمُ بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلمَّا رجَعُوا ذكَرُوا ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: «سَلُوهُ: لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ» (متفق عليه).

ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ بعثَه اللَّهُ ليُطاعَ، ومَنْ أطاعَه أحبَّه اللَّه؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾.

واللَّهُ يُحبُّ المتَّقين، ويُحبُّ المحسنين في عبادتهم وفي معاملة عباده، وهو سبحانه عظيمٌ يحبُّ مَن يُفوِّضُ أمرَه إليه بالتَّوكُّل عليه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾، ولا أعدلَ مِن اللَّه في الأحكام والتَّشريعِ والجزاءِ، ومَنْ عدلَ بين الخلقِ أحبَّه اللَّه ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾، وهو سبحانه يُحبُّ الذين يُقاتِلُون في سبيلِه صفّاً كأنَّهم بُنيانٌ مرصُوصٌ، ومَنْ صبرَ على الطَّاعة، وعن المعصِيةِ، وعلى البلاءِ؛ أحبَّه اللَّه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

وفِعلُ النَّوافِلِ بعد الفرائِضِ أمارةُ إيمانٍ يُحبُّ اللَّهُ فاعِلَها، قال اللَّه في الحديثِ القُدسيِّ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ» (رواه البخاري).

والزَّاهِدُون في الدُّنيا - بتَركِ ما لا ينفعُ في الآخرة - يحبُّهم اللَّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا؛ يُحِبَّكَ اللَّهُ» (رواه ابن ماجه)، وإخفاءُ ما يُشرَعُ إخفاؤُه مِن الأعمال الصَّالِحة علامةُ إخلاصٍ، واللَّهُ يُحبُّ مِن عبدِه ذلك، قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ» (رواه مسلم).

واللَّهُ سبحانه قويٌّ، و«المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» (رواه مسلم)، ومَنْ نصَرَ الدِّينَ أحبَّه اللَّه، والأنصارُ أدَّوُا الحقَّ الَّذي عليهم فأحبَّهم النَّبيُّ ﷺ وأوصَى بهم، وقال: «آيَةُ الإِيمَانِ: حُبُّ الأَنْصَارِ؛ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ» (متفق عليه).

وحُبُّ الصَّالِحين مِن حُبِّ الدِّين وحُبِّ اللَّه، ومَنْ أحبَّهم أحبَّه اللَّه، «زَارَ رَجُلٌ أَخاً لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ - أَيْ: عَلَى طَرِيقِهِ - مَلَكاً، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخاً لِي فِي هَذِهِ القَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ - أَيْ: تَشْكُرُهُ عَلَيْهَا - قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ ﷻ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» (رواه مسلم).

واللَّهُ ﷻ توَّابٌ يُحبُّ التَّائِبين، ويُحبُّ المُتطهِّرين من النَّجاساتِ الحِسِّيَّة والمعنوِيَّة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾، وهو سبحانه كريم، ورحمتُه وسِعَتْ كلَّ شيءٍ، ومَن أحبَّ لِقاءَ اللَّهِ والنَّظرَ إليه أحبَّ اللَّهُ لِقاءَه.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فاللَّهُ أهلٌ أن يُحَبَّ؛ لكمالِه وعظيم إحسانه، وهو سبحانه يُحبُّ الطَّاعةَ ويُحبُّ عبادَه الطَّائِعين محبَّةً تليقُ بجلالِه وعظمتِه، وحبُّ اللَّهِ للعبدِ منزِلةٌ عالِيةٌ لا ينالُها إلَّا المطيعُ للَّه ولرسولِه عقيدةً وقولاً وعملاً، ومَنْ أحبَّه اللَّهُ صرَفَ عنه كلَّ بلاءٍ وشرٍّ، وهداه ووفَّقه، وأجاب دعاءَه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ**» (رواه البخاري)، والمُسدَّدُ يسعَى لنوالِ محبَّةِ اللَّه بالمسارعةِ لما يحبُّه، ومُجانبَةِ المعاصِي لأنَّ اللَّهَ يُبغِضُها.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

محبَّةُ اللَّهِ للعبدِ غايةُ ما تسمُو إليه النُّفوس، فتبقى القلوبُ عامِرةً بالخوف والرَّجاء، ومن رحمة اللَّهِ أن جعلَ لمحبَّته علاماتٍ تَسُرُّ المُؤمنَ ولا تغُرُّه، فالهدايةُ لا تكون إلَّا لمن أحبَّ، والعصمةُ مِن فتنة الدُّنيا أمارةُ حبٍّ وإكرامٍ، والقَبُولُ في الأرضِ بمحبَّة المسلمين للعبد دليلُ محبَّةِ اللَّهِ له، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَاناً؛ فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَاناً؛ فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ**» (متفق عليه).

وحُسنُ الخَاتِمَة مِنحةٌ من اللَّه لمن يُحبُّ مِن عبادِه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْراً اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ**، قَالُوا: يَا رسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ: **يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ**» (رواه أحمد).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الخَشْيَةُ مِنَ اللَّهِ(١)

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

الهوى يحملُ على التَّفريطِ والعصيان، والشيطانُ يَؤُزُّ الإنسانَ إلى اقتراف الخطايا والأوثان، والنَّفس تهوى التَّوانِي والملاذ، ولا يُمسِك زمامَها سوى الخوفِ من اللَّه ﷻ والوجلِ من عقوبته.

والخوفُ منه سبحانه هو ركن العبادةِ الأعظمُ الذي لا يستقيمُ إخلاصُ الدِّينِ للَّه إلَّا به، وهو فرضٌ على كلِّ مُكلَّف، ومن أَجَلِّ العباداتِ القَلْبِيَّة؛ قال اللَّه لنبيِّه مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة سبع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾، والملائكةُ تخافُ ربَّها وتخشاه ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۞ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾.

وخاف الأنبياءُ على قومهم من عذاب اللَّه؛ قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾، وقال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾، وقال هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾، وقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾، والصَّالحون يخشون حلول العذاب على أقوامهم في الدُّنيا ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾، ويخافون عليهم من عذاب الآخرة ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾، ولا يَعتبرُ بالنُّذر إلَّا مَنْ أحيا اللَّه قلبه بالخوف منه ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾.

والخائفُ من ربِّه يُمنَح التَّبصُّرَ في الآيات والاعتبار ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾، وينتفعُ بمواعظ القرآن وذكراه ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

والنُّذُرُ والآياتُ يسوقُها اللَّه ليفزَعَ القلبُ إليه ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾، والابتلاءاتُ في التَّكليف لإظهار منزلةِ الخوف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾.

وهو من أَجَلِّ صفاتِ العبادِ ومن أسبابِ السَّدادِ في القولِ والعمل

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾، وذُمَّ الكفَّارُ لفقدِ تلكَ الصِّفةِ فيهم ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾.

ومَنْ خافَ ربَّه أَمِن عند الموت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾، ووُقِيَ كَرْبَ المحشر ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾، وكانتِ الجنَّةُ له نزلاً ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾.

وعلى قدر العلم باللَّه يكون الخوف منه والخشية له، قال ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**» (متفق عليه)، وكان ﷺ إذا رأى غيماً أو ريحاً تغيَّر لَوْنُه، وخَرَجَ ودَخَل، وأَقْبَل وأَدْبَر؛ يخشى أن تكون عذاباً، وإذا غَمَرَ الخوفُ القلبَ حَجَبَه عن المعاصي ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

الخوفُ منزلةٌ عاليةٌ رفيعة، وهو من قواعدِ الدِّينِ المتينة، تجعلُ المسلمَ ثابتَ الأُسس، لا تقلِّبُه الأهواء ولا تبدِّلُه الأطماع، يسيرُ على صراط اللَّه مُمْتَثِلاً أَمْرَ النَّبيِّ ﷺ: «**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**» (رواه الترمذي)، ومِنَ النَّاس مَنْ فقدوا تلك المرتبة؛ فحُرِمُوا لذَّة العبادةِ وتَزَعْزَعَ مَنْهَجُهم في الحياة، قال سبحانه عنهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

وزوالُ الخوفِ من اللَّه فسادٌ للحال، وشقاءٌ في الحياة، وظلمةٌ للقلب تحيطُ الشُّبهاتُ والشَّهواتُ حوله، قال أبو سليمانَ الدَّارَانِيُّ رحمه الله:

«مَا فَارَقَ الخَوْفُ قَلْباً إِلَّا خَرِبَ»، وما إعراضُ أهلِ الكفر إلَّا بسبب نزع خوف اللَّه من صدورهم، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأَخِرَةَ﴾، واستهزاءُ المنافقين بدين اللَّه وسخريتُهم بأحكامه مِنْ فَقْدِ قلوبهم لمراقبة اللَّـه: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾.

وما جَنَحَ مَنْ جَنَحَ مِنْ أهل العصيان إلَّا من تفريطهم في تلك المنزلة، وما نهى الصالحون نفوسهم عمَّا تهوى من الحرام إلَّا من إحاطة الخشية بقلوبهم: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾، ومَنْ خافَ مِن اللَّه في الخلوة جازاه ربُّه بظلٍّ تحتَ عرشِه؛ «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ؛ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ**» (متفق عليه).

والعابدُ الوجِلُ في الخلوة، الذَّارفُ دمعُه بصدقٍ؛ موعودٌ بمثلِ ذلك، والمتهجِّد في ظُلَم الليل أيقظه الخوفُ من اللَّه؛ فعوضه اللَّه ما طلب: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، والمؤمنُ يجمعُ إحساناً وخشية، والمنافقُ يجمعُ إساءةً وأمناً.

أيُّها المسلمون:

بطشُ اللَّه شديد، ووعيدُه أكيد، والأمن مِنْ عقوبة اللَّه وعدمُ مراقبتِه سببُ شقاء أهل القرى والأفراد، أعرضت أممٌ عن الخوف من اللَّه فتمادَتْ في العصيان؛ فأنزل اللَّهُ عليهم بأسَه ورِجزَه، أهلك قومَ نوحٍ بالغرق، وثمودَ بالصَّاعقة، وعاداً بريحٍ عاتية، وقومَ شعيبٍ برجفة

وصيحة وظُلَّة، ورفَعَ قُرى قومِ لوطٍ بمن فيها بطرفِ جناحِ مَلَكٍ ثمَّ أهوى بهم إلى الأرض، ورفَع جبلاً عظيماً فوق رؤوس بني إسرائيل، وعذَّبهم بالطُّوفان، وأرسل عليهم جراداً ودَماً وقُمَّلاً، ومسخ منهم أشخاصاً بسبب ذنوبهم قِرَدةً وخنازيرَ، وأحرق بستاناً عظيماً بثماره - كما في سورة القلم - بأوزارِ أصحابِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾.

وتوعَّدَ سبحانه على مرِّ الأزمان مَنْ أمِنَ خوفَه من أهل الأمصار بالعذاب المهين: ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ۞ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾، وأنزل رِجزه على أفراد لم يخافوه؛ فجعل الطَّاغيةَ المتكبِّرَ - فرعونَ - جثةً هامدةً بين الأمواج، وخَسَفَ بقارونَ - ذي المالِ الوافرِ والبَغْيِ - بجسده وداره، وخسَفَ برجلٍ يَجُرُّ إزارَه من الخيلاء، وعمرٌو بن لُحَي يَجُرُّ قُصْبَه في النَّار.

واللَّهُ يمهل للعاصي ولا يهملُه حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾.

ودعا عبادَه إلى طاعتِه وحذَّرهم من معصيتِه ونِقْمتِه؛ فهو شديد العقاب، ولا يرضى لعباده الكفر: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾، وتوعَّد مَنْ ترك الصلاةَ بجهنَّم: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۞ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾، وأحاط بالبُؤس والشَّقاء من عَقَّ والدَيْه: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾، ويوشِك أن يَعُمَّ الجميع بالعذاب

إذا تركوا الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر، ويَغَارُ سبحانه على انتهاك الحرمات والأعراض؛ «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ» (متفق عليه).

وبأكلِ المالِ الحرامِ يُرَدُّ العمل؛ «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً»، ويعاقبُ العبدَ على إطلاقِ البصرِ في المحرَّمات بسلبِ زكاءِ نفسِه وطهرها ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾، وحذَّر من صغائر الذُّنوب؛ قال ﷺ: «يَا عَائِشَةُ! إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ ﷻ طَالِباً» (رواه أحمد).

ومِنْ علامةِ صدقِ خوفِ العبد من اللَّه: أن تكون خَلْوتُه وجَلْوتُه سواءً، فلا يخلو بسيئة إذا توارى عن الأبصار: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، واحذر خَفَايَا الخطايا فإنَّها مُهْلِكَات؛ قال أنسٌ رضي الله عنه: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ» (رواه البخاري).

والآمنُ من عقوبة اللَّه هو الخاسر: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾، وتوالي النِّعم على العبد مع إصرارِه على الخطايا إنَّما هو استدراجٌ من اللَّه له؛ فَلْيَخشَ عقوبتَه وعذابَه.

ولا يُعَدُّ خائفاً من لم يكن للذُّنوب تاركاً، وكلُّ عاصٍ للَّه فهو جاهل به، وكلُّ خائفٍ منه فهو عالم، وكلَّما كان العبدُ باللَّه أعلمَ كان له أخوف؛ قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ عِلْماً، وَكَفَى

بِالِاغْتِرَارِ باللَّه جَهْلاً»، ونقصانُ الخوف إنما هو لنقصانِ معرفةِ العبدِ بربِّه، وفي مراقبةِ العاقبةِ زيادةُ استحضار المخوف.

ومِنْ رحمة اللَّه أنَّه لا يجمع على عبدِه خوفين؛ فمَنْ خافه في الدُّنيا أمِنَ في الآخرة، ومَنْ أمِنَ مِنْ مَكْرِه في الدُّنيا أفزَعه في الآخرة، ومَنْ خافَ ربَّه عاش بين الخلق عظيماً، وفي حياته عزيزاً، وخوفُ المخلوقِ من المخلوق ذلٌّ وخُنوع؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

ما حُفِظَت حدودُ اللَّه ومحارمُه، وما وصل الواصلون إليه بمثل خوفِه ورجائِه ومحبتِه، ومتى خلا القلبُ من هذه الثَّلاث؛ فسد، ومتى ضَعُف فيه شيءٌ من هذه؛ ضعُفَ إيمانُه بحسبه، والقلب في سَيْرِه إلى اللَّه بمنزلة الطَّائرِ- فالمَحبَّةُ رأسُه، والخوفُ والرَّجاءُ جناحاه -.

والخوفُ يستلزمُ الخشية، والخشيةُ تستلزمُ الطَّاعة، والرَّجاءُ يَحْدُو العبدَ في سَيْرِه إلى اللَّه، ويُطَيِّبُ له المسير، ويحثُّه عليه، ويحبِّبُ له ملازمته، ومن عظَّمَ اللَّهَ في قلبه وقَّرَه اللَّه في قلوب الخلق فلم يُذِلُّوه، قال الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ خافَ اللَّهَ لم يضرَّه أحد، ومَنْ خافَ غير اللَّه لم ينفعه أحد».

والاستسلامُ للَّه وتفويضُ الأمور إليه تنزع من القلبِ الخوفَ من البشر، ومَنْ خافَ ربَّه لم يفزعه أحد؛ بل هو مطمئنُّ القلبِ ساكنُ الجوارح، فالزموا الخوفَ من اللَّه واقدُرُوا ربَّكم حقَّ قدرِه؛ تَسْعَدُوا في الدُّنيا والآخرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الأَيْمَانُ الإِلَهِيَّة(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

جعل اللَّهُ القرآن العظيم آيةً خالدة، وموعظة بالغة، نوَّع فيه أساليبَ الهداية وثنَّاها، والأَيْمَان الإِلَهِيَّة بابٌ عظيم من أبواب الإِيمَان والهِدَايَة، وقد افتتح اللَّه خمس عشرة سورةً بالأَيْمَان، كلُّها مكيَّة، وأقسم في مواضع كثيرةٍ من كتابه؛ تنبيهاً لعباده على عظمة المُقسِم والمُقسَم به والمُقسَم عليه.

واللَّهُ أقسم في كتابه أعظم قَسَمٍ، بأعظم مُقْسَمٍ به - وهو نفسه المقدَّسة الموصوفةُ بصفات الكمال - على أجلِّ مُقسَمٍ به - وهو أصول

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث عشَر من شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الإيمان وركائزُ الدِّين -، فقال: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

وأقسمَ بربُوبيِّته على حشر العِباد يوم الدِّين: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾، وأنَّ العبدَ مسؤول عن عمله في الآخرة، وأنَّ المرجعَ إليه لا مَفرَّ منه؛ قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وأقسمَ بألوهيَّته على محاسبة المشركين؛ قال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾.

وأقسمَ بربُوبيَّته لكلِّ ما طلعت عليه الشَّمسُ والنُّجومُ أو غربت، على عموم قُدرتِهِ وكمالها، وأنَّه سيُعيد العِباد للجزاء والحساب؛ قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ * عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾.

وأقسمَ بربوبيَّته الخاصَّة للنَّبيِّ ﷺ على نفي الإيمان عمَّن لم يتحاكمْ إلى النَّبيِّ ﷺ ويتلقى حُكمَه بالرِّضا والتَّسليم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾.

واللَّهُ سبحانه يتكلَّم متى شاء إذا شاء بما شاء، والقرآنُ الكريمُ أشرفُ كلامِه وأجلُّه، فأقسم به على إنزال القرآن؛ فقال: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، وعلى صِدق رسوله وصحة نبوَّته ورسالته: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وعلى إثبات المعاد

وتقرير وقوعه: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۞ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۞ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾.

وأقسمَ سبحانه بكتابه المسطور، أي: المكتوب ﴿فِى رَقٍّ﴾ وهو ما يكتب فيه من جلدٍ رقيق ﴿مَّنشُورٍ﴾ أي: غير مهجور، وهو ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ وهم الملائكةُ ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾، وفيه إيذانٌ بالاعتناء به.

ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ أفضلُ الأنبياء والرُّسُل، وحياتُه هدايةٌ ورحمةٌ وبركةٌ على الثَّقلين، وبفضلِ اللَّه أرسله إليهم؛ لِيَنالَ مَنْ يُطيعُه جنَّاتِ النَّعيم، وعُمُرُه في دعوة أُمَّته من أعظم النِّعم والآيات، أفنى عليه الصلاة والسلام حياتَه في الدَّعوة إلى ربِّه مع كمال الإخلاص والتَّقوى، فأنزله اللَّهُ أعلى المنازل في الجنَّة، وحَفِظ دينَه وشريعتَه، ووعدَهُ بكفايته ممَّن سخر منه بقوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾، وتوعَّد مَنْ أبغضه أو استهزأ به بقطع دابره، فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

ولِمَزيَّة عمُرِه على كلِّ أعمار بني آدم أقسمَ اللَّه بحياتِهِ، فقال: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ أي: وحياتك ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: في ضلالهم يَتردَّدون، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «وَفِي هَذَا - أَيْ: فِي قَسَمِ اللَّهِ بِحَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ - تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ، وَمَقَامٌ رَفِيعٌ، وَجَاهٌ عَظِيمٌ».

والملائكةُ خَلْقٌ عظيم، دائبون في عبودية اللَّه لا يَفْتُرون، والإيمانُ بهم من أركان الإيمان، وتعظيماً لهم أقسمَ اللَّه بحال قيامهم بحقِّ عبوديته صفوفاً بين يديه؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا﴾، وهم أصنافٌ في قيامهم بأعمالهم المُوكَلَةِ إليهم من اللَّه في تدبير العَالم، فأقسمَ

بالملائكة التي تَزْجُر السَّحاب وغيرَه بأمر اللّه: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾، وبالملائكة التي تتلو كلام اللّه: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾، وبالملائكة المقسِّمات أمر اللّه الذي أُمرت به بين خلقه من الرِّزق والتأييد والعذاب وغير ذلك؛ فقال: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾.

والموتُ مَشْهَدٌ مَهِيبٌ، ملائكةٌ تنزع أرواحاً من الأجسادِ نزعاً بقوة، وتُغْرِق في نزعها، فأقسمَ اللّه بها ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾، وملائكةٌ تأخذ أرواحاً بسرعةٍ وخِفَّةٍ، وأقسمَ بها؛ فقال: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾، وبملائكة نزلت على الرُّسُل فَرَّقَتْ بين الحقِّ والباطل، وألقت إلى الرُّسل عليهم السلام وحْياً فيه إعذارٌ وإنذارٌ؛ فقال: ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾.

والكونُ من عجائب الخلق، وما فيه من دقيق الصَّنْعَة يُعرِّف الخلقَ بعظمةِ خالقِه وقوَّةِ بارئه، فالسَّماء من أعظم آياته قدْراً وارتفاعاً وسَعَةً ولوناً وإشراقاً، وربُّنا سبحانه فوق السَّماء، وهي مَحَلُّ الملائكة، ومنها تتنزل الأرزاق وإليها تصعد الأرواح والأعمال، فأقسم اللّه بالسَّماء وبانيها وما بناه فيها: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾، وبصفاتها من ارتفاعها: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾، وبما فيها من الزِّينة والجمال والإتقان: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾، وبما يحدث فيها من النَّجم الذي يثقب ضوؤه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾، وبما فيها من البروجِ التي تنزلها الشَّمس والقمر والنُّجوم السَّيَّارة: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾، وبما فيها من الرِّزق من إرجاع المطر إلى العباد مرةً بعد أخرى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾.

وأقسمَ سبحانه بمواقع النُّجوم التي بها قِوام اللَّيل والنَّهار والسِّنين والشُّهور والأيَّام: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾، وللنُّجوم أحوالٌ ركَّبها اللَّه سبحانه عليها فلها مطالع تطلع منها، ثمَّ تجري بإذن اللَّه مُسَخَّرَةً مُنْقَادة إلى مغربها، فأقسمَ بها فقال: ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾، وأقسم بها في أحوالها الثَّلاثة في غروبها وجَرَيانها وطلوعها: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۞ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾، وأقسمَ بالنَّجم حال هُوِيِّه على الشياطين المسترقين للسَّمع على تنزيه رسوله ﷺ من الضَّلال والغواية وهو الصَّادق المكلَّم بالوحي المحفوظ بالنُّجوم من استراق الشَّياطين له ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۞ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾.

والشَّمسُ والقمرُ أعظم المخلوقاتِ المشاهَدةِ في السَّماء الدُّنيا، وبحركتها تتمُّ مصالحُ النَّاس، ولا غنى للخلق في معاشهم عن وجودهما، واللَّهُ أقسمَ بهما تعظيماً لأمرهما فقال: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۞ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾.

والأرضُ مهادٌ وفِراش، هَيَّأَها اللَّهُ للخلق ووطَّأها وبَسَطَها وبارك فيها، وَذرَأَ عليها الأنعامَ والحيوان، وأجرى فيها العيونَ والأنهار، وأقسمَ بها وَبِسَعَتِها وبمن وَسَّعَها ومدَّها فقال: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾، وبما تَنْشَقُّ عنه من النَّبات الذي به حياةُ الأرضِ ومن عليها ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾.

والرِّياحُ خَلْقٌ عجيب لا تُرى، يُدَبِّر اللَّه مسيرَها وأعمالَها للنَّصر أو للعذاب أو للمعاش، فأقسمَ اللَّهُ بتتابعها لامتثال أمرِ اللَّه بما أمرت به:

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾، وَبِعَصْفِهَا ما شاء اللَّه أن تَعْصِف به: ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾، وبما تَنْسِفُه وتُغْرِقه من الماء والتُّراب إذا تهشم فقال: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾، وبما تَحْمِلُه من السُّحب المُثْقَلَة من الماء: ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾.

والبحر آيةٌ عظيمةٌ من آيات اللَّه مملوءٌ ماءً ومحبوسٌ بقدرة اللَّه أن يطغى على الأرض فَيُغْرِق من عليها، والفُلْكُ المَشْحُون تجري فيه مُثْقَلَة بأرزاق اللَّه، وفي البحر من المخلوقات أضعافُ أضعافِ ما في البر؛ ولعجائبه وما فيه أقسم اللَّه به فقال: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾.

واللَّهُ فضَّل بني آدم على كثيرٍ ممَّن خلق تفضيلاً، فأقسم بأصل مسكنه ومَرْجِع كل البلاد - وهي مكة، أُمُّ القرى -، فقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾.

وأقسمَ بأصله - وهو أَبُو البَشَرِ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فقال: ﴿وَوَالِدٍ﴾، وبما تَفَرَّع منه من الذُّريَّة ﴿وَمَا وَلَدَ﴾.

والكتابةُ وقلمُها من أكبر النِّعم على الإنسان؛ فهي من وسائل حفظ الدِّين ومعرفة الإسلام، وبهما قضاءُ مصالحِ النَّاس، واللَّه أقسمَ بهما على أنَّ نبيَّه مُنَزَّهٌ عن مطاعن أعدائه، وأنَّه نبيٌّ كريمٌ جعله ربُّه على خُلُقٍ عظيم لا يدانيه فيه أحد: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

والخيلُ مركوب وزينة، والمنفعة ملازمةٌ لها؛ قال ﷺ: «**الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**» (متفق عليه)، وأقسمَ اللَّهُ بها في الحال التي لا يَشْرَكُهَا فيه غيرُها من الحيوانات، فأقسمَ بِعَدْوِها

البليغِ القويِّ الذي يَصدرُ عنه صوتُ نَفَسِها في صدرها، فقال: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾، وباصطكاكِ حوافرِها بالحجارة فَتَقْدَحُ منه النارُ لصلابة حَوافرها: ﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا﴾، وبإغارتها وقت الصَّباح: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾.

وسيِّدُ البُيوت: البيتُ المعمورُ في السَّماء، وسيِّدُ الجبال: الطُّور الذي كلَّم اللَّه عليه نبيَّه موسى عليه السلام، وسيِّد الكتب: القرآن العظيم، واللَّهُ جمع بينها في القسم فقال: ﴿وَٱلطُّورِ * وَكِتَـٰبٍ مَّسْطُورٍ * فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾.

وخصَّ مكَّةَ بمنزلةٍ عالية على غيرها من المواطن، فأقسمَ بها وَوَصَفَهَا بالبلدِ الأمين، فقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾.

واللَّيلُ سكنٌ وعبادة وربُّنا سبحانه ينزلُ إلى السَّماء الدُّنيا في الثُّلث الأخير منه يَعْرِضُ نفحاتِه على العباد كرماً منه وفضلاً، واللَّيلُ أكثرُ ما أقسمَ اللَّه به من الآيات الكونيَّة، ونوَّع الأيمانَ به في جميع أحواله؛ فأقسمَ به إذا أقبل: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾، وبسريانه وجريانه ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾، وإذا غطَّى الخليقة بظلامه: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، وإذا سكن وادْلَهَمَّت ظُلمتُه: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، وبإدباره: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾، وبما فيه من الخلق والآيات: ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: وما ضَمَّ وحوى وجمع، فاللَّيل آية، وما ضمَّه وحواه آية أخرى.

والنَّهار زمن عبادةٍ ومعاش، واللَّهُ أقسمَ به في مراحله من الفجر والضُّحى والعصر.

واللَّيل والنَّهار هما زمن الحياة، وبالأعمال فيهما سبب السَّعادة الدَّائمةِ والشَّقاء، وفي كلِّ واحدٍ منهما من الآيات العظيمة، وفي إقبالهما وإدبارهما ما يدل على عَظَمة مُقَدِّرها، فأقسمَ بها: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ * وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾، وبالشَّفَق الذي في السَّماء الذي هو أمارةٌ على إقبال اللَّيل وإدبار النَّهار: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾، وباللَّيل إذا أقبل وبالصُّبحِ إذا تَنَفَّسَ - وتَنَفُّسُهُ إيذَانٌ بمَحْوِ ظلمته -: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ * وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾.

وأشرفُ ليال العام عَشْرُ ذي الحِجَّة، ولفضلهَا أقسمَ اللَّه بها؛ فقال: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ * وَلَيَالٍ عَشۡرٍ﴾.

وآخرُ الأيام: يومُ القيامة، وهو الموعدُ في رجوعنا إلى اللَّه جميعاً، فَنُحَاسب فيه على أعمالنا كلِّها وَنُجَازى عليها، وكما أقسمَ اللَّهُ على وقوعه في مواضع كثيرة؛ أقسمَ به فقال: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾.

وكما أقسمَ سبحانه بأعيان من مخلوقاته، أقسمَ بكلِّ ما نراهُ من مخلوقاته وما لا نراه مما لم يَخُصَّه بقسم؛ فقال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ * وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾، وهذا أَعَمُّ قَسَمٍ في كتاب اللَّه.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فاللَّهُ خلق الخلقَ وأتقنَه، وتحدَّى جميعَ الخلقِ أن يخلقوا ذرَّة أو حبَّة أو شعيرة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**» (متفق عليه).

ولِخَلقه البديعِ أقسمَ اللَّه به جميعاً، وخصَّ بعض مخلوقاته العظيمة بِقَسَم خاص بها، وجعلها آيةً على وحدانيته وقوته وقدرته؛ ليعبده النَّاسُ وحده، ويعظمُوه، ويمتثلوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

اللَّه خلق الخلق ويُقْسِمُ بما شاء من مخلوقاته، وأُمر العباد أنْ يَحْلِفُوا باللَّه وحده؛ تعظيماً له، ونُهُوا عن الحَلَفِ بغيره، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**» (متفق عليه)، والحلف بغير اللَّه نوعٌ من أنواع الشِّرك، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**» (رواه الترمذي).

وأَمَر النَّبيُّ ﷺ مَنْ حَلَفَ بغير اللَّه أنْ يُعِلَنَ توحيدَ اللَّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى؛ فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» (متفق عليه).

ومَنْ لم يحلف إلَّا به سبحانه وحده، مُجِلّاً له، صادقاً في حَلِفِه حين الحاجة لذلك، غير مُكْثِرٍ من الحَلِف به في كلِّ حين، ممتثلاً أمر اللَّه في قوله: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾؛ فهو المعظِّم للَّه وحده.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

قَوَادِحُ التَّوحِيد (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهده اللَّه فلا مُضِلَّ له ومن يُضْلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّهُ نَجا، ومَنْ أعرضَ عن ذكرهِ هوى.

أيُّها المسلمون:

سعادةُ العبد في كمال عبوديَّته للَّه، وتحقيقُ العُبوديَّة يكون بإخلاصِ العمل للَّه واتِّباعِ هدي النَّبيِّ ﷺ، وإذا عَمِل العبدُ عملاً لم يكن فيه مخلِصاً للَّه كان عملُه هَبَاءً؛ قال اللَّه تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾، وإذا أخلص فيه للَّه ولم يكن مُتَّبِعاً هَدْيَ النَّبيِّ ﷺ كان العملُ مردوداً عليه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ**» (رواه مسلم)، وإذا كان العملُ خالصاً صواباً

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثامن والعشرين من شهر ذي القَعدة، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

كان مُتقبَّلاً مَشْكُوراً؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.

والدِّينُ قائمٌ على نفيٍ وإثباتٍ، لا يصلُح إسلامُ المرء إلَّا بهما؛ تبرُّؤٌ من الآلهة وأهلها، وإثباتُ العبوديَّة للَّه وحدَه؛ قال ﷻ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ** ﷻ» (رواه مسلم).

وأعظم أمرٍ في الإسلام الأمر بالتَّوحيد، وأعظم نهي فيه النَّهي عن ضدِّه، سُئِل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: **أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدّاً وَقَدْ خَلَقَكَ**» (متفق عليه)، ودعوةُ الرُّسُل متَّفقةٌ على الأمر بإفراد اللَّه وحده بالعبادة، والتَّحذير من الشِّرك، أو الوُقوع في حِماه ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾، ومَنْ لازَم عبادة اللَّه كما أمر ﷻ أَمِنَ في نفسهِ ومالهِ وولدهِ ودارهِ، وأَمِنَ في قبرهِ وفي يوم الحشرِ والحساب؛ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

والتَّوحِيدُ الحقُّ مُمَحِّصٌ للذُّنوب، مَاحِقٌ للخطايا، مَانعٌ من وُلُوج النَّار؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**» (متفق عليه)، ومَنْ حقَّق التَّوحِيدَ الواجب والمُستحبَّ دخل الجنَّة بغير حساب، وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ عن وصفهم بقوله: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ**

يَتَوَكَّلُونَ» (متفق عليه)؛ فأفئدتهم متعلقةٌ باللَّه، وقلوبهم مفوِّضةٌ أمورَها له.

والشِّركُ وَبالُه وَخِيم؛ يُحْبط العَمَل ويُسْخِطُ الرَّبَّ؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وقال ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدّاً؛ دَخَلَ النَّارَ**» (رواه البخاري)، بل إنه يُوجِبُ الخُلودَ في النَّار؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، ولأنَّ الشِّركَ يوجبُ الهَلَاكَ في الدُّنيا والآخرة؛ دعا الخليلُ إبراهيمُ عليه السلام ربَّه أن يَحفظَه منه، قال سبحانه إخباراً عنه: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، قال إبراهيمُ التَّيْمِيُّ رحمه الله: «وَمَنْ يَأْمَنُ الشِّرْكَ عَلَى نَفْسِهِ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ؟!».

وخيرُ ما يَدعو إليه الدَّاعيةُ كلمةُ التَّوحيدِ وما تَدُلُّ عليه؛ قال النَّبيُّ ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» (متفق عليه).

ومَنْ دعا غيرَ اللَّه فقد ظَلَم نفسَه ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ومَنْ جَثَا عند صنمٍ أو خضعَ لقبرٍ يرجو نَفْعَه فقد طلب محالاً، وحَسِبَ السَّرابَ ماءً: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾.

ودعاءُ الأمواتِ وسُؤالُهم الحَوائجَ نداءٌ لا يُسْمع، وكرباتٌ لا تُفرَج، قال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.

والغلوُّ في الأموات والصَّالحين سَبَبُ كُفرِ بني آدم وتركِهم دينهم، وقد حذَّر منه المصطفى ﷺ بقوله: «إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ فِي الدِّينِ» (رواه النسائي)، وشرُّ الخلقِ مَنْ عَكَف على القبور ودَعَاهَا من دون اللَّه، قال ﷺ لأمِّ سلمةَ رضي الله عنها: «أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ - أَوِ: العَبْدُ الصَّالِحُ - بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ» (متفق عليه).

والسِّحْرُ يُطفئ نور الإيمان ويهدم الإسلام: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾، وإتيانُ الكهَّان فسادٌ في الدِّين ونقصٌ في العقل، قال ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾، وقال ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» (رواه أحمد).

والتَّمائمُ من الحِلَقِ والخيوط والأصْدافِ ونحوِها لا تزيدُ لَابِسَها إلَّا وَهْناً وَضعْفاً في التَّوكل على اللَّه، «رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةً مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: وَيْحَكَ مَا هَذِهِ؟ قَالَ: مِنَ الوَاهِنَةِ، قَالَ: أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْناً؛ انْبِذْهَا عَنْكَ، فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَداً» (رواه أحمد)، ولُبْسُ التَّمائم شِركٌ باللَّه؛ قال ﷺ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ» (رواه أحمد)، ومن علَّق شيئاً وَكَلَهُ اللَّه إلى ذلك المُعلَّق فهلك؛ قال ﷺ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً؛ وُكِلَ إِلَيْهِ» (رواه الترمذي).

والأشجارُ والأحجارُ لا تُرْتَجى البركةُ منْهُما، ولا بِهما، وإِنَّما هي من مخلوقات اللَّه لا تضرُّ ولا تنفع.

وإراقة الدِّماء بالقربان لا يكون إلَّا للَّه، ومَنْ ذَبَحَ لغير اللَّه وقع في أَوْحَالِ الشِّرْك؛ قال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ» (رواه مسلم).

والنَّذرُ عبادة؛ لا يُصْرف لغير اللَّه، قال ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ؛ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ؛ فَلَا يَعْصِهِ» (رواه البخاري).

ومَنِ استعاذ باللَّه أَعاذه، ومَنْ لجأ إلى غيرهِ خَذَله، يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» (رواه مسلم).

وإذا حلَّت بك نوائبُ الدَّهر وكروبُ الزَّمان فلا تَسْتغِثْ بغير اللَّه، ولا تَدْعُ غيره، ولا تخضعْ لميتٍ في قبره، أو رُفاتٍ في لَحْدِه، وارْفَع مُبْتغَاك إلى من في السَّماء؛ فهناك يُجاب الدُّعاء: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.

ولا مفرَّ من الابتلاء: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، وإذا أصابتك مصيبة فقَابِلْهَا بالرِّضا والتَّسْليم، قال ﷻ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾، قال عَلْقمةُ رضي الله عنه: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ».

ولا تَسْخَطْ من المَكْتوب فالسّخْطُ لا يُزِيلُها، واحْذَرِ النَّدَمَ على

قِلَّة الحَذَرِ قبل وقوع القدر بكلمه لَوْ؛ فإِنَّها من الشَّيطان، قال النَّبيُّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» (رواه مسلم).

ففَوِّضْ أُمُورَك إلى اللَّه، فلن يأتيَك من الدُّنيا إلَّا ما قُسِم لك منها: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾، قال عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه لابنه: «يا بُنَيَّ! إِنَّك لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حتَّى تَعْلَمَ أنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، ومَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ».

والاعتماد على الأسباب بالقلب والجوارح قَدحٌ في التَّوحِيد، وتعطيلُ السَّببِ عجز، والواجبُ فعلُ الأسبابِ المُباحة مع تعلُّقِ القلب باللَّه.

وبالتَّوكُّل عليه سبحانه يتيسَّرُ العسير، وتُبْسَطُ الأرزاق، وتُفْرَجُ الكُروب.

والأمن من مكر اللَّه غُرور: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾، واليأس من رَوْحِ اللَّه قُنوط، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾، والجمع بين الرَّجاء والخوف مع المحبةِ سبيلُ الاعتدال.

والشِّركُ له أبواب خفيَّة يسعى الشَّيطان جاهداً أن يَلِجَ منها العبادُ، قال عليه الصلاة والسلام: «**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**، فَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: **الرِّيَاءُ**» (رواه أحمد)، والرِّياء داءُ العاملين، يُفْسِدُ العملَ ويُغْضِبُ

الرَّبَّ، وهو أَخْوَف على الصَّالحين من المسيح الدَّجَّال؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: الشِّرْكُ الخَفِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ» (رواه ابن ماجه).

والعمل الصَّالح يُرتجى به ثوابُ اللَّه وحدَه، لا يُراد به زُخْرُفُ الدُّنيا، ومَنْ صَرَف قلبَه بعمله الصَّالح إلى زينة الحياة؛ حَبِطَ عَمَلُه وخَسِر في آخرته؛ قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

ولا أحبَّ عند المسلم من اللَّه، ولا أجلَّ في قلبِهِ منه تعالى، فهو العظيمُ في فؤاده، والكبيرُ في نفسه، والصَّادقُ في محبته لا يَحْلِفُ إلَّا به وحده، والحَلِفُ بغيره سبحانه - كالكعبةِ، والنَّبيِّ، والأمانةِ، والوليِّ -؛ شِرْكٌ في التَّوحِيد، قال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ اللَّهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» (رواه التِّرمذي).

والإكثار من الحلف مُنَافٍ لتعظيم اللَّه في الصُّدور، فاحفظْ يَمينَك ولو في صِدْقِك، قال سبحانه: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾، واحذرها في كذبك فهي الغَمُوس، ومن تعظيم اللَّه: الرِّضا بالحَلِف به ولو كان المُسْتَمِعُ يَعْلَمُ كَذِبَ الحَالِف، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُم، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ» (رواه ابن ماجه).

ومِنْ إجلالِ اللَّه: أَنْ لا يَرُدَّ مَنْ سأل باللَّه، قال ﷺ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ» (رواه أبو داود).

وذمُّ الدَّهرِ وتقلُّبِ أحوالِهِ - من حرٍّ أو قرٍّ - أذيَّةٌ لربِّ العالمين، قال عليه الصلاة والسلام: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ؛ بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» (متفق عليه).

ولأجل الدِّينِ قامتِ السَّمواتُ والأرض، وأُعدَّتِ الجنَّةُ والنَّار، والسُّخريةُ بالدِّين أو بأحكامِه وأهلهِ المُتَمَسِّكِين به؛ تُخرجُ المرءَ من الإسلام؛ قال ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

ولا تَظنَّ باللَّهِ ظنَّ السَّوْءِ - مِنِ اسْتِحْقَاقك أكثرَ ممَّا أُعطيت، أو تَحتقرَ نعمةً في يد غيرك مَنَحَها اللَّه إيَّاه -، فذاك ظنُّ الجاهليَّة، فكلُّ ما في الكون بأمر اللَّه وحكمته: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾.

والتَّصوير من كبائر الذُّنوب، صاحبُه مُتوعَّد بالنَّار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ تُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ» (متفق عليه).

واقْدُرْ ربَّك حقَّ قَدرِه، فهو العظيم في مُلكه، المُستَوي على عرشه، الحكيمُ في تشريعاته، فحافظْ على ما افترضَه اللَّه عليك من الصَّلوات المكتوبة في وَقْتِها، وإيَّاك والتَّفْريطَ فيها؛ فإنَّها عَمود الدِّين،

قال ﷺ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**» (رواه الترمذي).

وكُنْ مُتَوجِّهاً إلى ربِّك في جميع أحوالك؛ تَصلحْ أَعْمالك.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمداً عبده ورسوله، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

فالدِّينُ أَنْفَسُ ما تَملِك، فاحفظ دينك بالبُعد عن الفِتن، فإنَّها تأْخُذُ بالقلوب، وتَجْلِب الشُّبهات والشُّرور، قال ﷺ: «**وَمَنِ اسْتَشْرَفَ إِلَيْهَا** - أَيْ: تَطَلَّعَ إِلَيْهَا - **أَخَذَتْهُ**» (رواه البخاري).

وغضُّ البصرِ عن النِّساء المُحَرَّمَات؛ زكاءٌ للنَّفس وطاعةٌ للَّه ورفعة في الدَّرجات، قال ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ﴾.

وحِلْيَةُ المرأةِ في سِتْرها، وجمالُها في حجابِها، وزينتُها بتمسُّكِها بدينها، ونساءُ الصحابةِ مثالٌ يُحْتَذَى بهنَّ في الحجاب والسِّتر والحياءِ، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ﴾.

وسَمَاعُ الأغاني من المعاصي التي تُظْلِمُ القلبَ وتَصُدُّ عن سماع القرآن، قال ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ** - أَيِ: الزِّنَى -

وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ، وَالمَعَازِفَ» (رواه البخاري)، وخيرُ ما يَسْمَعُهُ العبدُ: كلامُ ربِّ العالمين، فيه النُّورُ والهدى والشِّفاءُ.

والمالُ الحلالُ صلاحٌ للدِّين، وقوةٌ في البدن، وهدايةٌ للأولاد، وبركةٌ في العطاء، وسببٌ في إجابةِ الدُّعاء، واقتداءٌ بالأنبياء، قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾.

والمالُ الحرامُ ممحوقُ البركة، كثيرُ الضَّرر، صاحبُه طويلُ النَّدم، مردودُ الدُّعاء.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

خَطَرُ السِّحْرِ وَالسَّحَرَةِ(١)

الحمد للَّهِ المتفَرِّدِ بالوحدانيَّة، القائمِ على كلِّ نفسٍ بما كسبت، يَعلمُ أحوالَ النُّفوسِ وآجالها، خَلَق الخَلْقَ ونفذَتْ فيهم مشيئتُهُ، لا رادَّ لقضائِه ولا مُعقِّبَ لحُكْمِه، وهو الحكيمُ العليم.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه، فاطرُ السَّموات العُلَى، ومُنشئُ الأرَضين والثَّرَى، خلقها في ستَّة أيام ثمَّ على عرشِه استوى.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه المجتبى، ورسولُه المرتضى، أَرسلَهُ على حينِ فترةٍ من الرُّسل، ودُرُوسٍ من السُّبُل؛ فأكمل به الإيمان، وأَظْهَرَهُ على كلِّ الأديان، وَقَمَعَ به أهلَ الأوثانِ والطُّغيان، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم عليه وعلى آلِهِ وأصحابه الأبرار ما تعاقب اللَّيلُ والنَّهار.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه وقاه، ومَنْ توكَّل عليه كفاه.

أيُّها المسلمون:

خلق اللَّهُ العبادَ على الحَنيفيَّةِ السَّمحة، وجَبَلَهُم على الفطرةِ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس عشَر من شهر شعبان، سنة تسع عشْرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

النَّقيَّة، والشَّيطانُ عدوٌّ الإنسان يَقْعُدُ له الصِّراطَ المستقيم، ويأتيه من كلِّ جهةٍ وسبيل، حتَّى اجْتَالَ مَنْ شاء اللَّه منهم، فَكَبَتْ عقولَهم، وأصابتها لَوْثاتٌ وعِلَل؛ آمن بعضهم بالخرافة، ورضي آخرون بالكهانة، فباتوا منكبِّين على باطلهم، لاهين بالسَّجعِ والتَّخْمِين، يَقْذِفُون بالغيب في كلِّ حين، أخبارهم أساطيرُ وأوهام، وخليطُ كلام.

والإسلامُ دينٌ يُزيلُ الخرافةَ من الفِكْر، والرَّذيلةَ من القلب، وقد ضلَّ بعضُ النَّاس فلم يقفوا عند حدود ما أخبرتهم به الرُّسل من غيوبٍ ماضية وحوادث قادمة.

عبادَ اللَّه:

إنَّ السِّحرَ والكهانة من كبائر الذُّنوب المُحرَّمات، ومن الآثام المُوبِقَات، وإنَّ السَّاحرَ والكَاهِنَ يفتنُ قلوبَ البُسَطاء، ويَخدعُ السُّذَّجَ والرَّعاع، عملُه شرٌّ وبلاء، يتجافى عنه أولو الألباب، ويَنْأَى عنه أصحابُ الفِطَرِ السَّليمة، والقلوبِ المُسْتَنِيرَة، يقول ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾، فجميعُ الأمم واجهت رُسُلَها بهذه المقالة الظَّالمة.

ولقد كان السِّحرُ - ولا يزالُ - مُنْزَلَقاً لم يَجْنِ البشرُ من ورائه إلَّا ثمراتٍ مُرَّة، سترها الشَّيطان وأتباعُه بِغِلَالةٍ رقيقةٍ من خِدَعٍ، لا تروج إلَّا على الطَّغام من البشر.

ومن عجبٍ أن هناك صِنْفاً من النَّاس هدفُهم الإيذاء والإضرار،

أحبوا الشَّرَّ وأقاموا عليه، يُفَرِّقون بين الأَخِلَّاء، وينشرون بكيدهم الفُرقةَ والنِّزاع، سلاحُهم المَكْر والدَّهاء، تأكل النَّارُ قلوبَهم، وينْخَر الحِقْدُ أكبادَهم، يُشْعِل الواحدُ منهم فَتِيلَ الحسد، ويوقدُ نارَ الحقد، أركض عليه الشَّيطانُ بخيلِه ورجلِه حتى أورده المزالقَ ودركاتِ المهالك، وقَادَهُ إلى حيث يُطْفَأُ نورُ الإيمان عند ساحرٍ أو ساحرة.

أيُّها المسلمون:

لقد رفع الشَّيطانُ لواءَ السَّحَرةِ والكُهَّانِ بعمله وكفرِه، يتلبسُ بهم الشَّيطان، وينطقُ على لسانهم، ولذا ترى الشَّياطينَ تَأْلَفُ هذه النُّفوسَ الخبيثةَ التي تَدَنَّسَت بالشَّرِّ ورضيت به، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾.

وقد يرتكبون في سبيلِ إرضاء أنفسِهم الخبيثة وأهوائِهم الدَّنِسَة: الحَمَاقَاتِ والشِّرْكِيَّات؛ فَيُبَاشرون النَّجاسات، ويَأْوُون إلى الأماكن المُسْتَقْذَرة، يكرهون سماع القرآن وينفرون عنه، يذبحون الحيواناتِ ذاكرين عليها غيرَ اسمِ اللَّه، لا يتطهرون ولا يتوضؤون، صفاتُهم الجهلُ والضَّلال، والكذبُ والبهتان، لا يرتقي في سِحْرِه ما لم يُعَبِّدْ نفسَه للشَّيطان.

تَتَدَنَّسُ نفسُه بالخَبَثِ والفساد، وتَتَلَذَّذُ بالشَّرِّ والبلاء، وتَتَعَاظَمُ عنده الرَّغبة في الإيذاء، والقليل منهم يَنال بعضَ غرضِه الذي لا يزيده من اللَّه إلَّا بُعْداً، سمَّاعون للكذب أَكَّالون للسحت، عليهم ذِلَّة من اللَّه.

عبادَ اللَّه:

لقد دان السَّاحرُ للشَّيطان، فَخَبُثت نفسُه، وأظلم قلبُه، وتَدَنَّست أخلاقُه، يَغْرِس الشرَّ حيثما حَلَّ، والفرقةَ أينما نزل.

وإنه مع ما يبذله من جُهْد ومشقَّة ويُقدِّمُه من تضحيات في سبيل الشَّيطان ورضاه، بالذُّلِّ والخنوع، وارتكابِه المخازي، وبيعِ روحِه وكلِّ ما يملك لإبليس؛ فإنَّ جزاءَه من عدوِّ اللَّه: الحسرةُ والنَّدامة والتَّخلِّي عنه عند المصائبِ والنَّوائب.

لقد نفى اللَّه الفلاحَ عنهم بقوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾، أي: لا يفوز ولا ينجو حيث أتى من الأرض.

هذا، وإنَّ لقدراتِ السَّحرة حدوداً لا يمكن تجاوزُها؛ فلا يستطيع السَّاحرُ أَنْ يُوقفَ الشَّمس، ولا أَنْ يسقطَ النُّجوم، وقد سُئِلَ رسول اللَّه ﷺ عن الكُهَّان، فقال: «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَاناً بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقّاً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ؛ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ كَذْبَةٍ**» (متفق عليه).

ومع هذا لا يزالُ بعضُ الناس يجري وراءَ أوهامِ السَّحَرةِ والعَرَّافين والدَّجَّالين، ويضيِّعُ بسبب ذلك الأوقات والأموال، وقد تزهقُ معه النُّفوسُ والأرواح، يتَّخذون من التَّنجيم صناعة ومن النُّجوم مُسْتَنداً، يتَّكِئُون عليه عند حلول المُلِمَّات والكُرُبَات، وما عَلِمُوا أنَّ مفاتيح الخيرِ ومغاليقَه كلَّها بيد اللَّه الواحدِ القهَّار.

أيُّها المسلمون:

إنَّ الذين يَلْجَؤُون إلى السَّحَرة لا يرجعون إلَّا بالحسرة والخيبة، وحسبهم أنَّهم تركوا المَلَاذَ الحق الذي يجب اللُّجُوء إليه - وهو ربُّ العباد -، وهم بذلك يُدمِّرون أنفسَهم قبل غيرهم: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾، وكلَّما ابتعد المرء عن اللَّه واللُّجُوءِ إليه والتَّوجُّهِ إليه؛ عَظُمت عنده الحَيْرةُ وكَثُرَ البلاءُ في وجهه.

ومَنْ يَتعرَّضْ لأعراض المسلمين بالضَّرر؛ تَحصلْ بينه وبين النَّاس وَحشةٌ، كلَّما قويت بَعُد منهم ومِنْ مجالستهم حتى تستحكمَ تلك الوحشة فتقعَ بينه وبين أهلِه وولدِه وذوي رَحِمِه، وبينه وبين نفسِه، وإذا هان العبد على اللَّه لم يكرمه أحد: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾، يقول ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» (رواه أحمد)، وقال ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ» (متفق عليه).

وَلِتَفَاقُمِ خَطَرِ السَّحَرةِ على الأفراد والمُجْتَمَعات جاء حُكْمُهم بقطع أعناقهم، ففي صحيح البُخاريِّ عن بَجالَةَ بن عَبَدَةَ قال: «كَتَبَ عُمَرُ رضي الله عنه إِلَى عُمَّالِهِ: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ» (رواه البيهقي)، وصَحَّ عن حفصةَ رضي الله عنها أنَّها أَمَرتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ سَحَرَتْهَا فَقُتِلَتْ (رواه مالك).

إنَّهم يَتَّكِئُون على معبودٍ هزيل؛ لا يَستطيعُ أَنْ يَفتحَ باباً مُغْلَقاً، ولا أَنْ يَكشفَ آنية خُمِّرت، ولا أن يَحِلَّ قِرْبة أُوْكِيَتْ، يتكئون على من يَهْرُب من الأذان، ويَخْنَسُ من الذِّكر.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ الواحدِ القَهَّار، مُكَوِّرِ النَّهارِ على اللَّيلِ ومُكَوِّرِ اللَّيلِ على النَّهار.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له ولا مثيل له ولا أنداد.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، بَعَثَهُ اللَّه رحمةً للعِبَاد، اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه إلى يومِ المَعَاد.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

لقد فضَّلَ اللَّهُ الإنسانَ وحماه وحفظه، وجعل له من العُدَّة ما يحميه من عدوِّه؛ فالإيمان باللَّه جُنَّة، والذِّكر عُدَّة، والاستعاذة به سلاح، فإذا أَغْفَل الإنسانُ جُنَّتَه وعُدَّتَه وسلاحَه فهو الملوم وحده.

إنَّ الشَّيطانَ وَحِزْبَه لا يُسَلَّطون إلَّا على الغافلين، أما الذَّاكرون للَّه فهم ناجون من الشَّرِّ ودواعيه الخفيَّةِ والظَّاهرة، ناجون من الوسواس الخنَّاس؛ الذي يَضْعُفُ عن المواجهة، ويخنسُ عند اللِّقاء، وينهزمُ أمام العياذ باللَّه.

إنَّ الالتجاء إلى اللَّه وحده والاستعاذة به واللِّياذة به يُفْعِمُ القلب بالقُوَّةِ والثِّقة ويحميه من الهزيمة.

أيُّها المسلمون:

السِّحر منكر وكفر، وهو من نواقض الإسلام؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾، وإنَّ هذه الدنيا دارُ ابتلاءٍ وامتحان، الإنسان فيها معرَّض للمصائبِ والفتنِ، وللفقرِ والمرضِ، والمكلَّفُ مأمورٌ بتعاطي الأسبابِ الشرعية والمباحة، ممنوعٌ من تعاطي الأسبابِ المُحرَّمة، والأمورُ كلُّها بيد اللَّه فهو الذي يَشْفِي من يشاء، ويقدِّرُ الموتَ والمرضَ على مَنْ يشاء، فعلى المسلمِ الصَّبرُ والاحتساب، والتقَيُّدُ بما أباح اللَّه له من الأسباب، والحذرُ مما حرم اللَّه عليه، مع الإيمان بأنَّ قَدَرَ اللَّه نافذ، وأمرَه سبحانه لا رَادَّ له، والموتُ على التَّوحيد خيرٌ من الحياة على الشِّرك والكفر: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

عبادَ اللَّه:

إنَّ أنفعَ علاجاتِ السِّحْر: الأدويةُ الإلهيَّة، فهي أدويته النَّافعة، والسِّحر من تأثيرات الأرواحِ الخبيثةِ السُّفْليَّة، ودفعُ تأثيرها يكون بما يُعارضُها ويُقاومُها من الأذكارِ والآياتِ والدَّعواتِ التي تبطل فعلها وتأثيرَها.

والقلبُ إذا كان ممتلئاً من اللَّه مغموراً بذكره، وله من الدَّعواتِ والأذكارِ والتَّعوُّذاتِ وِردٌ لا يُخِلُّ به، يطابق فيه قلبُه لسانه؛ كان سالماً بإذن اللَّه من إصابته بالسِّحر، والمُسلمُ إذا استعاذ باللَّه يستعيذ بمن هو المولى ونعم النصير.

أيُّها المسلمون:

يرى أربابُ السِّحرِ أنَّ سِحْرَهم يَتمّ تأثيرُه في القلوبِ الضَّعيفةِ والنُّفوسِ الشَّهوانيَّة التي هي معلَّقةٌ بالسُّفْلِيَّات؛ ولهذا غالبُ تأثيرِه يكون على مَنْ ضَعُفَ حظُّه من الدِّين والتَّوَكُّلِ على اللَّه، وعلى من لا نصيب له من الأورادِ الإلهيَّة والدَّعواتِ والتَّعوُّذاتِ النَّبويَّة.

واعلم أنه لا تأثير للسِّحر إلَّا بإذنه تعالى؛ كما قال سبحانه: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾.

وإنَّ أنفعَ الرُّقى ما كان بالقرآنِ العظيم، ففي التَّطَبُّبِ والاستشفاءِ بكتاب اللَّه ﷻ غنًى تام ومَقْنَع عام، فإنَّه النُّورُ والشِّفاءُ لِمَا في الصُّدور، والدافعُ لكلِّ مَحْذُور، وللمعوِّذتَيْن أثر في إزالة السِّحْر، والشَّيطان يَفِرُّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة.

وإذا أحسنَ العليلُ التَّداويَ به، ووضعه على دائِه بصِدقٍ وإيمانٍ، وقبولٍ تامٍّ، واعتقادٍ جازم؛ لم يُقَاوِمْه الدَّاءُ أبداً، وكيف تقاوم الأدواءُ كلامَ ربِّ الأرض والسَّماء الذي لو نزل على الجبال لَصَدَّعها، أو على الأرض لَقَطَّعها؟! فما من مرض من أمراضِ القلوبِ والأبدان إلَّا وفي القرآن سبيل الدَّلالة على دوائه وسببه.

فَقَوِّ يقينَك باللَّه في مواجهةِ الشُّكوكِ والشُّبُهات والأساطيرِ والخرافات؛ لِتُبَدِّدَ سُحُبَ الأوهام وتزيحَ رُكامَ الخرافاتِ والأباطيل.

وإيَّاك وَوُلُوجَ سِردابِ الكَهَنَة والسَّيرَ مع الوهمِ والخرافة، ولا

يَخْدَعَنَّك الشَّيطان فَيُوهِمَك بأنَّ كلَّ لَمَّةٍ أو عِلَّةٍ مرض هي سحر؛ فالمرء في هذه الحياة يَعْرِض له المرضُ والهمُّ.

واتخِذْ ربَّ المشرقِ والمغرب وكيلاً، تَلْجَأُ إليه آناءَ اللَّيلِ وأطرافَ النَّهار، واقتدِ بنَبِيِّك ﷺ وبصحابته الكرامِ والصَّالحين من العباد في التَّوكُّل على اللَّه وحده والالتجاءِ إليه سبحانه، وطلبِ الشِّفَاء منه، والاقتصارِ على ما أباحه من الأسباب، فذلك سبيلُ النَّجاة في الآخرة والأولى.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على البشير النَّذير والسِّراج المنير ...

بَائعُ دِينَهُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى طريقُ المفلحين، والإعراضُ عنها سبيلُ البائسين.

أيُّها المسلمون:

الهداية مِنْحَةٌ من الكريم، يُنْعِم بها على مَنْ يشاءُ من عباده، وقد أَمر ﷻ بالحفاظ عليها ممَّا يُدنِّسُ صفوها أو يمحو نورها، ومن النَّاس مَنْ أَرْخَصَ دينَه بعدم رضاه بما كتب له أو لغيره جزعاً على المقدور، فباع دينه للسَّحَرَة والمُشَعْوِذِين بسؤالهم المُغَيَّبات أو طلب السِّحْرَ منهم لتحقيقِ أطماعٍ مَوْهُومَة.

ولقد اكتوى بنار السَّحَرَة الأفراد والمجتمعات، والسِّحرُ جامعٌ لمُهْلِكاتٍ في الدِّين؛ مِنَ الاستغاثة بالجنِّ والشَّياطين، وخوفِ القلب

(١) أُلقيت يوم الجمعة، العشرين من شهر ربيع الأول، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

من غير اللَّه، ونبذِ التَّوكُّل على اللَّه، وإفسادِ معايش النَّاس ومصالحهم، وهو مِنْ مَعَاوِل هدم المجتمع وممَّا يفرِّق الأسر، قال ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ» (متفق عليه).

والشَّيطان يَؤُزُّ السَّاحرَ أزّاً لِيَعْملَ السِّحرَ أذيَّةً لعباد اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾، وقال ﷻ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾، وليس كلُّ سِحْرٍ يُؤَثِّر في المَسْحُور، فكم مِنْ سَاحرٍ عَقَدَ سِحْراً ولم يؤثِّر في المَسْحُور؟! قال ﷻ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، والضُّرُّ والنَّفعُ كلُّه بيد اللَّه، قال ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» (رواه الترمذي).

أيُّها المسلمون:

السَّاحرُ أخْبَثُ النَّاس نَفْساً، وأفْسَدُهم طبعاً، وأظْلمُهم قلباً، قريبٌ من الشَّيطان عابدٌ له، مُدْبِرٌ عن الخير ناقمٌ على المجتمع، مُتَّصِفٌ بأحقر الصِّفات، فَيَكْذِبُ على مَنْ يأتيه بالأخبار المُزَيَّفة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ» (رواه البخاري)، ولا يَتِمُّ له السِّحرُ إلَّا بعد الكفر باللَّه العظيم؛ قال ﷺ: «وَمَنْ سَحَرَ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ»

(رواه النسائي)، قال في فتح المجيد: «هَذَا نَصٌّ فِي أَنَّ السَّاحِرَ مُشْرِكٌ، إِذْ لَا يَتَأَتَّى السِّحْرُ بِدُونِ الشِّرْكِ».

السَّاحرُ يُحِبُّ المالَ حبّاً جمّاً، ويَخْدَع السُّذَّجَ لذلك، وَلمَّا طلب فرعونُ من السَّحَرَة أَنْ يواجهوا موسى عليه السلام بالسِّحر طلبوا منه مالاً، قال سبحانه إخباراً عنهم: ﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾.

السَّاحرُ يَمكرُ بالآخرين فيدعوهم إلى الشِّرْك؛ فقد يَأْمُرُ مَنْ يأتيه بالذَّبح لغير اللَّه، وقد يأمره بتعليقِ تميمةٍ زاعماً النَّفع منها ودفع الضُّرِّ بها، والنَّبيُّ ﷺ يقول: «**مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ**» (رواه أحمد)، وَيُوهِمُ مَنْ أتى إليه بأنَّه يَعْرِفُ ما به من الأمراض والأسقام لِيَتَعَلَّقَ قلبُه به، ويُخادعَ مَنْ أتاه بإحاطة طلاسمه بالآيات القرآنيَّة.

السَّاحرُ ضررُه مَحْضٌ على المجتمع وأفعالُه ظلماتٌ مُتَرَاكِبَة، أَوْقَع أفراداً من المجتمع في الشِّرك، وأحلَّ به الخُطُوب؛ شَتَّتَ بيوتاً سعيدة، وفرَّقَ بين زوجين متآلفين، فذاق بسببه الأبناءُ الأبرياءُ مرارةَ الحياة، وتعرَّضوا بفُرقةِ والديهم لأسباب الانحراف، جَلَب للنَّاس الهمومَ والكروب، فكمْ من إنسانٍ مُعَافى تَسَبَّبَ السَّاحرُ في مرضه؟! وكم من فقيرٍ تَحَمَّلَ ديوناً طلباً لعافيةٍ تَسَبَّبَ السَّاحرُ في سَلْبِها؟! وكم أكلَ السَّاحرُ من الأموال سُحْتاً بما يَزعمُه من الدَّواء أو علم الغيب؟! وكم من إنسانٍ أخرجَه السَّاحرُ من الدِّين لتصديقِه خبراً من الغيب لا يعلمُه إلَّا اللَّه؟! قال ﷺ: «**مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**» (رواه أحمد).

وَلِتَفَاقُمِ خطرِ السَّحَرَة على المسلمين جاء حُكْمُهُم بقطع أعناقهم؛ لِتَسْلَمَ المجتمعاتُ من شُرُورهم، «كَتَبَ عُمَرُ رضي الله عنه إِلَى عُمَّالِهِ: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ» (رواه البيهقي)، وجزاؤُهم في الآخرة دخول النَّار، قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾، ومع ضررِ السَّاحرِ المُتَحقِّقِ على المجتمع والدِّين ترى نفوساً تُفْسِد دينها بإتيان السَّاحرِ مرةً بعد أخرى.

أيُّها المسلمون:

مَنْ طَرَق باب ساحرٍ ليعملَ له سحراً فقد بَاعَ دينَه بدُنْيَاه، واستعاض عن نور الإيمان بظلام القلب، وإنَّ الرَّاضيَ بالفعل المُسْتَحِبِّ له كالفاعل له، جاء في «نواقض الإسلام»: «فَمَنْ فَعَلَهُ - أي: السِّحْرِ - أَوْ رَضِيَ بِهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ»، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾.

الذَّاهبُ للسَّحرة أغضبَ الخالقَ، وظَلَمَ المخلوق، وبلغ من الحسد غايتَه، بعمل السِّحر لغيره إزالةً لنعمةٍ تفضَّلَ اللَّه بها على غيره، ووَبَالُ مَنْ سَعَى لِسِحْرِ غيرِه مَرْدُودٌ عليه، قال جل وعلا: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «أَيْ: وَمَا يَعُودُ وَبَالُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَيْهِمْ أَنْفُسِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ القُرَظِيُّ: ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ لَمْ يَنْجُ حَتَّى تَنْزِلَ بِهِ: مَنْ مَكَرَ، أَوْ بَغَى، أَوْ نَكَثَ، وَتَصْدِيقُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ».

فلا تَكُنْ - يا طالبَ السِّحْرِ - من الهَاوِين مع السَّحرة بالخروج

من دينك، وتَذكَّر أنَّ الدُّنيا قصيرة وأنَّك تُوسَّدُ في قبرٍ مُظْلِم؛ فأَعْلِنْ توبتَك، واغْسِل حسد قلبِك بالإحسان إلى غيرك عوضاً عن سِحْرِهم، واحْلُلْ عُقَدَ مَنْ سَحَرْتَ قبل أن تدورَ عليك الدَّوائرُ من الرَّبِّ العظيم.

أيُّها المسلمون:

المسحور مظلوم، وقد يعوِّضُه اللَّه عن النِّعمة التي حُسِد عليها بنعمة أعظم منها، واللَّهُ يبتلي مَنْ يحبُّ من عباده رِفْعَة له وتكفيراً لسيِّئاته، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ**» (رواه البخاري)؛ فلا تَحْزَنْ - أيُّها المسحورُ - على ما أصابك، فاللَّهُ يبتلي عبدَه المؤمنَ لِيُقَرِّبَه إليه، ولا تَسخطْ بسبب ما حلَّ بك، ولا تَجزعْ ممَّا كتبه اللَّه عليك، فقد يكونُ ذلك سببَ سعادتِك؛ قال سبحانه: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾، ودعوةُ المظلوم مستجابة؛ قال المصطفى ﷺ: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ**» (رواه الترمذي).

وإذا صبرتَ واتَّقيتَ اللَّهَ كانت لك العاقبة؛ قال ﷻ: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾، وأَكْثِر من دعوة ذي النُّون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ**» (رواه الترمذي)، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَقَدْ جُرِّبَ أَنَّ مَنْ قَالَهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ؛ كَشَفَ اللَّهُ ضُرَّهُ»، واجْعَلْ: «**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا**»

مُعطِّراً بها لسانَك، قال ﷺ: مَنْ قَالَها: «**أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً مِنْهَا**» (رواه مسلم)، ولَازِمِ الاستغفارَ تُفْرَج عنك الهُمُوم، ويُزَحْ ما أَلَمَّ بك من الكروب.

إِنَّك إنْ تُقدِمْ - أيُّها المسحورُ - على ربِّك وأنت مظلوم خيرٌ من أن تأتيَ إليه وأنت ظالم، فالْجَأْ إلى اللَّه وأَكْثِرْ من الاستغفار والدُّعاء؛ ففَرَجُ اللَّه قريب، وإيَّاك واليأس من روح اللَّه.

ومَنْ أسرفَ على نفسه بارتياد الكَهَنَة وسوَّلتْ له نفسُه الإضرار بالآخرين؛ فَلْيُقْلِع عَمَّا يُفسد دينه، وَلْيُقْبِلْ على اللَّه بتوبةٍ نصوحٍ من الجُرْمِ العظيم، وَلْيَسْلُك سبيل التَّائبين، وَلْيَحْذَر طريق المفسدين من السحرة والمشعوذين.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مَنْ كان قريباً من اللَّه ابتعدت عنه الآفاتُ والشُّرور، والإكثارُ من ذكر اللَّه من أسباب منع وقوعِ السِّحْر، والمحافظةُ على صلاة الفجر جماعة حِصْن من الشُّرور، وسورة البقرة سورةٌ مباركة؛ قال ﷺ: «**اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ** - يَعْنِي: السَّحَرَةَ -» (رواه مسلم)، وقراءةُ المُعَوِّذتَين في أوَّل النَّهار وآخره تَدفعُ السِّحْر، قال ﷺ لِعُقْبَة بن عامر رضي الله عنه: «**تَعَوَّذْ بِهِمَا؛ فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا**» (رواه أبو داود)، قال ابن القيِّم رحمه الله: «حَاجَةُ العَبْدِ إِلَى الِاسْتِعَاذَةِ بِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِ إِلَى النَّفَسِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ».

ومَنْ قرأ الآيتينِ من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كَفَتَاه من الشُّرور، وَأَكْلُ سبعِ تَمَرَاتٍ من تمر العَجْوَة تَمْنَعُ السِّحْر؛ قال المصطفى ﷺ: «**مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً؛ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ اليَوْمَ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ**» (متفق عليه).

واحذرُوا المعاصيَ وأنواع المعازف؛ فإنَّها من أعظم ما يَجْلِب الشَّياطين إلى البيوت.

وإذا خلا جوفُ العبد من ذكر اللَّه أو قلَّت عبادتُه لمولاه؛ تَسَلَّطَتْ عليه الشَّياطين، وَسَهُلَ وصولُ الضَّررِ إليه، فأكثروا من قراءة القرآن، واشغلوا أوقاتَكم بذكر اللَّه وعبادته، فالقرآنُ شفاء من الأدواء، وذكرُ اللَّه يَحْرُسُ العبدَ ممَّا يؤذيه، ويشرحُ الصَّدرَ، ويُطَمْئِنُ القلبَ ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مُخَالَفَةُ سُنَنِ الجَاهِلِيَّة (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

اللَّهُ هو المُنعِمُ وحده، ونِعَمُهُ سبحانه على عباده لا تُحصَى، وأجلُّ النِّعَم الإسلام، دينٌ كاملٌ جمعَ المحاسِنَ كلَّها، ورضِيَه اللَّهُ لخلقه، ودعا الناسَ إليه، فهدَى من شاءَ منهم إليه، وتفضَّلَ عليهم به، قال سبحانه: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾، ومَنْ لم يَعْرِفِ الجاهليَّةَ لم يَعْرِفْ حقيقةَ الإسلام وفضله، وقد كان النَّاسُ في جاهليَّةٍ دَهْمَاءَ اندثَرتْ فيها معالمُ النُّبُوَّة، فبعثَ اللَّه نبيَّنا محمداً ﷺ لِيُخرِجَ النَّاسَ من الظُّلمات إلى النُّور.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السادس من شهر شعبان، سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ومِنْ أكبر مقاصِد الدِّين: مُخالفةُ أعدائِه؛ لئلَّا يعودَ النَّاسُ إلى جاهليَّتهم، فَنَهَى عن التَّشبُّه بما يختصُّ به أهلُ الكتاب والمُشرِكون في عباداتهم وعاداتهم، ونَهَى عن اتِّباع أهوائِهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وكلُّ أمرٍ من الجاهليَّة فهو مُهان؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ**» (رواه مسلم).

وأعظمُ باطلٍ كانوا عليه: الشِّركُ باللَّه، وهذا أكبرُ ما خالفَ فيه رسولُ اللَّه ﷺ أهلَ الجاهليَّة، فأتاهم بالتَّوحيدِ وإخلاص الدِّين لِلَّه وحده، والإعراضُ عَمَّا جاء به الرَّسُولُ ﷺ سبيلُ الضَّلال، وإذا انْضاف إلى ذلك استِحسانُ الباطل تمَّت الخسارة؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

وحُسن الظَّنِّ باللَّه عبادةٌ وسعادةٌ، ومَنْ أساءَ الظَّنَّ بربِّه فقد سَلَكَ طريقَ الجاهلين، قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، ومِنْ ذلك القدحُ في حكمته، والإلحادُ في أسمائِه وصفاتِه، ونسبةُ النَّقائِصِ إليه.

والأمرُ للَّهِ وحدَه؛ فهو الرَّبُّ، وبيدِه مقاليدُ كلِّ شيءٍ، وإتيانُ السَّحرة والكُهَّان قَدْحٌ في الدِّين، وضعفٌ في العقل، ومُتابعةٌ لأهل الجاهليَّة، قال مُعاويةُ بن الحكم: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أُمُوراً كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ: كُنَّا نَأْتِي الكُهَّانَ، قَالَ: **فَلَا تَأْتُوا الكُهَّانَ**» (رواه مسلم).

وأُمِرنا بالتَّوكُّل على اللَّهِ وتفويضِ الأمور إليه، والاستِعاذةُ بالجنِّ عند السَّحَرة وغيرهم لعمل التَّمائِم ونحوِها لا تزيدُ صاحبَها إلَّا خَوَراً وضَعْفاً؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، وفي الإسلام أبدَلَنا اللَّه بالاستِعاذة به سبحانه؛ «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**» (رواه مسلم).

والأمواتُ أَفضَوْا إلى ما قدَّموا، والصَّالِحون يُدعَى لهم ولا يُدعَوْن مع اللَّه، واتِّخاذُ القبور مساجدَ ودعاءُ أهلها من سُنَّةِ أهل الكتاب، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» (متفق عليه).

والحُكمُ للَّه وحدَه، والتَّحاكُمُ إلى دينِه وشرعِه عدلٌ، والاعتِياضُ عن ذلك بغيرِه فسادٌ للمُجتمع، قال سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

والتَّشاؤُم يُوهِنُ العزائِمَ، ويُضعِفُ اليقينَ باللَّه أو يُزيلُه، والمُسلمُ يُؤْمِنُ بقضاءِ اللَّهِ وقدَرِه، ويُحبُّ الفَألَ في جميعِ شُؤونِه، فـ«**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ**».

والبركةُ تُرجَى من اللَّهِ وحدَه، وطلبُها من الأشجار والأحجار، أو الأحياءِ والأموات، أو اعتقادُها فيهم؛ طريقُ عبَدَةِ الأصنام، ومَنْ نسَبَ النِّعمَ إلى غير اللَّه؛ فما عرفَ فضلَه ولا شَكَرَه، وهذا طريقُ الجاهلين: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

ومِنْ سُنَنِ الجاهليَّة: الاستسقاءُ بالنُّجوم والتَّعلُّقُ بحركات الفَلَك، فجاء الإسلامُ بإبطالِها وتعليقِ القلوب باللَّهِ وحده، والزَّمانُ مخلوقٌ مُسيَّرٌ، فمَنْ سبَّه أو أضافَ له فعلاً ففيه من شُعب الجاهليَّة، حيث قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾.

والقدَرُ قُدرةُ اللَّه، وعلى المُؤمن الإيمانُ به، والتَّسليمُ لأمرِ اللَّه وقدَرِه، والمُشرِكون يُنكِرون القدَرَ ويُعارِضُون به الشَّرعَ؛ فقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾.

والتَّكذيبُ بالبَعْث أو الشَّكُّ فيه كفرٌ من طُرق الجاهليَّة، حيث قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾، ومَنْ كذَّبَ بآياتِ اللَّهِ فهو مُتابِعٌ للمُشرِكين، إذ قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

والأمنُ من مكر اللَّهِ أو اليأسُ من رَوْحِ اللَّه يُنافِي الإيمان، وعليه كان أهلُ الأوثان، والمُؤمنُ يسيرُ إلى اللَّهِ بين الخوف والرَّجاء، عامراً قلبَه بحبِّ ربِّه.

واللَّهُ سبحانه هو الذي يُحلِّلُ ويُحرِّم، وليس للخلقِ من ذلك شيءٌ، خلافاً لِمَا كان عليه أهلُ الكتاب، حيث اتَّخذوا أحبارَهم ورُهبانَهم أرباباً من دون اللَّه.

وحُجَّةُ المُؤمنِ ومصدرُ تلقِّيه لدينِه هو الكتابُ والسُّنَّة بفهم سلَف الأمَّة، والتَّقليدُ والاحتِجاجُ بالآباء من حُجَج الجاهلين، وعلى ذلك بنَوْا دينَهم، قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾.

والكثرةُ في العدَد لا تَدفعُ حقّاً، ولا تُحِقُّ باطلاً، والاغتِرارُ بها ليس من نَهج المُرسَلين، والمُؤمنُ لا يستوحِشُ من قلَّة السَّالِكين، ولا ينخدِعُ بكثرَة الهالِكين، ومَنْ ردَّ الحقَّ لِضَعْفِ أهلِه أو قلَّتِهم فقد جهِل الدِّين.

والاعتِياضُ عن الكتاب والسُّنَّة بكُتُبِ أهل الضَّلال من طُرق أهل الكتاب، حيث نبَذُوا كتابَ اللَّه وراءَ ظُهورهم، واتَّبعوا ما تتلُو الشَّياطين.

والإسلامُ دينٌ قيِّمٌ؛ فلا غلُوَّ فيه ولا جفاء، ولا إفراطَ ولا تفريط، صراطٌ مُستقيمٌ مُجانِبٌ لطريقِ أهل الكتاب، ومن سُبُلِهم: الغُلُوُّ؛ فغالَى النَّصارى في نبيِّهم عيسى عليه السلام وجعلُوه ربّاً، ومن جفائِهم: لم يُعطُوا الرَّبَّ ما يستحقُّه من الوحدانيَّة وقتَلوا الرُّسُل.

ولَبْسُ الحقِّ بالباطل وكتمانُه من طرائِقِهم، حيث اتَّخذُوا دينَهم لهْواً ولَعِباً واتَّبعُوا أهواءَهم، ويدَّعون محبَّةَ اللَّهِ والنَّجاةَ من النَّار دونَ عمل، مُعتمِدين على الأماني الكاذِبة، وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، ويجتهِدُون بإعمال الحِيَل الظاهرة والباطنة، وينسِبُون باطلهم إلى الأنبياء والمُعظَّمين: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾.

وهم أحرصُ الناسِ على حياةٍ دون إيمانٍ، يسألُون اللَّهَ الدُّنيا دون الآخرة، بَطِرين عند النِّعَم، قَنِطين عند النِّقَم، يعبُدون اللَّهَ على حَرْفٍ، ويقطَعون ما أمرَ اللَّه به أن يُوصَل، ويُفسِدون في الأرض، ولا يُصلِحون، ويُحبُّون أن يُحمَدوا بما لم يفعَلوا.

عالِمُهم لا يعملُ بعلمِه، وجاهلُهم يقولُ على اللَّهِ بلا علمٍ، ويعبُدُ اللَّهَ على ضلال، ويقتُلون الذين يأمرون بالقِسْطِ من النَّاس، ومكَروا بهذا الدِّين مكراً كُبَّاراً.

لا يعرِفُون للحقِّ إلَّا العِدَاء، وهُمْ للباطل أعوانٌ وأصدِقاء؛ ولعِظَم ضلالِهم كان النَّبيُّ ﷺ يُخالِفُهم في كلِّ شيءٍ، حتى قال المُشرِكون: «مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئاً إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ»، حتى خالفَهم في أماكِن ذبحِهم؛ «نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: **هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟** قَالُوا: لَا، قَالَ: **هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟** قَالُوا: لَا، فَقَالَ: **أَوْفِ بِنَذْرِكَ**» (رواه أبو داود).

وفي الصَّلاةِ والنِّداءِ إليها: أمرَنا النَّبيُّ ﷺ بمُخالفتهم، فشرعَ الأذانَ، وكرِهَ بُوقَ اليهود وناقُوسَ النَّصارى، وأبدلَ اللَّهُ القِبْلَةَ من بيت المَقْدِس؛ لأنَّ أهلَ الكتاب يتوجَّهُون إليه، ونهَى النَّبيُّ ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشَّمسِ وعند غُروبِها؛ لأنَّها حِينئذٍ يسجُدُ لها الكفَّار، وصلاتُهم عند البيتِ مُكاءٌ وتصدِيةٌ، ونُهِينَا عن الاختِصار والاشتِمال في الصَّلاة لفعلِ اليهود له، ونهَى النَّبيُّ ﷺ عن الصَّلاة قياماً والإمامُ قاعِد وقال: «**إِنْ كِدْتُمْ آنِفاً لَتَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِسَ وَالرُّومِ؛ يَقُومُونَ عَلَى مُلُوكِهِمْ وَهُمْ قُعُودٌ، فَلَا تَفْعَلُوا، ائْتَمُّوا بِأَئِمَّتِكُمْ، إِنْ صَلَّى قَائِماً فَصَلُّوا قِيَاماً، وَإِنْ صَلَّى قَاعِداً فَصَلُّوا قُعُوداً**» (رواه مسلم).

وفي دَفْنِ أمواتِنا: نُخالِفُهم؛ فـ«**اللَّحْدُ لَنَا، وَالشَّقُّ لِغَيْرِنَا**».

وفي الصَّدقة: جاء الأمرُ بإنفاقِ الأموالِ في سبيلِ اللَّه، وهم يُنفِقُونها للصَّدِّ عن سبيلِه ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ﴾.

وفي الصِّيام: فَصْلُ ما بين صيامِنا وصيامِ أهل الكتابِ أَكْلةُ السَّحَر، ولا يزالُ النَّاسُ بخيرٍ ما أخَّروا السُّحُورَ وعجَّلُوا الفِطرَ؛ مُخالفةً لأهل الكتابِ، وصامَ النَّبيُّ ﷺ عاشُوراءَ، ولمَّا علِمَ أنَّ اليَهودَ تصومُه قال: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ» (رواه مسلم)، ووقَّت دخولَ شهر رمضان والخروجَ منه برُؤية الهلال، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَا عَلَى طَرِيقِ غَيْرِهَا مِنَ الأُمَمِ فِي الِاعْتِمَادِ عَلَى الحِسَابِ فِي عِبَادَاتِهِمْ وَأَعْيَادِهِمْ».

وفي الحجِّ: كان أهلُ الجاهليَّة لا يعتمِرون في أشهُر الحجِّ، فجاء النَّبيُّ ﷺ بمُخالفتهم، وقال: «دَخَلَتِ العُمْرَةُ فِي الحَجِّ» (رواه مسلم)، وكانوا يدفَعون من عَرَفَة قبل الغُروب، ومن مُزْدَلِفَة بعد الشُّروق، فخالفَهم فأخَّر من هذا، وقدَّم من هذا، ورُبَّما حجُّوا عُراةً، فأمرَ اللَّه بسَتر العَورة وأخذ الزِّينة عند كلِّ مسجِدٍ، وكان لهم ذبائِحُ في الجاهليَّة، فنهى عنها وقال: «لَا فَرَعَ - وَهُوَ أَوَّلُ وَلَدٍ تُنْتِجُهُ النَّاقَةُ يَذْبَحُونَهُ لِآلِهَتِهِمْ -، وَلَا عَتِيرَةَ - وَهِيَ شَاةٌ تُذْبَحُ فِي رَجَبٍ يَتَقَرَّبُونَ بِهِ -» (متفق عليه)، ونهَى عن الذَّبحِ بالظُّفُر؛ لأنَّها مُدَى الحَبشَة.

وعند المصائِب: أُمِرنا بالصَّبر والاحتِساب، ونُهِينا عمَّا يُخالِفُ ذلك، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ» (متفق عليه).

والكِبرُ والخُيَلاءُ من عادات الجاهليَّة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ** - عَلَى المَيِّتِ -» (رواه مسلم).

ومِنَ التَّواضُع: عدمُ الأكل والشُّرب في آنيةِ الذَّهبِ والفضَّة، بل الثِّيابُ منهيٌّ عن الفَخْر بها والمُبَاهَاة، فنهَى النَّبيُّ ﷺ عن الثِّيابِ المُعَصْفَرَة - وهي المَصبُوغَة بنبات العُصْفُر -، وقال: «**إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ؛ فَلَا تَلْبَسُوهَا**» (رواه مسلم).

والإسلامُ يُجِلُّ الإنسانَ ويُكرِّمُه، ونهَى عن السُّخريةِ بالآخرين واحْتِقارِهم، فقال النَّبيُّ ﷺ لِمَن عَيَّرَ رجُلاً بأُمِّه: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**» (متفق عليه).

وحذَّرنا من الحَمِيَّة، فهي سبيلُ النِّزاع والافتِراق: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، ولمَّا قال الأنصاريُّ: يا لَلأنصار! وقال المُهاجريُّ: يا لَلمُهاجِرين! قال: «**مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**» (متفق عليه)، وإذا كان هذا التَّداعِي في هذه الأسماء الشَّرعيَّة، فكيف بغيرِها؟!

وأُمِرنا بالاعتِزاز بمُعاملاتنا في البُيوع وغيرِها؛ لِمَا فيها من الصِّدقِ والعدلِ والأَمَانَة، ونُهِينا عن بُيوعِ الجَاهِلِيَّة، وعن نَقْصِ المِكْيَالِ والمِيزَان، واكتِسَابِ المالِ بالميسِر والقِمَار، وشُدِّد في الرِّبا، وأحلَّ اللَّهُ لنا أكلَ الطَّيِّباتِ وحرَّم علينا أكلَ الخبيث، وهم عكَسُوا ذلك.

ولا أحسنَ من خَلْق اللَّه، ومن عادة أهل الكتاب تغييرُ خلق اللَّه اتِّباعاً للشَّيطان الآمِرِ بذلك، فنهَى النَّبيُّ ﷺ عن مُتابعتِهم وقال: «**خَالِفُوا المُشْرِكِينَ: وَفِّرُوا اللِّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ**» (متفق عليه)، وأَمرَ بصبغِ الشَّيب واجتناب السَّواد، وتبرَّأَ ممَّن عقدَ لِحْيَتَه أو تقلَّد وَتَراً.

وكانت المرأةُ مُمتهَنةً في الجاهليَّة؛ فلا حجابَ يستُرُها ولا رَجُلَ يحمِيها: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ﴾، وكانوا يَئِدُون البنات، ومن قضائِهم: توريثُ الرِّجالِ دون النِّساء، ومِنْ فَتَاوِيهِم: استِحلالُ المحارِم، واليَهودُ يعتزِلُون المرأةَ أيامَ حَيْضَتِها فلا يُؤاكِلونَها، والنَّصَارَى يفعَلون معها كلَّ شيءٍ، فجاء الإسلام بتكريمِ المرأة وسترِها وقال اللَّهُ لهنَّ: ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾، وجعلَ لهنَّ حقوقاً وعليهنَّ واجِبات، وفي الإرثِ كتبَ لهنَّ نصيباً مفرُوضاً، ومن عالَ جَارِيَتَيْنِ فأكثرَ كُنَّ له سِتْراً من النَّار.

وكانت الجاهليَّةُ تنسِبُ الولدَ إلى غير أبيه، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ**» (متفق عليه).

والتَّسميةُ لها أثرٌ في المُسمَّى، فأُمِرنا باختِيار أفضلِ الأسماءِ للأولاد وغيرِهم، ونُهِينا عمَّا يتَّخِذُه أهلُ الجَاهليَّة من الأسماء - كالتَّعبيدِ لغير اللَّه، أو الأسماء القَبيحَة، أو ما فيه تزكيةٌ للنَّفسِ -، فغيَّر النَّبيُّ ﷺ اسمَ عاصِية إلى جَمِيلَة، وبَرَّة إلى زينب، وأبا الحكَم إلى أبي

شُرَيْح، وقال: «**إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**» (رواه مسلم).

واتَّخذَ أهلُ الجاهليَّة أعياداً كما يَهْوَون، فأبدَلَنا اللَّه عن أعيادِهم بعيدِ الفِطر وعيدِ الأضحَى.

ومن سُنَّتهم: لا يأمرُون بمعروفٍ ولا يَنْهَوْن عن مُنكرٍ، وإذا أَمرُوا نَسُوا أنفسَهم، فكانت هذه الأُمَّةُ خيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت للنَّاسِ؛ تأمرُ بالمعروف، وتنهَى عن المُنكَر، وقُدوةً لغيرها من الأمم.

وشِعارُ الجاهليَّة الفُرقةُ والاختلافُ، فلا يجتمِعُون على دينٍ ولا دُنيا؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، والاجتماعُ قُوَّةٌ وأُلْفَةٌ جاء الإسلام به، ونهَى عن ضدِّه، قال سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾.

واجتماعُ النَّاسِ على وَالٍ وَاحِدٍ أَمْنٌ ورَخَاءٌ، وقُوَّةٌ على الأَعْدَاء، ومن سُنَنِ الجاهليَّة: الخروجُ على السُّلطان ومُفارَقةُ الجَمَاعَة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ عَلَى السُّلْطَانِ شِبْراً؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**» (متفق عليه)، و«**مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، فَقُتِلَ؛ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**» (رواه مسلم)، و«**إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ**»، قال الشَّيخ مُحمَّدُ بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَمْ يَقَعْ خَلَلٌ فِي دِينِ اللَّهِ وَدُنْيَاهُمْ إِلَّا بِسَبَبِ الإِخْلَالِ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ أَوْ بَعْضِهَا».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فدينُنا دينُ كمالٍ وعزَّة، والتَّمسُّكُ به أصلُ كلِّ خيرٍ وفلاح، واقتِفاءُ آثار الجاهليَّة أمارةُ ضَعْفٍ، ومَنِ اتَّخذَ شيئاً منها أبغضَه اللَّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ: مُبْتَغٍ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ**» (رواه البخاري)، والمُتابعةُ تُورِثُ المَحبَّة، والمُشاركةُ في الظَّاهر وسيلةٌ إلى مُوافقَة الباطِن، و«**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ؛ فَهُوَ مِنْهُمْ**»، وما ابتدَعَت أُمَّةٌ بدعةً إلَّا نُزِع عنها من السُّنَّة مثلُها، وما أحيَا قومٌ سُنَّةً جاهليَّةً إلَّا ترَكوا من الهُدى أضعافَها.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

خيرُ من يُقتدَى به: نبيُّنا ﷺ؛ حيث كمَّله اللَّه وكمَّل له شرعَه ودينَه، والشَّهادةُ له ﷺ بالرِّسالةِ: بلُزوم طاعته ومُتابعتِه، وكلَّما كان العبدُ أتبعَ لنبيِّنا ﷺ كان أعظمَ توحيداً، وأسعدُ الخلقِ وأعظمُهم نعيماً وأعلاهم درجةً: أعظمُهم اتِّباعاً ومُوافقةً له علماً وعملاً، فيجبُ على العبدِ أن يعرِفَ مِنْ هَدْيِه ﷺ وسيرتِه وشَأنه ما يخرُجُ به عن عِداد الجاهلين، ويدخلُ في عِدادِ أتباعِه المُفلِحين.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

ذُنُوبُ زَمَنُ فِعْلِها قَلِيلٌ وَإِثْمُهَا عَظِيمٌ[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى في مخالفة الهوى، والشَّقاءُ في مجانبة الهدى.

أيُّها المسلمون:

تفضَّلَ اللَّه على عبادِه بدينٍ كاملٍ شاملٍ لأمور الدُّنيا والدِّين، مَنْ تمسَّك به أنارَ اللَّه قلبَه وقرَّبَه إليه، ومَنْ فرَّط فيه جُوزِيَ على عصيانه.

واللَّهُ سبحانه يُحبُّ الطَّاعةَ وأهلَها ويأمرُ بها، ويُبغِضُ المعصيةَ وأهلَها وينهَى عنها؛ بل ويغارُ سبحانه إن ارتُكِبَت مناهيه؛ قال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ**» (متفق عليه).

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وضررُ الذُّنوبِ كضرر السُّموم في الأبدان؛ منها ما تُخرِجُ المرءَ من مرتبةِ الإيمان إلى مرتبة الإسلام، ومنها ما تُخرِجُه من الإسلام.

وكما أنَّ اللَّهَ تكرَّم على عباده بأعمالٍ يسيرةٍ ثوابُها عظيم، حذَّرَهم مِن ذنُوبٍ زَمَنُ فِعلِها يسيرٌ وإثمُها كبير؛ فناسٌ يُكَبُّون في النَّار على وجوههم من حصائدِ ألسنتِهم.

وأقبحُ ما تحرَّك به اللِّسانُ: دعوةُ غيرِ اللَّه معه، ورفعُ الحوائجِ إلى غيره سبحانه - من الأمواتِ والأوثان -؛ إذْ هو يُحبِطُ الأعمالَ، ويُخلِّدُ صاحبَه في النَّار، ولا يُحَصِّلُ الدَّاعي ما أراد؛ قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾.

والطَّعنُ في اللَّهِ أو دينِه أو رسُولِه نَقْصٌ في العقلِ، وَفَقْدٌ للدِّين؛ قال سبحانه: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾، قال الشَّيخُ عبد الرَّحمن بن حسنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإِنْسَانُ قَدْ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يَتكَلَّمُ بِهَا، أَوْ عَمَلٍ يَعْمَلُ بِهِ، وَأَشَدُّهَا خَطَراً إِرَادَاتُ القُلُوبِ؛ فَهِيَ كَالبَحْرِ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ، وَمِنْ هَذَا البَابِ: الِاسْتِهْزَاءُ بِالعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَعَدَمُ احْتِرَامِهِمْ لِأَجْلِهِ».

واللَّهُ وحدَه هو المُعظَّمُ في القلوب، ومن زاحمَ غيرَ الرَّبِّ في قلبِه، أو أظهرَ تعظيمَ غيرِ اللَّهِ على لسانِه بالحَلِفِ به - كمَنْ يَحْلِفُ بالنَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أو بالنِّعمةِ، أو بالولدِ -؛ فقد أشركَ، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**» (رواه الترمذي).

ومَنْ بدرَ منه فعلٌ من أفعال الشِّرك ولو يسيراً - من طوافٍ على الأضرحة، أو ذبحٍ لها، أو نذرٍ - لم يرَحْ رائحةَ الجنَّة، ولِعظيم قُبحِهِ لهضمِهِ لرُبوبيَّة اللَّه وتنقُّصِه لأُلوهيَّته لا يغفِرُه اللَّه بحالٍ؛ قال جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

والسَّاحرُ مُفسِدٌ للدِّينِ والدُّنيا، يُنازِعُ الرَّبَّ في ربوبيته فيما يدَّعيه من نفعٍ أو ضرٍّ، فكان حدُّه ضربَه بالسَّيف، ومن أتى إليه طالباً منه السِّحرَ فقد كفرَ، قال ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهَ**» (رواه البزَّار).

وتَعليقُ التَّمائمِ شركٌ باللَّه، ولا تزيدُ العبدَ إلَّا وهناً، ولن يُتِمَّ اللَّهُ له ما أراد.

وعلمُ الغيبِ أخفاه اللَّه حتى عن ملائكته؛ قال ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾، ومَنْ صدَّق مَنْ يدَّعِي عِلْمَ الغيبِ من الكُهَّان - ممَّن ينظرُ في الأبراج، أو يقرأُ في الكفِّ، أو نحو ذلك -؛ فقد كفرَ، قال ﷺ: «**مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**» (رواه أحمد).

وإنْ سلِمَ العبدُ من الكُفر قولاً أو عملاً؛ فإنَّ الشَّيطانَ يَؤُزُّه لِمَا دُونَه من الكبائر، فيدعُوه إلى إطلاق لسانه إلى ما حرَّم اللَّه، وأعظمُها الوقيعةُ في عِرضِ المُسلِم؛ فحذَّر اللَّه من غِيبتِه، وشبَّه غِيبتَه بأكل لحمِه وهو ميِّت، ويومَ القيامة يكونُ للمُغتابِ أظفارٌ من نحاسٍ يخمِشُ بها وجهَه وصدرَه جزاءَ ما خمشَ أجسادَ المُسلمين.

وقولُ المُغتابِ لو خُلِطَ بماء البحرِ لَأَنْتَنَه؛ قالت عائشةُ للنَّبيِّ ﷺ: «حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ أَنَّهَا كَذَا - تَعْنِي: قَصِيرَةً -، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**» (رواه أبو داود)، وقد صان السَّلفُ رحمهم الله أَلْسِنَتَهم عن هذه المعصيةِ، قال البخاريُّ رحمه الله: «أَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَا يُحَاسِبُنِي أَنِّي اغْتَبْتُ أَحَداً».

والنَّمَّامُ قريبُ المُغتابِ، وعقوبتُه تُعجَّلُ عليه في قبره، وفي الآخرة توعَّده اللَّه بحِرمانه من الجنة، قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ** - أَيْ: نَمَّامٌ -» (متفق عليه).

وكما حرَّم الإسلامُ الحديثَ في غيبة المُسلمِ بما يكرَه: نَهَى أيضاً عن التَّطاوُلِ عليه باللِّسان في حُضوره؛ فقال ﷺ: «**سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ**» (متفق عليه)، وقال: «**وَلَعْنُهُ كَقَتْلِهِ**» (متفق عليه)، «**وَمَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا؛ إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**» (متفق عليه).

ومَنْ قَذَفَ عَفِيفاً في عِرضِه؛ لعنَه اللَّه في الدُّنيا والآخرة، وله عذابٌ عظيمٌ، ومَنِ اقْتَطعَ حقَّ امْرِئٍ مُسْلم بيَمِينِه؛ أوجبَ اللَّه له النَّارَ وحرَّم عليه الجنةَ، فقال رجلٌ للنَّبيِّ ﷺ: «وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **وَإِنْ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ** - يَعْنِي: وَإِنْ كَانَ قَدْرَ المِسْوَاكِ -» (رواه مسلم).

ومَنْ أَطْلقَ لسانَه باللَّعنِ؛ حُرِمَ أن يَشْفعَ أو يَشْهدَ لأحدٍ يومَ القيامة؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ**» (رواه مسلم).

ولِكَونِ الكذبِ من علاماتِ النِّفاقِ نَهَى الإسلامُ عنه ولو على سبيلِ الهَزْلِ؛ قال ﷺ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ؛ فَيَكْذِبُ! وَيْلٌ لَهُ! وَيْلٌ لَهُ!» (رواه الترمذي).

ومَنِ ادَّعى أنَّه رأى رُؤيا في منامه وهو كاذِبٌ؛ كُلِّف يوم القيامة بعملٍ يعجَزُ عنه تنكيلاً به، قال ﷺ: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ؛ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ» (رواه البخاري).

ومَنْ سألَ ما عند النَّاسِ من أموالٍ وعنده ما يُغنيه؛ فإنَّما يَسْتَكثِرُ من النَّار.

«وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ؛ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الآنُكُ - وَهُوَ الرَّصَاصُ المُذَابُ - يَوْمَ القِيَامَةِ» (رواه البخاري).

وكما أنَّه واجبٌ على العبدِ أنْ يَصُونَ لِسانَه؛ فمُتَحتِّمٌ عليه كذلك أن يحفَظَ جوارِحَه، فهناك أفعالٌ دون الشِّركِ وقتُ فِعْلِها قليلٌ ولكن ذنبُها عند اللَّهِ كبيرٌ، وأعظمُها قتلُ المُسلِم، واللَّهُ توعَّدَ قاتله بعقوباتٍ مُتنوِّعة؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، وقال ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ؛ لأَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ» (رواه الترمذي).

والمسلمُ أكرمُ عند اللَّه من الدُّنيا؛ قال ﷺ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» (رواه الترمذي)؛ بل نَهَى أن يَقْتُلَ المرءُ نفسَه؛ لأنَّ اللَّهَ خلقَه لعبادتِه، قال ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا

عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» (متفق عليه)، ولِكي يأْمنَ المُسلمُ في حياته؛ فكلُّ وسيلةٍ إلى القتلِ سدَّ الإسلامُ ذريعتَها؛ فـ«**مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ؛ فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ**» (رواه مسلم)، ومَنْ عادَى وليّاً من أولياء اللَّه فقد آذنَه اللَّهُ بالحربِ.

والزِّنى سبيلُه سيِّئٌ، ما وقعَ فيه امرؤٌ إلَّا ساءَ حالُه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾، واللَّه قرَنَه مع الشِّرك والقتل، قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ: الشِّرْكُ، ثُمَّ القَتْلُ، ثُمَّ الزِّنَى»، والجزاءُ من جنسِ العمل؛ فمَنْ عفَّ عفَّتْ نساؤُه؛ وَلِبَشَاعتِه كانت عقوبةُ المُحصَنِ الرَّجمَ حتى الموت.

وقليلُ الرِّبا يُدنِّسُ المالَ الكثيرَ وينزِعُ بركتَه، ويُحِلُّ الفقرَ بصاحبه، قال سبحانه: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، واللَّه لعنَ آكِله وأذِن بحربه، ومَنْ حاربَه اللَّه فقد هلكَ.

والسَّارقُ لَعنَه اللَّهُ لِأَخْذِه حقوقَ الآخرين، وآكِلُ مالِ اليتيم يأكلُ في بطنه ناراً، ومَنْ أخذَ أموالَ النَّاس يُريدُ إتلافَها أتلفَه اللَّه، ومَنِ اقْتَطَعَ شِبْراً من الأرض ظلماً خُسِفَ به إلى سبع أراضين.

ومَنْ آوَى مُبتدعاً في الدينِ أو جانِياً؛ فقد لعنَه اللَّه.

ومَنْ دفعَ مالاً لِيتوصَّلَ به إلى ما لا يحِلُّ؛ كان راشِياً، والرَّاشي والمُرتشِي لعنَهما رسولُ اللَّه ﷺ، و«**ثَلَاثَةٌ رَبُّ العَالَمِينَ خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ**» (رواه البخاري).

ومَنْ شرِبَ الخمرَ لم تُقبَل منه صلاةُ أربعين يوماً، ولم يشرَبها في الجنَّة؛ بل ويَسقِيه اللَّهُ من طِينَةِ الخَبالِ يوم القيامة - وهي: عَرَقُ أهلِ النَّار، أو عُصارةُ أهلِ النَّار -.

واللِّباسُ من نعم اللَّه، وإذا عصَى الرَّجلُ ربَّه في ملبسه بالإسبال؛ تعرَّضَ لعذابِ اللَّه، قال ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: المُسْبِلُ، وَالمَنَّانُ، وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الكَاذِبِ» (رواه مسلم).

والمرأةُ إن تزيَّنَت بغير ما أذِنَ اللَّه فيه - بأن وَصَلَت شعرَها، أو وَصَلَت لغيرها، أو نَمَصَت حاجبها، أو نُمِصَ لها -؛ فقد تعرَّضَت لِلَعنةِ اللَّه، واللَّهُ أوجبَ على الزَّوجةِ طاعةَ زوجها، وإذا دعا الرَّجلُ امرأتَه إلى فِراشه فأبَت أن تجِيءَ؛ لعنَتها الملائكةُ حتى تُصبح.

والعدلُ أساسُ المَودَّة والرَّأفة، و«مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ» (رواه أبو داود)، و«مَا خَلَا رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا»، ومَنْ قطعَ رحِمَه قطعَه اللَّه.

وعملُ المُصوِّرِ يسيرٌ ولكنَّ جُرمَه عند اللَّهِ عظيم؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ» (متفق عليه)، و«لَعَنَ ﷺ المُصَوِّرَ» (رواه البخاري).

ومَنِ اقتنى كلباً لغيرِ حاجةٍ نقَصَ كلَّ يومٍ من أجره قِيرَاطَان، ومَنْ وَسَمَ دابةً لعنه اللَّه، وحبَست امرأةٌ هرَّةً ومنعت عنها الطَّعامَ فدخلت

النَّار، ومَنْ لَبِسَ خَاتَمَ ذهب؛ قال عنه النَّبيُّ ﷺ: «**يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ**» (رواه مسلم).

وأفعالٌ في العبادات مَنْ فرَّط فيها توعَّده اللَّه بعقابٍ؛ فـ«**لَوْ يَعْلَمُ المَارُّ بَيْنَ يَدَيِ المُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْراً لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ**» (متفق عليه)، والذي يُسابِقُ الإمامَ يُخشَى «**أَنْ يُحَوِّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ**» (متفق عليه)، ونَهَى النَّبيُّ ﷺ عن رفع البصر في الصَّلاة، وقال: «**لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ**» (متفق عليه).

والمُسلمُ مُعظَّمٌ حيّاً وميِّتاً، وكسرُ عَظْمِه وهو ميِّتٌ كَكَسْرِه وهو حيٌّ، والجلوسُ على قبره من إهانته، قال عليه الصلاة والسلام: «**لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ؛ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ**» (رواه مسلم).

وإذا عمِلَ العبدُ عملاً صالحاً سعى الشَّيطانُ في إفساده بالرِّياء أو السُّمعة أو إرادة الدُّنيا، ومن وقعَ في ذلك كان عملُه هباءً.

والعبدُ يُعاقَبُ باعتقادٍ فاسدٍ في قلبِه وإن لم يعمل أيَّ عملٍ؛ فمَنِ اعتقدَ أنَّ غيرَ اللَّه ينفعُ أو يضُر، أو عطَّل أسماءَه وصفاتِه؛ فقد كفرَ.

و«**آيَةُ المُنَافِقِ: بُغْضُ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ المُؤْمِنِ: حُبُّ الأَنْصَارِ**» (متفق عليه).

ومَنْ قنطَ مِن رحمةِ اللَّه الواسِعة فقد ضلَّ؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾.

والعُجْبُ بالنَّفسِ أو المالِ أو اللِّباسِ مُوجِبٌ للعقوبة؛ قال ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**» (متفق عليه).

والحسدُ مُظْلِمٌ للقلبِ، مُفسِدٌ للحسناتِ.

والكبرياءُ من خصائصِ صفاتِ اللَّه مَنْ نَازَعَه فيها عذَّبَه، ومَنْ تكبَّر على اللَّه أهانَه، قال فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾؛ فأغرقَه اللَّه بالماءِ، ومن استكبرَ على خلقِه أهلكَه، فرِحَ قومُ عادٍ بقوتهم وقالوا: ﴿مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾؛ فأهلكَهم اللَّهُ بريحٍ.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالدِّينُ أغلى ما يملِكُه المُسلم، وهو أصلُ الضَّرورات التي جاءَ الإسلامُ بحِفظِها، فيجبُ على المُسلمِ أن يحفظَ لِسانَه وجوارِحَه، وما يعتقدُ بقلبِهِ مما يُضادُّه أو يُنقِصُه.

والإسلامُ دينُ الفِطرة، الدخولُ فيه بكلمةٍ مع عِلْمٍ بمعناها وعملٍ بمُقتضاها، وهو أيضاً أرقُّ شيءٍ وألطفُه، مَنِ ارتكبَ شيئاً من نواقضِه ولو بكلمةٍ زالَ عنه، والسَّعيدُ مَنْ تمسَّكَ به وأحبَّه ومدحَه، ودعا غيرَه إليه، ومَنْ ثبَّته اللَّه على ذلك سَعِد في دنياه وأخراه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

النَّصيحةُ أصلٌ من أصول الدِّينِ، قال ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» (رواه مسلم)، والمسلم ناصِحٌ لغيره مُحِبٌّ له الخيرَ، وإذا أُظهِرَت النَّصيحةُ في مُجتمعٍ سادَه الوِفاقُ والمودَّةُ والصَّلاح، والخطيئةُ إذا خَفِيَت لم تضُرَّ إلَّا صاحِبَها، وإذا ظهرَت فلم تُغيَّر؛ ضرَّت العامَّةَ.

ومِفتاحُ حياة القلوبِ: تدبُّر القرآنِ العظيمِ، وتركُ الذُّنوبِ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الرَّابع

تَوحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

أَسْمَاءُ اللَّهِ الحُسْنَى (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه نجا، ومَنْ أعرضَ عنه هَوى.

أيُّها المسلمون:

العلمُ باللَّه أحَدُ أركانِ الإيمان؛ بل هو أصلُها وما بعدَها تبَعٌ له، ومعرِفَة أسماء اللَّه وصفاتِه أفضلُ وأوجَبُ ما اكتسبَته القلوب وحصَّلته النفوسُ وأدركته العقول؛ قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَطْيَبُ مَا فِي الدُّنْيَا: مَعْرِفَتُهُ سُبْحَانَهُ وَمَحَبَّتُهُ».

والقرآنُ كلُّه يدعو النَّاسَ إلى النَّظر في أسماء اللَّه وصفاتِه وأفعالِه؛ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالقُرْآنُ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ أَكْثَرُ مِمَّا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ».

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث والعشرين من شهر شوال، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

واللَّهُ يُحِبُّ مَنْ يُحِبُّ ذكرَ صفاته، وقد بشَّر النَّبيُّ ﷺ الذي كان يقرَأ سورة الإخلاص بأنَّ اللَّهَ يحبُّه فقال: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟** فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ**» (متفق عليه).

وأسماؤه سبحانَه أحسَنُ الأسماء، وصفاتُه أكمَلُ الصِّفاتِ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

وحقيقٌ بكلِّ مسلمٍ معرفتُها، وفهمُ معانيها.

فربُّنا تعالى هو **الرَّحمن الرِّحيم**؛ وَسِعَتْ رحمتُه كلَّ شيء، ورحمتُه أوسَع صفاتِه، قال ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ مِئَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالبَهَائِمِ وَالهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**» (متفق عليه)، وما مِن أحدٍ إلَّا وهو يَتَقلَّب في رَحْمةِ اللَّه، وكلُّ نعمةٍ تراها هي مِن رحمته، وكلُّ نقمةٍ صُرِفت فهي من آثار رحمتِه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَكَانَ هَذَا الكِتَابُ - أَيْ: «**إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**» - كَالعَهْدِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِلْخَلْقِ، وَلَوْلَاهُ لَكَانَ لِلْخَلْقِ شَأْنٌ آخَرُ»، ومَنْ كان قريباً مِنَ اللَّه كانت رحمةُ اللَّه أولى به.

وهو سبحانه **المَلِكُ**: المُتصرِّفُ بخَلقه كما يشاء، لا يتحرَّك متحرِّكٌ ولا يَسْكُن ساكِن إلَّا بعلمه وإرادَته، يأمُر وينهى، يُعِزُّ ويُذِلُّ بلا ممانَعة ولا مدَافعة، لا يُعجِزه فيهما شيء؛ ففوِّض إلى الملِكِ أمورَك، فبِيَدِه المقاليد، وتوكَّل عليه في جميعِ أحوالِك تجِده قريباً.

وهو **القُدُّوسُ**: المُنزَّهُ عن النقائِصِ، المَوْصُوفُ بصفاتِ الكمال؛ فلا إِلَهَ معَه يُدعى، ولا وَلِيَّ معه يُنادَى.

وهو **السَّلامُ**: السَّالِمُ من جميع العيوب وخَلَلِ الأوصاف، جميع المخلوقاتِ تُنزِّه ربَّنا من ذلك؛ قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

وهو ﷻ **المُؤْمِنُ**: خَلْقُه آمِنون مِنْ أَنْ يَظلِمَهم أو يَبخَسَهم حقَّهم، فتزوَّدْ منَ التَّقوَى؛ فالأعمالُ محفوظةٌ مضاعفة.

وهو **المُهَيْمِنُ** على خلقِه، مطَّلِعٌ على خفاياهم وخَبايا صدورِهم، فلا تأمَنْ مكرَ اللَّه إن عَصَيتَه.

وهو **الشَّهِيدُ** على أقوالِ وأفعال عِباده ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

هو **العَزِيزُ**: لا يُغْلَب، عزَّ كلَّ شيءٍ فقَهَره، ذلَّت الصِّعاب لعِزَّته، ولانت الشَّدائد لقوَّته، «**إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَاناً لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ**»، مَنْ دَنَا منه بالطَّاعة عزَّ؛ قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾، ومَنْ بَارَزَه بالمعصِيَة ذلَّ، فلا تَنْظُر إلى المعصيةِ وانْظُرْ إلى مَنْ عصيتَ.

وهو **العَلِيُّ الأَعْلَى**: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾.

وهو **الجَبَّارُ**: جَبَر خلقَه على ما يُريد، لا يمتَنِع منهم أحدٌ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، قال للسَّماء وللأرضِ:

﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾، وهو سبحانه جابِرُ قلوبِ المنكَسِرين.

وهو **الكَبِيرُ**؛ كلُّ شيءٍ دونَه، ولا شيءَ أعظم ولا أكبر منه: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾، «**يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِين عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ**» (متفق عليه).

وهو **المُتَكَبِّرُ** وحدَه، ولا يليق الكِبْرُ إلَّا به، ومَنْ تكبَّر من خلقه فمأواه سقر؛ قال ﷻ: ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾، والعبدُ واجبٌ عليه التَّذلُّل والخضوع لربِّه، والتَّواضعُ لعباده.

وهو **الخَالِقُ**؛ أوجدَ الكونَ وأبدعه فأبهَر مَنْ تأمَّله، **خلَّاقٌ** أتقَنَ ما خلَق: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾.

وهو **البارِئُ**؛ بَرَأَ الخلقَ مِن عدَم؛ نجوماً وشمساً وقمَراً، وخَلقاً في الأُفق: ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾، أدهشَت من تفكَّر فيها وتذكَّر.

وهو **المُصوِّر**؛ صوَّر خلقَه على صفاتٍ مختَلفة، وهيئاتٍ متباينة كيفَ شاء: ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ﴾، وخلَق الإنسان في أحسنِ صورةٍ: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾.

وهو **المُصَوِّرُ**؛ وحرَّم التَّصويرَ على خلقه، وتوعَّد المُصوِّرينَ مِن خلقِه؛ و«لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المُصَوِّرَ» (رواه البخاري)، وقال: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ**» (متفق عليه).

وهو **الغَفُورُ**؛ يَمْحُو ذنوبَ مَن أنابَ إليه من عبادِه وإن تناهَت خطاياه، غفَر لسحرَةِ فِرعون كُفرَهم وسِحرهم ومُبارَزَتهم لنبيِّهم بسجدةٍ واحِدة للَّه مقرونةٍ بتَوبة: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾.

وهو **القَهَّارُ**؛ الخلقُ تحتَ قَهرِه وقَبضتِه، يَنزِعُ روحَ من شاء متى شاء، لا يقعُ في الكونِ أمرٌ إلَّا بمشيئتِه ولو سعَى العبد إلى تحقيقه.

وهو **الفتَّاحُ**؛ يَفتحُ أبوابَ الرِّزقِ والرَّحمةِ وأسبابها لعبادِه، ويَفتحُ عليهم المنغَلِقَ من أمورهم وأَحوالهم.

وهو **الرَّزَّاقُ**؛ يرزُقُ العبدَ من السَّماء والأرض: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾، عمَّ برزقِه كلَّ شيء؛ فما من دابَّةٍ في الأرض إلَّا على اللَّه رِزقُها، رزَقَ الأجنَّةَ في بطونِ الأُمَّهات، ورَزَقَ السِّباعَ في القِفَار، والطُّيورَ في أعالي الأَوْكَار، والحِيتَانَ في قَعْرِ البِحَار.

وهو **الوَهَّابُ**؛ يُعطِي من أراد ما شاءَ، بِيده خزائن السَّموات والأرض، وهَب ذُرِّيَّةً طيِّبة لأنبياء بعد بلوغِهم عِتيّاً من الكِبَر، وسأل سليمانُ عليه السلام ربَّه الوهَّابَ مُلكاً لا يَنبَغي لأحدٍ مِن بعدِه، فوهبه آياتٍ وعِبراً مِنَ العطاء؛ رِيحاً وجِنّاً وعَين قِطْرٍ مُسَخَّراتٍ بأمرِه.

وهو **العَلِيمُ**؛ يعلَمُ السَّرائرَ والخَفيَّاتِ، لا يخفَى عليه قولٌ ولا فعلٌ ممَّا يَجْتَرِحُه العباد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وهو **السَّميعُ**؛ يسمَع النَّجوَى وما أعلِنَ، والسَّرَّ وما أخفَى، إنْ جهرتَ بِقولِك سمِعَه، وإِنْ أَسرَرتَ به لصاحِبِك سَمِعَه، وإِنْ أخفَيتَه في نفسك علِمَه.

وهو **البَصِيرُ**؛ يرَى خَوافِيَ الأمور وإن دقَّتْ، لا يَعزُب عنه مثقالُ ذرة وإن خفِيَت، يرى في ظُلَم اللَّيل ما تحت الثَّرَى، ويُبصِر قَعْرَ البحر في الدَّهماء.

وهو **الظَّاهرُ والبَاطِنُ**؛ لا يَخفى عليه دَبيبُ النَّملة السَّوداءِ على الصَّخرةِ الصَّمَّاء في اللَّيلةِ الظَّلماء، إنْ فعلتَ فِعلاً ظاهراً رَآك، وإنْ عَمِلت باطناً ولو في جوفِ بَيْتِك أبصرَك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾، ومن علِم أنَّ اللَّهَ مطَّلِع عليه؛ استَحَيى أن يراه على معصِيَة.

وهو **الحَكِيمُ**؛ لا يَدخُلُ في أحكامِه ولا تشريعَاتِه خَلَلٌ ولا زَلَل، وليس لأحدٍ أن يُرَاجعَ أحكامَ اللَّه أو ينتَقِصَها أو يضَعَها للجدَل: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾، بل الواجب التسليمُ والإذعان لها والانقياد إليها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾، ولا يصلُحُ لعباده سِوى شرعه المطهَّر، ومَنْ سَخِر بدينه أو شرعِه أذلَّه اللَّه.

وهو **اللَّطِيفُ**؛ يَلطُف بعباده، يسوق الرِّزقَ إليهم وهم لا يشعرون.

وهو **الخَبِيرُ** بأمورِ العِباد لا يخفَى عليه شيءٌ، مُطَّلِع على حقيقةِ كلِّ أمرٍ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾.

وهو **الحَلِيمُ**؛ لا يُعَجِّل العقوبةَ على عبادِه بِذنوبهم، ولا يحبِس إنعامَه وأفضاله عنهم بخطيئاتهم، يَعصونه ويَرْزُقهم، يُذْنِبون وَيُمْهِلُهم،

يُجَاهِرون وَيَسْتُر عليهم؛ فلا تَغْترَّ بحلم اللَّه وكَرَمه عليك، فقد يَبْغَتُك العذاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾.

وهو **العَظِيمُ**؛ إذا تكلَّم بالوحي أخذَتِ السَّموات منه رَجْفَةٌ - أو رِعدةٌ - شديدة خوفاً من اللَّه، فإذا سمِع ذلك أهلُ السَّموات صَعِقوا وخرُّوا للَّه سجَّداً.

وهو **الشَّكُورُ**؛ يُعطي الجزيلَ على اليسيرِ منَ العمل، ويَغفِر الكثيرَ مِنَ الزَّلَل، فلا تحقِر أيَّ عملٍ صالحٍ وإن قلَّ فالحسنة تتضَاعَف؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾.

وهو **الحَفِيظُ**؛ يَحفَظُ أعمالَ العباد ويُحصِي أقوالهم: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾، ويَحفَظُ عبادَه من المهالِكِ والمعاطِبِ؛ حفِظ يونسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في بطن الحوت في لُجَجِ البِحار، وحفِظ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو رضيعٌ في اليَمِّ؛ فتوكَّلْ على اللَّه في حِفظ نفسك وأولادك، فلا تعاويذَ شِركيَّة ولا تمائم ولا سَحَرَة ولا كُهَّان.

وهو **القَوِيُّ**؛ لا يعجِزه شيء، قوِيٌّ في بطشِه، قال ابن جريرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا بَطَشَ بِشَيْءٍ أَهْلَكَهُ»، أمرَ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقلبِ قريةٍ عاتِيَة بالفواحش - قوم لوطٍ - فعَلَا بها بطَرَف جناحه ثم قَلَبَها بمن فيها، وجعلها آيةً للاعتبار عبرَ القرون: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ * وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾، ومَنْ تأمَّل قوَّةَ من عصى تركَ ما عصَى.

وهو سبحانه **الشَّافِي**؛ يَشفي ويُعافي من الأمراضِ والأسقام: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾، والأدوية أسبابٌ يَجب ألَّا يَتعلَّقَ القلب بها.

وهو **المَنَّانُ**؛ يبدأ بالعطاءِ قبلَ السُّؤال.

واللَّه سبحانه هو **المُحْسِنُ**؛ غَمَر الخلقَ بإحسانه وفضلِه.

هو **الكَرِيمُ**؛ يُعْطي ويُجْزِل في العَطاء، ليس بينه وبين خلقِه حِجاب، فاسأَلْ وربُّك الأكرَم، وإذا فتَح الرِّزقَ على عبدِه لم يمنَعه أحدٌ؛ قال سبحانه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾.

وهو **حَيِيٌّ**؛ «**يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ** - يَسْأَلُهُ عَبْدُهُ عَطَاءً - **أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً**» (رواه أبو داود).

وهو **الرَّقِيبُ**؛ لا يَغْفَلُ عن خَلقِه ولا يُضيِّعُهم: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾، مطَّلِع على ما أكَنَّته ضمائِرُهم، قال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً وَقَفَ عِنْدَ هَمِّهِ؛ فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ مَضَى، وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِهِ تَأَخَّرَ»؛ فقِف وقفةً عند كلِّ عمَل، فإنْ كان للَّه فتقدَّم، وإنْ كان لغيره فتأخَّر.

وهو **الوَدُودُ**؛ يتودَّدُ إلى عبادِه بالنِّعَم وترك العصيانِ، ومَنْ ترَك شيئاً لأجلِه أعطاه المزيدَ.

وهو **ذُو مَحَبَّةٍ** لعبادِه الصَّالحين، يُحِبُّ التَّوَّابين منهم والمُتوكِّلين والصَّابِرين.

وهو **المَجِيدُ**، ذو مَجدٍ ومَدح وثَناء كريم، لا مجدَ إلَّا مجدُه، وكلُّ مجدٍ لغيره إنَّما هو عطاءٌ وتفضُّل منه سبحانه.

وهو **الحَمِيدُ**؛ مستَحِقٌّ للحمد والثَّناءِ بِفِعَالِه، يُحمَد في السَّرَّاء والضَّرَّاءِ، وحَمْدُه مِنْ أجلِّ الأعمال، قال ﷺ: «**وَالحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ**

المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ: **تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**» (رواه مسلم).

وهو سبحانه **الحَيُّ القَيُّومُ**؛ قائِمٌ بأمرِ جميع الخلائق: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾.

هو **أَحَدٌ**؛ لم يزل وحدَه، ولم يكن معه غيرُه، وتَوحَّدَ بجميع الكَمالاتِ، لا يُشَارِكُه فيها مشارِك.

وهو **الصَّمَدُ**؛ تَصْمُد إليه الخلائق في حاجاتِها، وتبُثُّ إليه شكواها، وتضعُ بين يدَيه مُلِمَّاتها.

وهو **السَّيِّدُ**؛ إليه المَلْجَأُ وحدَه عند الشَّدائد والكرُوب.

وهو **القَدِيرُ**؛ تامُّ القدرةِ والنُّفوذ على كلِّ شيء؛ قال لنارٍ محرِقة: ﴿كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، فكانت كما أمَر، وأَمَرَ بحراً زاخراً بالأمواجِ أن يكونَ طريقاً يبَساً لموسى، ثم عادَ بحراً على أكملِ حالٍ.

هو **البَرُّ**؛ يُحسِن إلى عبادِه ويُصلحُ أحوالَهم، بَرٌّ بالمطيع في مضاعَفَة الثَّواب، وبَرٌّ بالمسِيء في الصَّفْحِ والتجاوُز: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وهو **التَّوَّاب**، لا يردُّ تائباً، مَن جاء إليه في ليلٍ أو نهار قَبِلَه بل وأحبَّه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾.

وهو **العَفُوُّ**؛ مهما أسرَفَ العبد على نفسِه بالعِصيان ثمَّ تاب، عَفَى عن ذنوبِه.

وهو **الرَّؤُوفُ** بجميع خَلْقِه، يُغْدِق عليهم الأرزاق وإن عصَوه رأفَةً منه بهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وهو **الغَنِيُّ**؛ لا حاجةَ له إلى خلقِه، يدُه ملأَى «**لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، يقول ﷺ فيما يروِيه عن ربِّه: «**يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ**» (رواه مسلم).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فبأسمائه تعالى الحسنَى يُدعى، وبها وبصفاتِهِ العُلى يُثنَى عليه، واللَّه يُحِبُّ مَن يدعوه ويَحمدُه، وأكمَلُ النَّاس عبوديَّةً المُتعبِّدُ بجميع الأسماء والصِّفاتِ، وأسماؤُه لا حَصْرَ لها، منها تسعةٌ وتسعون اسماً من أحصاها - بالعلم بمعناها والعمَلِ بمقتضاها - دخلَ الجنَّة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إلهَ إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

مِفتاحُ دَعوةِ الرُّسلِ وخُلاصةُ رسالتهم: معرِفَةُ المعبودِ بأسمائه وصفاته وأفعالِه.

ومعرفةُ اللَّه وما يستحِقُّه من الأسماء الحسنى والصِّفاتِ العلا؛ تستلزمُ إجلالَه، وإعظامَه، وخَشيتَه، ومهابَتَه، ومحبَّتَه، ورجاءه، والتَّوكُّلَ عليه، والرِّضا بقضائِه، والصَّبرَ على بلائه، وعلى قَدرِ المعرفة يكون تعظيم الرَّبِّ في القلبِ.

وأعرفُ الناسِ به أشدُّهم له تعظيماً وإجلالاً، ومَنْ عرَفَ أسماءَ اللَّه وصفاتِه عَلِم يقيناً أنَّ المكروهاتِ التي تُصيبُه والمِحَنَ التي تَنزلُ به فيها مِن ضروبِ المصالح التي لا يُحصِيها علمُه، واللَّه يُحِبُّ موجِبَ أسمائه وصفاتِه، فهو كريمٌ يُحبُّ الكريم من عبادِه، حليم يُحبُّ أهلَ الحِلم، عليمٌ يُحبُّ العلَماء، شكور يُحبُّ الشَّاكرين.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

اسْمُ اللَّهِ: الحَكِيمُ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبد اللَّه ورسوله، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

شَهِدَتِ الفِطَرُ بأنَّ للعالَم ربّاً كاملاً في ذاته وصفاته، موصوفاً بصفات الكمال والجَلال والجَمال، له كلُّ ثناءٍ وكلُّ حَمْدٍ ومَدْح، ومِنْ تعظيم اللَّه إثباتُ صفاتِ كمالِه ونعوتِ جلاله.

واسمٌ من أسماء اللَّه الحسنى ورَد في كتاب اللَّه أكثرَ من تسعين مرةً، اقترن بالعِزَّة والعِلْم والخِبْرة والسَّعَة والتَوْبِ والحَمْد، ما من حركةٍ ولا سكونٍ في الكون إلَّا واقتضى مدلولُ ذلك الاسم فيه، فمِنْ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث عشَر من شهر شوال، سنة إحدى وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

أسمائِه سبحانه: **الحكيم**؛ يَضعُ الأشياءَ مواضعَها، ويُنزلُها منازلها اللَّائقةَ بها في خلقه وأمره، وحكمتُه بالغةٌ تُعجِز العقولَ عن الإحاطة بِكُنْهِهَا، وتَكِلُّ الألسنُ عن التَّعبير عنها، وبحكمته سبحانه سبَّح له ما في الكون؛ قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وهو سبحانه حكيمٌ معبودٌ في السَّماء والأرض: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾، حَمِدَ نفسَه؛ لأنه حكيم؛ فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾، وأثنى اللَّه على ذاته سبحانه بأنَّ له الكِبْرياء، وختَمَ الآية بأنَّه حَكِيم: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وله سبحانه جنودٌ في السَّموات والأرض يدبِّرُها كما يشاء وهو الحَكِيم: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، ونادى ربُّنا موسى عليه السلام وعرَّفه بذاته بأنه الحكيم: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وأثنى اللَّه على كتابه بأنَّه من ربٍّ حكيم يَضعُ كلَّ شيء موضعَه، ويُنزله منازله، فكان كتاباً مُحكَماً مشتمِلاً على تمام الحكمة؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

وبحكمته سبحانه يَفتحُ الأرزاقَ للنَّاس ويُمسكها: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

والملائكةُ في مَقَام الاعتراف بالعجز وقصور العلم أقرَّت بعلم اللَّه

وحكمته واستسلمت لأمره: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وحَمَلَةُ العرش ومَنْ حولَه يدعون للمؤمنين بالمغفرة وجنَّات النَّعيم، وختموا دعاءهم باسمه سبحانه الحكيم: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

والوَحيُ الذي تنزَّل على الرُّسل مِنْ لَدُنْ حَكيم: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وكان الأنبياء عليهم السلام يدعون اللَّه بتحقيق رجائهم وأُمْنِيَّاتهم باسمه سبحانه الحكيم، فدعا إبراهيمُ عليه السلام ربَّه باسمه الحكيم أن يبعثَ إلينا نبيّاً يعلِّمنا القرآن والدِّين: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وترَك إبراهيمُ عليه السلام موطنَه وهاجَر إلى اللَّه وقال: إنَّ ربِّي حكيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وطال العُمُرُ بإبراهيم عليه السلام ولم يُولَد له، فبشَّرت الملائكةُ زوجتَه بولد وهي عجوز عقيم فعَجِبَتْ من ذلك، فقالت لها الملائكة: إنَّ اللَّهَ عليمٌ حكيمٌ: ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

ويعقوبُ عليه السلام مع صَبْرِه وانتظار الفرَج بعدَ فَقْدِ يوسف وأخيه أثبت علم اللَّه في اختيار الزمان الأمثل لِمَا يرجوه من الفرَج، وأيقَن بحكمة اللَّه في تهيئة الأسباب في تفريج همِّه، فتوجَّه إلى اللَّه برجائِه ودعائِه باسمِه الحَكيم: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وبعد انكشاف الغُمَّة عن يوسف عليه السلام بعد طول

المصائب والمصاعب التي لاقاها تحدَّثَ بنعمة اللَّه وفضله وأثبَت حكمةَ اللَّه في ذلك: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

واسمُه سبحانه الحَكِيم يَتَضَمَّنُ حكمتَه في خلقه وأمرَه في إرادته الدِّينيَّة والكونيَّة، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِالعِزَّةِ كَمَالُ القُدْرَةِ، وَبِالحِكْمَةِ كَمَالُ العِلْمِ، وَبِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ يَقْضِي سُبْحَانَهُ مَا يَشَاءُ وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، فَهَاتَانِ الصِّفَتَانِ مَصْدَرُ الخَلْقِ وَالأَمْرِ».

وبحكمتِه سبحانه خلَق المخلوقاتِ كلَّها بأحسنِ نِظَام، ورتَّبها أكملَ ترتيب، أتقَن التَّدبير فيها وأحسن التَّقدير، وأعطى كلَّ مخلوق خلقه اللَّائق به؛ قال تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، وتحدَّى اللَّه الخلقَ أن يجدوا في خلقه خللاً أو عبثاً: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾.

ولو اجتمعت عقولُ الخَلْق ليقترحوا مثل خَلْقِ الرَّحْمنِ أو ما يقارِبُ ما أودَعَه في الكائنات من الحُسْن والانتظام والإتقان لَعَجَزوا؛ لذا أمَر اللَّهُ الخلقَ بالاكتفاء بالتَّأمُّل فيما أودَع من الحِكَم في مخلوقاته، والاطِّلاع على بعض ما فيها من الحُسْن والإِتْقَان؛ فقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾.

وبحكمته سبحانه عرَّف عباده بذاته المُقَدَّسَة، وبالإسلامِ وأوامرِه ونواهِيه، وأنزل كتابَه وبيَّن فيه أنه يتوب علينا، وأنَّه لا صلاح لأمورِ

الدُّنيا إلَّا بالدِّين، قال بعض السَّلف: «لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِهِ وَشَرْعِهِ إِلَّا هَذِهِ الحِكْمَةُ العَظِيمَةُ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الخَيْرَاتِ وَأَكْمَلُ اللَّذَّاتِ لَكَانَتْ كَافِيَةً شَافِيَةً».

وهو سبحانه حَكيمٌ في أَمْرِه الكوني؛ يبتلي عبادَه بالمكاره لِيُهَذِّبَهُم ويُعْلِيَ درجتَهم، والعبدُ مأمور بالإيمان والرِّضا بأقدار اللَّه وفِعْل الأسباب المشروعة في دفعه، فَيَدْفع أقدارَ اللَّهِ بأقدارِ اللَّهِ، وما لا طاقة له بدفعه - كموت قريب ونحوه -؛ فيَرضى وَيُسَلِّم، وَيَشْهَدُ عِزَّة اللَّه في حُكْمِه، وعَدْلَه في قضائه، وحكمته في جريانه عليه، وأنَّ ما أصابه لم يكن لِيُخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنَّ ذلك أوجَبَه عدلُ اللَّه وحكمتُه.

واللَّهُ ﷻ قد يُظهرُ بعضَ حِكَمه لعباده؛ فأخبَر أنَّ الحكمةَ من إنزال القرآن تثبيتُ المؤمنين وهدايةٌ وبِشارةٌ لهم؛ فقال: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾، وأرسَل الرُّسُلَ لئلَّا يبقى لأحدٍ حجَّة أنه يَجْهَلُ الدِّينَ: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾، وأخبَر أنَّ الحكمةَ من ابتلاء النَّاس لِيَعْلَم صِدْقَ المؤمنين وصبرَهم؛ فقال: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾، ولِحِكْمةٍ منه سبحانه حجَب علمَ الغيب عن خلقه واختصَّه لنفسه؛ فقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فاللَّهُ وحدَه له الخلق والأمر، يفعلُ في كونه ما يشاء، وفي شرعه يَحْكُمُ ما يريد، لا يتوجَّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقالٌ، قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾، والعبد مأمور بالتَّعبُّد بمدلول اسم اللَّه الحكيم، وإذا أيقَن بحكمة اللَّه في كلِّ شيءٍ استمتع بخلق اللَّه البديع وَصُنْعِه المتقَن وتفكَّر فيه، وعظَّم شرعَ اللَّه وخاف منه تعالى، واستحيى من خطاياه، واستسلم لأوامره ونواهيه، واشتدَّ فَرَحُه بأن اللَّه هداه لهذا الدِّين لِحِكْمَةٍ أرادها له، وأنَّ الشَّريعةَ جاءت مِنْ لَدُنْ حكيم لإِسْعَاد البشريَّة، وإِنْ نزَل به بلاءٌ رضي بقضاء اللَّه وقَدَرِه وسَلَّم بأنَّ ما قضاه اللَّه له فيه الصَّلاح والخير: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، وأيقن أنَّ وراء ذلك حِكْمَةً لا يُدركُها، وأنه يتقلَّب في نِعَم اللَّه في السَّرَّاء والضَّرَّاء؛ قال ﷺ: «**عَجَباً لِأَمْرِ المُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ**» (رواه مسلم).

فَطِبْ حياةً بما خلَق اللَّهُ وأرادَه شرعاً وكوناً، وفوِّضْ أُمورَكَ للحكيم، فسيُعطيكَ فوقَ ما تتمنَّاه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

عرَّف اللَّهُ عبادَه بعظائم معاني خلقِه وأَمْرِه دونَ دقائِقِها وتفاصيلِها، وما يَخفى على العباد من معاني حكمة اللَّه في صُنْعِه وإبداعه وأمره وشرعه وقضائه وقَدَرِه: يكفيهم فيه معرفتُه بالوجه العامِّ أنْ تضمَّنتْه حكمة بالغة، وإن لم يعرفوا تفاصيلها، وأنَّ ذلك من علم الغيب الذي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ به.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

اللَّهُ هُوَ الرَّزَّاقُ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى أجملُ ما أَظهَرتُم، وأكرمُ ما أَسرَرتُم.

أيُّها المسلمون:

خَلَق اللَّهُ الخلقَ وأَجرَى فِيهم أمرَه، وقضى فيهم بحُكْمِه، وامْتَنَّ على بَني آدمَ بالرِّزقِ والتَّكْريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾، وجَعَل الرِّزقَ بِيَدِه وحدَه، وأسبغَه على خلقِه، وقَسَمَهُ بينهم بحِكمَتِه: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾، وجَعَله من آياتِ وحدانيَّته في الكونِ: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السابع عشَر من شهر ربيع الآخر، سنة ثمان وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

قدَّرَ أرزاقَ العبادِ وهَدَاهُم إليها، وهَدَى مَنْ يَأتي بها إِلَيهِم، فأعطى من شاءَ بفضلِه، ومَنَع من شاء بعِلمِه وعدلِه: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾، وليس ضِيقُ الرِّزق هواناً ولا سَعَتُهُ فضيلةً عِنـد اللّـه، قـال ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ * وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ كَلَّا﴾، بَل عَطَاؤُه ومَنعُه امتحانٌ وابتِلاء، والإكرامُ إِنَّما هو بالطَّاعةِ، والهوانُ بالمعصيةِ.

وطَلبُ الرِّزق ممَّا أَقَضَّ مَضاجِعَ بعضِ النَّاس؛ فأصبَحَ الصَّغيرُ ينشدُه والكَبيرُ يطلُبُه، وأحاديثُهم عَنه وحوله - مِنْ طلبِ مالٍ وولدٍ وأهلِين -، والرِّزقُ ليس باجتهادٍ وكسبٍ فحَسْب، إِنَّما هو فضلٌ مِنَ اللَّهِ تولَّى قِسمَتَه بين عباده، لَن يأخُذَ أحدٌ مَا لم يُقدَّر له، ولن يُحرَمَ عَبدٌ ما كُتِب له؛ قال سبحانَه: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يُغْنِي ضعيفَ الحواسِّ والبَدَن، ويُفقِرُ قوِيَّ الجَسَدِ والمدارك، يختارُ لهم مِنَ الرِّزق ممَّا فِيه صلاحُهُم وابتلاؤُهُم: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾، وما مَنَع عبدَه إلَّا ليُعطِيَه، ولا ابتلاه إلَّا ليُعافِيَه، لا يمنَعُ عبدَه المؤمنَ شَيئاً من الدُّنيا إلَّا ويُؤتيه أفضلَ منه، ولا يُغلِق عليه باباً إلَّا ويَفتَحُ له أبواباً أخرَى أنفعَ له منه.

وهو سبحانه ضَمِن رزقَ العبد، وجَعَلَ لرزقِهِ أسباباً أوجَبَ على العبد فِعلها مع تَوكُّل القلبِ على اللَّه في حُصُولِها.

والإسلامُ يأمرُ بالعملِ ويَحُثُّ عليه، ويَنْهى عن الكسل ويَزْجُر عنه؛ قال ﷺ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلاً فَيَسْأَلَهُ، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ» (رواه البخاري).

ومَنْ فَعَلَ السَّبَبَ وعلَّقَ أطماعَهُ بالبَشَر في تحقيقِ مَأمُولِه؛ خُذِل، قال سبحانه: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ رَجَا رِزْقاً مِنْ غَيْرِ اللَّهِ؛ خَذَلَهُ اللَّهُ».

والخلقُ لا ينفعون إلَّا بأمر اللَّه، ولن يضُرُّوا إلَّا بإذن اللَّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» (رواه الترمذي)، قال الفضيل بنُ عياضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ عَرَفَ النَّاسَ اسْتَرَاحَ - أَيْ: أَنَّهُمْ لَا يَنْفَعُونَ وَلَا يَضُرُّونَ -»، فما دامَ الأجلُ باقياً كانَ الرِّزقُ آتياً، ولَن تَمُوتَ نفسٌ حتى تَسْتَكْمِلَ رِزقَها، قال بعضُ السَّلف: «مَا اهْتَمَمْتُ بِالرِّزْقِ وَلَا تَعِبْتُ فِي طَلَبِهِ مُنْذُ سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾».

كم مِنْ سَبَبٍ سعيتَ فيه فقُدِّر لغيرك؟! وكم مِن أمرٍ سَعى فيه غيرُك له فقُدِّرَ لَك؟! فتوكَّلْ على اللَّهِ في الرِّزْق، وامْلأْ قَلبَكَ من الثِّقةِ به ورجائِه وحُسنِ الظَّنِّ به، قال ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» (متفق عليه).

ومَنْ فوَّضَ أمرَه إلى اللَّهِ؛ كَفَاه مَا أَهَمَّه وكَشَف عنه ما أَغمَّه، وهو سبحانه الكَرِيمُ المُتفضِّل على عِبادِه بالإنعامِ والإكرامِ: ﴿وَمَا بِكُم

مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾، خَزائنُ الأَرزاقِ بِيَدِه وحده، ويمينُه مَلْأَى «**لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، قال ﷺ: «**أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ**» (متفق عليه)، وكَرَمُه وعطاؤُه دائِمٌ لا انقِطاعَ له: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾.

وهو سبحانه الرَّزَّاق ذُو القوَّةِ المَتِين، أرْغَدَ على قُرًى وأمصارَ بنِعَمٍ تتدفَّق إليها؛ قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ﴾، وتفضَّل على سَبَأ بجَنَّتَيْن عن يمينٍ وشمالٍ تَسُرُّ النَّاظِرين، وأنزل على بني إسرائيلَ - وهم في أرضٍ جَرْداءَ - المَنَّ والسَّلوى، وقال لهم: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ﴾.

ومنَحَ أيُّوبَ جَرَاداً من ذَهَبٍ بعد طول بلاءٍ وشِدَّةِ عناء، وأَلَانَ لِدَاوُدَ الحَدِيد، وسخَّر معه الجبالَ تُؤَوِّبُ معَهُ والطَّير، وعلَّم سليمانَ مَنطِقَ الطَّير، وأمرَ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ، وقوَّاه بجنودٍ مِن إنسٍ وجنٍّ وطيرٍ، ووهبَهُ مُلْكاً لن يَناله مَنْ بعدَه؛ قال: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾، قال اللَّه له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾، ومكَّنَ لِذِي القَرْنَيْنِ في الأرضِ وآتاه من كلِّ شيءٍ سبباً، وساق إلى مريم رزقَها وهي في مُصلَّاها.

وضَمِن رزقَ الصَّغيرِ والكبير: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ﴾، لم يَدَعْ مخلوقاً إلَّا ورزَقه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَبْعَثُ إِلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الرِّزْقِ مَا يُصْلِحُهُ».

وكَتَبَ سبحانَه رزقَ كلِّ عبدٍ وهو في بطن أمِّه قبلَ نفخِ الرُّوح فيه، وجعَل الرِّزقَ يَطْلُبُ صاحِبَه كما يَطْلُبُه أَجَلُه، وسيأتي ما قُدِّر له على ضعفه، ولَنْ يَنالَ ما لم يُقدَّرْ له مع قوَّتِه، ولو هرب من الرِّزق لأدركَه كما يدركُه الموت.

تابَعَ جَلَّ وَعَلَا على العِبادِ أرزاقَهم، وأمرهم بتذكُّر أفضالِهِ عليهم؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾؛ فأيقن الرُّسُلُ بذلك، وقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، وقالت مريمُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وأغدق آلاءَهُ على عباده؛ فأقرَّ الجميعُ بأنَّه هو الرَّزَّاقُ وحده: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَتَأَمَّلْ ظُهُورَ اسْمِ «الرَّزَّاقِ» فِي الخَلِيقَةِ وَكَيْفَ وَسِعَهُمْ رِزْقُهُ؛ تَرَ مَا تَعْجَبُ مِنْهُ العُقُولُ»، فلا تُشغِل هَمَّكَ بما ضُمِن لك من الرِّزق، فرزقُكَ لا يغدو لغيرِك، ورِزقُ غيرك لن يصِلَك: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ﴾، لا يأكُلُ أحدٌ رِزقَ أحَدٍ ولا يزاحمُه فيه؛ قال سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾، قال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لَنْ يَأْكُلَه غَيْرِي؛ اطْمَأَنَّ قَلْبِي».

والدُّعاءُ بابُ الرِّزقِ المفتوح، أمر الكريم عبادَه بمُنَاجَاتِه في الرِّزْق؛ لِيَنَالُوا إِنْعَامَه؛ فقال سبحانه: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ﴾،

وأمرَهُم أن يَسأَلُوه حتى اللُّقمَةَ والكسوَة؛ قال ﷺ فيما روى عن اللَّهِ تبارك وتعالى أنَّه قال: «يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ» (رواه مسلم).

والأنبياءُ لجؤوا إلى اللَّه؛ لينالوا فضله ورزقَه، فقال عيسى ﷺ: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً، وَرِزْقاً طَيِّباً، وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً» (رواه ابن ماجه)، وكان النَّبيُّ ﷺ يُعَلِّم مَنْ أسلم أَنْ يقولَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي» (رواه مسلم)، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «يَنْبَغِي لِلْمُهْتَمِّ بِأَمْرِ الرِّزْقِ أَنْ يَلْجَأَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُوَهُ».

ومَنْ أصلَحَ آخِرتَه صَلَحَتْ دنياه، ولا يُنال ما عندَ اللَّه إلَّا بطاعتِه؛ قال جل وعلا: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾، قال أبو الدَّرداء رضي الله عنه: «صَلَاحُ المَعِيشَةِ مِنْ صَلَاحِ الدِّينِ، وَصَلَاحُ الدِّينِ مِنْ صَلَاحِ العَقْلِ، وَبِالطَّاعَةِ يُرْزَقُ العَبْدُ»، قال ﷺ: «إِنَّ الكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً، أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا المُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقاً فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ» (رواه مسلم).

والمُتَّقِي يُرزَقُ مِنْ حيث يَحتَسِب ومن حيث لا يَحتَسِب بأسبابٍ مُباحة، ويكون كَسبُه طيِّباً سهلاً مباركاً؛ قال جل وعلا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل

لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، وغيرُ المسلِم قد يُرزَق لكن بتكلُّفٍ أو بأسبابٍ محرَّمة، وتُنزَع البركةُ من ماله.

والاستغفارُ يزيد في الأموالِ والأولادِ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾، قال بعضُ السَّلف: «آثَارُ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ عَلَى القُلُوبِ وَالأَبْدَانِ وَالأَمْوَالِ أَمْرٌ مَشْهُودٌ فِي العَالَمِ».

والصَّلاةُ رِزقٌ للعبدِ من غير حُسبان؛ قال سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ﴾، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ أَتَاكَ الرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ».

والصَّدقةُ تنمِّي المالَ وتُضَاعِفُه؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! أَنْفِقْ؛ أُنْفِقْ عَلَيْكَ» (متفق عليه).

وصِلةُ الأرحام مَثْرَاةٌ للمال؛ قال النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (متفق عليه).

والصِّدقُ في المعامَلَةِ بَرَكَةٌ في المالِ؛ «فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا؛ بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا» (متفق عليه).

وتَفريجُ هموم المسلمين وقَضاءُ حوائِجِهم يُيَسِّر ما استَصعَبَ من الكَسب ويحقِّق المأمول، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ» (متفق عليه).

وطالِبُ الرِّزقِ مُعانٌ من اللَّه ما أعانَ غيرَه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَاللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**» (رواه مسلم).

والقربُ مِنَ الضُّعفَاء والمَساكِين يفتَحُ أبوابَ الرِّزْق؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ**» (رواه الترمذي).

وإنْ أتاك المالُ مِن كسبٍ حلالٍ؛ فخُذْه بسَخاوَة نفسٍ لِيُبارِكَ لك فِيه، وإنْ رُزِقتَ فلا تجحد نِعَمَ اللَّه عليك، قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾، وبِشكرِ النِّعمةِ المُسدَاة يَزيد الخيرُ والإنعامُ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، ومَن لم يَشْكُرِ النِّعمةَ سَلبَه اللَّهُ إيَّاها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

وكلُّ نَقصٍ فَسَبَبُه الذُّنوبُ، وما استُجْلِبَ رِزقُ اللَّه بمثلِ تَركِ معاصيه؛ قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾، ويُحرَمُ العبدُ الرِّزقَ بالذَّنبِ يُصيبُه، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَضِيقُ الرِّزْقِ عَلَى عَبْدٍ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ قَدْ يَكُونُ لِمَا لَهُ مِنْ ذُنُوبٍ وَخَطَايَا».

والشُّحُّ والبُخل يمنعان العطاءَ من اللَّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا تُحْصِي؛ فَيُحْصِي اللَّهُ عَلَيْكِ**» (متفق عليه)، وقال النَّبيُّ ﷺ لأسماءَ بنتِ أبي بكر: «**لَا تُوكِي؛ فَيُوكَى عَلَيْكِ**» (رواه البخاري)، قال الجَزرِيُّ رحمه الله: «أَيْ: لَا تَدَّخِرِي وَتَشُدِّي مَا عِنْدَكِ، وَتَمْنَعِي مَا فِي يَدِكِ؛ فَتَنْقَطِعَ مَادَّةُ الرِّزْقِ عَنْكِ».

والغَنيُّ غنيُّ النَّفس، وإن لم يملك مالاً؛ قال ﷺ: «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ - أَيْ: كَثْرَةِ المَالِ -، وَلَكِنَّ الغِنَى: غِنَى النَّفْسِ» (متفق عليه)، ومَنْ قَنِع بما قُسِم له؛ فهو من أغنى النَّاس؛ قال ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفافاً، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» (رواه مسلم)، وسَعَةُ الرِّزقِ ليسَت في كثرتِه؛ إنَّما هي بالبركة فيه.

وفي صُحبَة مَنْ هو دونَك يظهر لك قدر النِّعَم، قال عوفُ بن عبد اللَّه رحمه الله: «صَحِبْتُ الأَغْنِيَاءَ فَلَمْ أَرَ أَحَداً أَكْبَرَ هَمّاً مِنِّي؛ أَرَى دَابَّةً خَيْراً مِنْ دَابَّتِي، وَثَوْباً خَيْراً مِنْ ثَوْبِي، وَصَحِبْتُ الفُقَرَاءَ؛ فَاسْتَرَحْتُ».

والحرصُ يُقمَعُ بالقناعة، والطَّمَعُ دواؤُه الرِّضا والتَّسليم؛ قال إبراهيمُ الحَرْبِيُّ رحمه الله: «اتَّفَقَ العُقَلَاءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ: أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَمَشَّ مَعَ القَدَرِ لَمْ يَتَهَنَّأْ بِعَيْشٍ».

ولا تحسِد ذا نعمةٍ على فضلِ اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

ومِنْ عَلَامةِ سَعَادةِ العبدِ: اهتمَامُه بأوامر اللَّه دونَ مَا ضُمِن له مِنَ الرِّزق، والدُّنيا دارُ ممرٍّ، والتَّفاضلُ الحقيقيُّ فِي الرِّزق إِنَّما هو فِي دَرَجَاتِ الآخرة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وصحبِه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

مَنْ عَلِمَ أَنَّ الرِّزقَ قَد فُرِغَ منه لم يَيْأَسْ على ما فاتَ منه، ولا يَحملَنَّكَ استبطاءُ الرِّزق على أن تطلبَه بمعصية اللَّه.

وخيرُ العَيْشِ: ما لا يُلْهي ولا يُنْسِي، وأَرْبَحُ النَّاسِ مَنْ جَعَلَ المَالَ وَسيلَةً إلى اللَّه والدَّارِ الآخِرَة، وأَخْسَرُهُم مَنْ توسَّلَ به إلى هواه ونيلِ شهواته.

وما ادُّخِر للمُؤْمِنِ من رِزْقٍ في الآخِرَة خيرٌ ممَّا مُتِّع به أهلُ الدُّنيا؛ قال ﷻ: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾، والغَنيُّ مَنِ اسْتَغْنَى عن النَّاسِ وافتقر إلى اللَّه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

اسْمُ اللَّهِ: السَّلامُ، وَمُقْتَضَاهُ فِي الخَلْقِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

أسماءُ اللَّه حُسنَى وصِفاتُه عُلَا، وآياتُه سبحانه الكونيَّةُ والشرعيَّةُ دالَّةٌ على ذلك شاهِدةٌ به، وجميعُ الأسماءِ والصِّفاتِ مُقتضِيةٌ لآثارِها مِن العبوديَّةِ والأمرِ اقتِضاءَها لآثارها مِن الخلقِ والتَّكْوِين، ولكلِّ اسمٍ وصفةٍ عُبُوديَّةٌ خاصَّةٌ هي مِن لَوازِمِها ومُوجِبات العِلْمِ والإيمَانِ بها؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

والسَّلامُ اسمٌ له تعالى، شامِلٌ لجميعِ صِفاتِه، دالٌّ على تنزيهِ

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث والعشرين من شهر محرَّم، سنة تسع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الرَّبِّ وتقديسِه وبراءَتِه مِن كلِّ عيبٍ، وتعالِيه عما لا يَلِيقُ بجلالِه وكمالِه وعظمتِه، سَلِمَ مِن كلِّ آفةٍ، وبَرِئَ مِن كلِّ نقصٍ؛ فهو السَّلامُ مِن جميعِ العيُوبِ والنَّقائِصِ لكَمالِه في ذاتِه وأسمائِه وصِفَاتِه وأَفْعَالِه؛ قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

واسْتِحقَاقُه سبحانه لهذا الاسمِ أكملُ مِن استِحقاقِ كلِّ ما يُطلَقُ عليه، وهذا هو حقيقةُ التَّنزيهِ الذي نزَّه اللَّه به نفسَه ونزَّهَه به رسولُه ﷺ؛ فهو السَّلامُ مِن الصَّاحِبة والولَد، والسَّلامُ مِن الكُفْءِ والنَّظيرِ والسَّمِيِّ والمَثِيل، والسَّلامُ مِن النِّدِّ والشَّرِيك، حياتُه ﷻ سلامٌ مِن الموتِ والسِّنَةِ والنَّوم، قائِمٌ على خلقِه، سَلامٌ مِن التَّعَبِ والعَجزِ واللُّغوب، وعِلمُه سلامٌ مِن الجهلِ والذُّهُولِ والنِّسيَان، وكلِماتُه عدلٌ وصِدقٌ، سلامٌ مِن الكذِبِ والظُّلم، وكلُّ صِفاتِه سلامٌ مما يُضادُّ كمالَها أو يُوهِمُ النَّقصَ فيها.

وكما أنَّه السَّلامُ في ذاتِه وأسمائِه وصِفاتِه؛ فمِنه تعالى كلُّ سلامٍ وأمنٍ، ومِنه يُطلَبُ السلامُ، ومَنِ ابتَغَى السَّلامةَ عند غيرِه لم يجِدْها، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يُحقِّقُ هذا الاسمَ وما اشتَمَلَ عليه مِن صِفةِ السَّلامة، فكان إذا انصَرَفَ مِنْ صَلَاةٍ مفرُوضةٍ اسْتَغْفَرَ ثلاثاً، وقال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**» (رواه مسلم).

سلَّمَ سبحانه أولياءَه مِن عُقُوبتِه، وسَلَّمَ جَمِيعَ الخَلْق مِن الظُّلْم الَّذِي تَنزَّهَ عنه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

ولأنه السَّلامُ، ومِنه كلُّ سلامةٍ، فلا يُقال: السَّلامُ على اللَّهِ؛ «**فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ**» (رواه البخاري).

سَلَّم على أنبيائِه ورُسُلِه لِسَلامةِ ما قالُوه مِن النَّقصِ والعَيْب؛ قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وكتبَ السَّلامَ لعبادِه الصَّالِحين؛ فقال: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾.

وخصَّ مَنْ شاءَ بفضلِه مِن خلقِه بالسَّلامِ عليه في العَالَمِين؛ كنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وسلَّم على إبراهيم وموسى وهارونَ وإلْ ياسِين، وأكرمَ اللَّه نبيَّه يحيَى وخصَّه بالسَّلام في ثلاثةِ مواضِعَ - هي أوحشُ ما يكُونُ الخلقُ فيها -: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾، وأمرَ اللَّه المُؤمنين بالسَّلام على نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾.

وسلَّم اللَّهُ وجبريلُ على خديجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لِخدْمَتِها الفذَّةِ للنَّبيِّ ﷺ، ونصرتِها له؛ «أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا** عَزَّ وَجَلَّ**، وَمِنِّي**» (متفق عليه)، كما سَلَّمَ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ على عائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لِعلْمِها وكَمَالِ عَقلِها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَا عَائِشُ! هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ**» (متفق عليه).

وكلُّ مُصلٍّ في تشهُّدِه يُسلِّمُ على النَّبيِّ ﷺ وعلى الصَّالحين؛ «**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ**» (متفق عليه).

ومَن دخل بيتاً شُرِعَ أن يُسلِّمَ على أهلِه؛ فإنَّها تَحيَّةٌ مُباركةٌ طيِّبةٌ؛ قال سبحانه: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: فَلْيُسَلِّم بعضُكم عَلَى بعضٍ: ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾، قال القُرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَصَفَهَا بِالبَرَكَةِ؛ لِأَنَّ فِيهَا الدُّعَاءَ وَاسْتِجْلَابَ مَوَدَّةِ المُسَلَّمِ عَلَيْهِ، وَوَصَفَهَا أَيْضاً بِالطِّيبِ؛ لِأَنَّ سَامِعَهَا يَسْتَطِيبُهَا».

وشرَعَ تعالى لعبادِه دِيناً فِيه الهدى والسَّلام؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، أحكامُه وعقائِدُه سالِمةٌ مِن الزِّيادةِ والنُّقصان، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، في اتِّباعِ هذا الدِّينِ السَّلامةُ في الدُّنيا والآخرة؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

ومُنتهَى أهلِه الجنَّةُ دارُ السَّلام؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

ومَنْ أرادَ الأَمْنَ والسَّلامَ في نفسِه وأهلِه ومُجتمعِه فعليه بدينِ الإسلام؛ فعقائِدُه وشرائِعُه أمنٌ وسعادةٌ، وأُنسٌ واطْمِئنانٌ، وكلَّما زادَ تحقيقُ الإِسْلَام في مُجتمعٍ: عمَّ فِيه الأمنُ والسَّلامُ؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

وسلامُ هذا الدِّينِ شامِلٌ لجميعِ الخلقِ بعِزَّةٍ وعلُوٍّ، فنُفُوسُ أهلِه وأموالُهم وأعراضُهم معصُومة؛ قال النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا**

الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؛ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» (متفق عليه).

الإسلامُ دينُ أمانٍ، فأنفُسُ أَهلِ الذِّمَّةِ والعَهْدِ والمُسْتَأمَنِين مَعصُومة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً؛ لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ» (رواه البخاري)، ومَنْ أخافَ مَعصُوماً ولو بالإشارةِ فقد تَوعَّدَه اللَّه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ؛ فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ» (رواه مسلم)، بل إنَّ البهائِمَ والدَّوابَّ كفَلَ الإسلامُ لها عيشَها وأمنَها وسلامَها، فـ«دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ» (متفق عليه)، وبَغيٌّ سقتْ كلباً؛ «فَغُفِرَ لَهَا بِهِ» (متفق عليه).

والمسلمُ مأمُورٌ بنشرِ السَّلامِ بين الخلقِ بقولِه وفِعْلِه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «المُسْلِمُ: مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» (متفق عليه).

وأعظَمُ عَمَلٍ للسَّلامِ هو الدَّعوةُ إلى اللَّه، وتعريفُ النَّاسِ بِرَبِّهِم ونَبِيِّهم ودِينِهم؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، وأثنى اللَّه على مَنْ سالَمَ الجاهِلَ وقابلَ المُسيءَ بالإحسان؛ فقال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾.

ومِنْ شَعَائِرِ هذا الدِّينِ تحيَّةُ السَّلامِ؛ بذِكرِ اسم اللَّه تعالى السَّلام، وطلبِ السَّلامَةِ مِنه تعالى، مع العَهْدِ بالأَمَانِ؛ أن لا ينالَ المُسلَّمَ عليه شرٌّ أو أذًى مِن المُسلِّم، وهو أوَّلُ خِصالِ التَّآلُفِ، ومِفتاحُ استِجلابِ المودَّة، وفي إفشائِه أُلفةُ المُسلِمين بعضِهم ببعضٍ، وإظهارُ شِعارِهم

المُميِّزِ لهم بينَهم، وإلقاءُ الأمنِ والطُّمأنينةِ بينَهم، ودليلُ التَّواضُعِ والتَّواصُلِ بسببِ الإسلام، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا حَسَدَتْكُمُ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ» (رواه ابن ماجه).

وهي التَّحيَّةُ الَّتي ارتضاها اللَّهُ لآدمَ وذرِّيَّتِه؛ قال النَّبيُّ ﷺ عن أوَّلِ خلْقِ آدم: «فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ المَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ» (متفق عليه)، ورغَّبَ الإسلامُ في البَدءِ بها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ: مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ» (رواه أبو داود).

وأُمِرَ النَّاسُ بإفشائِها، قال البراءُ بن عازبٍ رضي الله عنه: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعٍ - وذكر منها -: إِفْشَاءُ السَّلَامِ» (متفق عليه)، وهو مِن وسائلِ نشرِ الإسلام؛ قال عبد اللَّه بن سَلَامٍ رضي الله عنه: «لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ، جِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ» (رواه الترمذي)، قال النَّوَوِيُّ رحمه الله: «إِفْشَاءُ السَّلامِ: إِشَاعَتُهُ وَإِكْثَارُهُ، وَأَنْ يَبْذُلَهُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

وأمَرَ اللَّهُ بردِّ السَّلام بمِثلِه أو أحسَنَ منه؛ فقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «الزِّيَادَةُ مَنْدُوبَةٌ، وَالمُمَاثَلَةُ مَفْرُوضَةٌ».

السَّلامُ مِن خير خِصالِ الإسلام وأفضلِ شُعَبِه؛ سأَلَ رجُلٌ النَّبيَّ ﷺ: «أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**» (متفق عليه)، قال ابنُ رجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا أَفْضَلُ أَنْوَاعِ إِفْشَاءِ السَّلَامِ»، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحَاجَةُ إِلَى إِفْشَاءِ السَّلَامِ وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ أَهَمُّ وَأَكْثَرُ؛ لِمَا يَحْصُلُ مِنْ إِهْمَالِهِمَا وَالتَّسَاهُلِ فِي أَمْرِهِمَا».

ومَنْ أَدَّى السَّلامَ كُتِبَتْ له عشرُ حسناتٍ إلى ثلاثين حسنة؛ جاء رجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **عَشْرٌ**، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: **عِشْرُونَ**، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: **ثَلَاثُونَ**» (رواه أبو داود).

وابتِداءُ السَّلام وردُّه مِن حُقُوق المُسلم على أخيه المُسلم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ** - وَذَكَرَ مِنْهَا -: **إِذَا لَقِيتَهُ؛ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ**» (رواه مسلم)، وفي لفظ: «**رَدُّ السَّلَامِ**» (متفق عليه).

السَّلامُ هو دواءُ المُتهاجِرين، وخيرُهما مَنْ يبدأُ به؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ؛ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**» (متفق عليه).

ولا يكمُلُ الإيمانُ ولا يَصْلُحُ الحالُ فيه إلَّا بالتَّحابِّ؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا**

تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (رواه مسلم)، وكان الصَّحابةُ ﷺ يعُدُّون ذلك مِن الإيمان؛ قال عمَّارُ بن ياسرٍ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِك، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنْ الإِقْتَارِ».

في السَّلامِ حُلُولُ الخير والبركة؛ قال تعالى: ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾، وردُّ السَّلامِ مِنْ حقِّ الطَّريقِ لِمَنْ جلَسَ فِيه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ! فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ» (متفق عليه).

ومِن آدابِه: أن يُسلِّمَ الصَّغيرُ على الكبيرِ، والرَّاكِبُ على الماشِي، والماشِي على القاعِدِ، والقليلُ على الكثيرِ، ويُشرَعُ تكرارُ السَّلامِ عند الحاجةِ لذلك؛ قال أنسٌ ﷺ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا سَلَّمَ؛ سَلَّمَ ثَلَاثاً» (رواه البخاري).

والسَّلامُ على الصِّبيَان سُنَّةٌ، وفي ذلك سُلُوكُ التَّواضُع، ولِينُ الجانِبِ معهم، وتدرِيبُهم على آدابِ الشريعَةِ؛ مرَّ أنسُ بن مالكٍ ﷺ على صبيانٍ فسلَّمَ عليهم، وقال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ» (متفق عليه).

وكما أنَّ السَّلامَ مشرُوعٌ في الطُّرُقات، فهو مشرُوعٌ في المجالِسِ عند دخُولِها والخروجِ مِنها؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى

المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ؛ فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ» (رواه أبو داود).

وتحيَّةُ الإسلام بالسَّلام خاصَّةٌ بالمُسلمين؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «لَا تَبْدَؤُوا اليَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ» (رواه مسلم)، و«إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ؛ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ» (متفق عليه).

ويُستحبُّ رفعُ الصَّوتِ بالسَّلام بقَدرِ ما يتحقَّقُ السَّلامُ؛ قال ابن عُمر رضي الله عنهما: «إِذَا سَلَّمْتَ فَأَسْمِعْ؛ فَإِنَّهَا تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ»، و«كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَدْخُلُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيماً لَا يُوقِظُ نَائِماً، وَيُسْمِعُ اليَقْظَانَ» (رواه مسلم)، ولا يمنَعُ مِن السَّلامِ وردِّه إلَّا الخُطبة؛ لوُجوب الإنصاتِ فِيها، وكذلك حين قضاءِ الحاجة، فإنَّه ليس موضِعَ تحيَّةٍ وذِكرٍ.

والسَّلامُ أمانٌ ودُعاءٌ، ومِن جمالِ الإسلام وكمالِه: أَنْ سَنَّ ذلك للأَحياء والأموات، وليس أحدٌ أحوجَ إلى الدُّعاء ممَّن فارَقَ الحياة، وكان مِن هَديِهِ ﷺ إذا أتَى المقبَرةَ يقولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ» (رواه مسلم).

وتَحِيَّةُ المُؤمنين مِن ربِّهم في الآخرة سلامٌ؛ قال ﷻ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾، ومنزِلُهم الجنَّةُ دارُ السَّلام، فلا مَوْتَ فيها ولا أحزان، ولا هُمومَ ولا أسقام؛ قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، ويُقالُ لهم: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾، وتُفتَّحُ لهم أبوابُ الجنَّة، ويستقبِلُهم خزنَتُها قائِلين: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾،

وإذا دخلُوها قال سبحانه: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۞ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾، وإذا تنعَّمَ أهلُ الجنَّة بما أنعَمَ اللَّه عليهم فيها، فكمالُ نعيمِهم بالنَّظَر إلى ربِّهم وسلامِه عليهم؛ قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فدِين الإسلام دينُ سلامٍ، شامِلٌ لجميعِ تعالِيمِ الحياة، صالِحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، وفي أحكامِه استِقامةُ أمرِ الدُّنيا والآخرة وسعادةُ البشريَّة، يدعُو بالسَّلامِ إلى الإسلام، ويَكفُلُ الرَّحمةَ بين الخلقِ، ويَهدِي في كلِّ أمرٍ للَّتِي هي أقوَم، مَنْ تَمسَّكَ به فازَ وعزَّ، ونالَ رِضَا المولَى.

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

العلمُ بأسماءِ اللَّه وصِفاتِه أشرفُ العلوم، وبه مَحبَّةُ اللَّه وتَعْظِيمُه وخَشْيَتُه ورَجاؤُه، وكلَّما زادَ علمُ العبدِ بذلك عظُمَ إقبالُه على اللَّه، ولزِمَ أمرَه ونهيَه.

والعُبوديَّةُ بجميع أنواعِها راجِعةٌ إلى مُقتضَيَات أسماءِ اللَّه وصِفاتِه، وغايةُ السَّعادة ونَيلُ الدَّرجات العَالِيَة في السَّير إلى اللَّه مِن هذا الطَّريقِ؛ فهو سبحانه السَّلام فيَجب تَنزيهُه من جميع العُيوب وخلل الأوصاف، وهو سبحانه يُحِبُّ أسماءَه وصِفاتِه، ويُحبُّ ظُهورَ آثارِها ومُقْتَضَاها في خلقِه؛ فعلى المسلم أن يكون نافعاً للخلق مُسَالِماً لعِبادِ اللَّه المؤمنين.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

رِضَا اللَّه [(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

أسماءُ اللَّه حسنى وصفاته عُلَا، وله سبحانه في كلِّ ذلك المثلُ الأعلى، والإيمانُ بها ركنُ التَّوحيد وبه صَلَاحُ العَمَل، ومِنْ صِفَاتِ اللَّه التي نَطَقَ بها الكِتابُ والسُّنَّة: **صِفَة الرِّضَا**، فهو تعالى يَغْضَبُ ويَرْضَى لا كأحدٍ من الوَرَى، وعلى إثباتها مَضَى الصَّحَابةُ والتَّابعُون وسلفُ الأُمَّة.

وطلبُ رضا اللَّه وحدَه هو الغاية التي شمَّر إليها أنبياء اللَّه

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس من شهر صَفَر، سنة إحدى وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وأولياؤه وعباده الصَّالحون؛ قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

فإسماعيلُ عليه السلام أثنى اللَّهُ عليه في كتابه بالفوز برضاه؛ قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۞ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾.

وموسى عليه السلام وعدَه ربُّه جانبَ الطُّور، فبادَر إليه طمعاً في رضاه؛ قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

ودعا سليمان عليه السلام ربَّه أن يُلْهِمَه فِعْلَ ما يُرضيه؛ فقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾.

وزكريا عليه السلام نادى ربَّه أن يرزقه ولداً يَرضى اللَّه عنه؛ فقال: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.

ووصف اللَّه نبيَّنا مُحَمَّداً ﷺ وأصحابَه بإحسان العمل ابتغاء رضوان اللَّه؛ قال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾.

ولأجل ذلك فارق المهاجرون أوطانهم؛ قال ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾.

والمُؤمنُ يَتوسَّلُ برضا اللَّه لِيُعيذَه مِنْ سَخَطِه، كما اسْتَعَاذَ عليه الصلاة والسلام بقوله: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ**» (رواه مسلم).

ومدارُ صلاح الأعمال وقبولها على إخلاص النِّيَّة للَّه فيها بطلبِ رضوانه؛ قال تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾.

والنَّفقةُ تُقبلُ ويُباركُ فيها إذا ابتغى بها صاحبُها رضوانَ اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وعظَّم اللَّهُ حرمةَ مَنْ قَصد بيتَ اللَّه الحرام ابتغاءَ مرضاة اللَّه؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ﴾.

والمُسلمُ مُلَازِمٌ لطلبِ رضا اللَّه في سفرِه وإقامتِه، وفي أفراحِه وأحزانِه، وفي كلِّ أحواله؛ ففي السَّفر يَسْتَفْتِحُ سَفَرَه بسؤال اللَّه تيسير ما يُرضيه، فيقول: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا البِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ العَمَلِ مَا تَرْضَى**» (رواه مسلم).

وإذا حلَّت به مصيبةٌ لا يكون منه إلَّا ما يرضى اللَّهُ به عنه؛ مات إبراهيم - ابن رسول اللَّه ﷺ - فقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**» (متفق عليه).

ومِنْ رحمة اللَّه وكرمِه أَنْ شرع لعباده ديناً رَضِيَه لهم؛ قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾.

وفي امتثال دين الإسلام موجباتُ رضا الرَّحمَن، فبالإيمان به: سعادة الدُّنيا والآخرة، ويُورِث العبدَ رضا مولاه؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۞ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾.

ومَنْ آمَنَ وعَمِلَ صَالحاً فقد سَلَك سبيل الرِّضا؛ قال ﷻ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

والتَّوحِيدُ الذي هو إفراد اللَّه بالعبادة أَجلُّ عَمَلٍ عند اللَّه، واللَّهُ يرضى لعباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن يعتصموا بحبله جميعاً ولا يتفرَّقوا؛ قال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثاً، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثاً؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفرَّقُوا**» (رواه مسلم).

ومَنْ حقَّق التَّوحِيدَ رضيَ اللَّه عنه؛ قال سبحانه: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾.

ومَنْ نصرِ دين اللَّه أيَّده اللَّه ورضي عنه؛ قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾.

والصِّدْقُ أَصلُ الإيمان ودليلُه، وبه ينتفعُ العبدُ في دنياه وآخرته: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

والشُّكرُ قَيْدُ النِّعَمِ، وبه تدومُ وتزيد، ومن عظيم ثوابِه: رضا اللَّه عن أهله، في حديث الثَّلاثة من بني إسرائيل - الأبرَص، والأقرَع، والأعمى -، قال: فأتى الملَكُ الأعمى، فقال: «رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفرِي، فَلَا بَلَاغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي، وَفَقِيراً فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» (متفق عليه).

والعبدُ لا غنى له عن الطَّعام والشَّراب، ومن فضل اللَّه أن اللَّه يُطعِمُ العبدَ ويَسقيه، وإذا شَكَرَ الرَّبَّ على ذلك رضيَ اللَّه عنه؛ قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» (رواه مسلم).

والدُّنيا مَحْفُوفةٌ بالبلاء والكَدَر، ومَنْ صَبَر على بلائها ظَفَر؛ قال ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» (رواه الترمذي).

واللِّسانُ مفتاحٌ للخيرِ والشَّرِّ، وبالكلمة الطيِّبة يُدركُ المرءُ رضا خالقه، قال ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ» (رواه البخاري).

وكما أنَّ اللَّهَ يُحبُّ طهارة الباطن فهو يَرضى عن طهارة الظَّاهر؛ قال ﷺ: «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» (رواه النسائي).

وإذا قامت السَّاعة: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، ولا يَشْفَعُ أحدٌ إلَّا بإذن اللَّه ورضاه عن الشَّافع: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾، ولا تنفع الشَّفاعة إلَّا لِمَنْ رضي اللَّه عنهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾.

وفي الجنَّة يَنْعَمُ المؤمنون بنعيمٍ لا نظيرَ له، ورضا اللَّه عن أهل الجنَّة يَفوقُ ما فيها؛ قال ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وإذا رضي اللَّه عن أهل الجنَّة لا يسخط عليهم أبداً؛ قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ! يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ؟ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ! وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي؛ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً» (متفق عليه).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالفوز كلُّه في التَّمسُّك بالدِّين، وهو الجالب لرضا اللَّه، ومَنْ لَزِم ما يُرضي اللَّهَ رضيَ اللَّه عنه وأرضاه، وإذا الْتَمس العبدُ رضا ربِّه وآثَرَهُ على كلِّ ما سواه؛ فإنَّ اللَّه يَرضى عنه ويُرضي عنه النَّاس، ومَنِ الْتَمس رضا النَّاس بِسَخطِ اللَّه؛ سَخِط اللَّه عليه وأَسْخَط عليه النَّاس.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِهِ وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى عليه وعلى آله وأصحابه تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مَنْ رضيَ اللَّهُ عنه أكرمَه بأعلى نعيمٍ في الجنَّة؛ قال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، والزِّيادة: هي النَّظر إلى وجه اللَّه الكريم، كما فسَّر ذلك النَّبيُّ ﷺ.

وإذا نظَر المؤمنون إلى ربِّهم كان أحبَّ إليهم من كلِّ شيء؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ**، قَالَ: **يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟** قَالَ: **فَيُكْشَفُ الحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ** عز وجل» (رواه مسلم).

وإذا نظر المؤمنون لوجه اللَّه الكريم ازدادوا جمالاً وبهاءً؛ قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، قال الحسن رحمه الله: «نَظَرَتْ إِلَى رَبِّهَا فَنَضِرَتْ بِنُورِهِ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

غَضَبُ الرَّبِّ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه تعالى، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّهِ - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه نجا، ومَنْ أَعْرَضَ عن ذِكْرِه هوى.

أيُّها المسلمون:

تَعَرَّفَ اللَّهُ إلى خَلْقِه بما جاء في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وله تعالى المثلُ الأعلى في أسمائه وصفاته، وتَدبُّرُ الصِّفات والتَّعبُّدُ له بها: طريقُ محبَّتِه وجنَّتِه، ووسيلةٌ إلى معاملته بثمراتها من الخوفِ والرَّجاءِ والمَحبَّةِ والتَّوكُّلِ وغيرِ ذلك.

وعقيدةُ سَلَف هذه الأُمَّة: إثباتُ ما نطَق به الكِتَابُ والسُّنَّةُ من أسمائه وصفاته، ومِنْ صِفاتِ اللَّه الموجبة لخشيته والخوف منه ﷻ:

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع من شهر ذي القَعدة، سنة أربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

صِفَةُ الغَضَب؛ فاللَّهُ يَغْضَبُ ويَرْضَى لا كأَحَدٍ من الوَرَى، ولكلِّ صفةٍ من صفاته سبحانه أثرُها في الخَلْق، ومن آثار صفة غضب اللَّه: عقوبات الدنيا العامة وبلاؤها؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾؛ أي: هَلَكَ، قال سفيان بن عُيَيْنَة رَحِمَهُ اللَّهُ: «غَضَبُ اللَّهِ الدَّاءُ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ».

وسَخطُ اللَّهِ قد يُورِثُ حبوطَ عمل العبد؛ قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾، وإذا غَضِبَ اللَّهُ على قومٍ انتقَم منهم؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أي: أَغْضَبونا ﴿ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالعَذَابُ إِنَّمَا يَنْشَأُ مِنْ صِفَةِ غَضَبِهِ، وَمَا سُعِّرَتِ النَّارُ إِلَّا بِغَضَبِهِ».

عاقَب اللَّهُ به أقواماً وذكر لنا منهم خبراً لِنَحْذرَ ما وقعوا فيه من العصيان، قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وكفَرَ قومٌ بآياتِ اللَّه بعدَ أن جاءتهم فبَاؤُوا بغضَبٍ على غَضَب، وَغَضِبَ اللَّه على قومٍ فمَسَخَهُم، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ اللَّهَ غَضِبَ عَلَى سِبْطٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَمَسَخَهُمْ دَوَابَّ يَدِبُّونَ فِي الأَرْضِ**» (رواه مسلم).

وما مِنْ نَبيٍّ إلَّا حذَّر قومَه غَضَبَ اللَّه؛ قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾.

وخافَه ذوو الفِطَر السَّليمة على أنفسهم، خرَج زيدُ بن عمرو بن نُفيل قبل البِعْثَة يَسْأَلُ عن الدِّين، فلَقِيَ عالِماً من اليَهُودِ فسألهم عن

دينِهم فقال: «لَا تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، قَالَ زَيْدٌ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئاً أَبَداً، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ؟» (رواه البخاري).

والمسلم يَفِرُّ إلى اللَّه راجياً رحمتَه ورضاه ويَخشى غضبَه وسخطَه، والشِّركُ باللَّه أَعْظَمُ ما يُوجبُ غَضَبَ الرَّبِّ وعقابَه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ﴾، والصَّلاةُ عندَ القُبورِ وإليها وسيلةٌ لذلك، قال ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» (رواه مالك)، ومَنْ نازَع اللَّهَ في صفاته عُوقِبَ بنقيض قصده، قال ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلَاكِ**» (رواه أحمد).

واللَّهُ كريمٌ يُحِبُّ من عباده أن يسألوه، وَيَسْخَطُ على مَنِ استكبَرَ عن ذلك؛ قال ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**» (رواه الترمذي).

والكفرُ لا يُحبُّه اللَّه ولا يرضاه، وإذا اقترفه العبدُ غَضِبَ عليه؛ قال ﷻ: ﴿مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وصلاحُ المجتمعِ في صلاح الباطن والظَّاهر، ومَنْ أَبْطَنَ سوءاً وأَظْهَر خِلَافَه فقد ساء ظنُّه باللَّه ولحقه غضبُه؛ قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

والرُّسُلُ عليهم السلام صَفْوَةُ الخلق، ومَنْ آذاهُم استحقَّ أشدَّ الغضب من

اللَّه؛ قال ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ دَمَّوْا وَجْهَ نَبِيِّ اللَّهِ**» (رواه البخاري)، ومِنْ أَشْقَى الخلْق: مَنْ قَتَلَه نبيٌّ، قال ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ**» (متفق عليه).

ومَنْ أغضَب أولياءَ اللَّه والصَّالحينَ مِنْ عِبَادِه غَضِبَ اللَّهُ عليه، قال ﷺ: «**لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ** - يَعْنِي: نَفَراً مِنَ الصَّحَابَةِ - **لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**» (رواه مسلم).

والجزعُ عند المصائب لا يَرُدُّ قَدَراً، وجزاءُ صاحبِه مِنْ جنس فعله، قال ﷺ: «**وَمَنْ سَخِطَ** - أَيْ: عَلَى القَدَرِ - **فَلَهُ السُّخْطُ**» (رواه الترمذي).

والصَّدُّ عن اللَّه بقولٍ أو عملٍ مُوجِبٌ لعقوبة اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «جَادَلُوا المُؤْمِنِينَ بَعْدَ مَا اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ؛ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ الهُدَى، وَطَمِعُوا أَنْ تَعُودَ الجَاهِلِيَّةُ».

ومَنْ لم يعملْ بما عَلِمَ فهو من المغضوب عليهم - الذين أُمِرَ المسلمون بالدُّعاء في كل ركعة أن يُجنِّبَهم اللَّهُ طريقَهم -، واللَّهُ عظَّم حقَّ الوالدين لِعظيم قدرِهما، وجَعَل رضاه في رضاهما، وسَخَطَه في سَخَطِهما، قال عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما: «رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الوَالِدِ» (رواه الترمذي).

والمُسلمُ معصومُ الدَّمِ، وَمَنْ قتَل مسلماً بَاءَ بغضبِ اللَّه ولَعْنَتِه؛ قـال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

وأموالُ المسلمين مَصُونَة، ومَنِ اعْتَدَى على مالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ استحقَّ الوعيدَ الشَّديدَ؛ قال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ - أَيْ: مُتَعَمِّداً - يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ؛ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» (متفق عليه).

وإذا لَاعَنَتِ المرأةُ زوجَها - وهي كاذبة - لَمْ تَزَلْ في غضب اللَّه؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وَمَنْ أعانَ على ظُلْمٍ غَضِبَ اللَّهُ عليه؛ قال ﷺ: «مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ - أَوْ: يُعِينُ عَلَى ظُلْمٍ -؛ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ» (رواه ابن ماجه).

واللِّسانُ من موازين العباد، وكلمةٌ قد تكونُ سببَ فَلَاحِ العبد أو هلاكه؛ قال ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ» (رواه الترمذي).

والفِرارُ من الزَّحْفِ عند لقاء العدوِّ مُوجِبٌ لغضب اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وحَقُّ النِّعمةِ الشُّكرُ، والبَطرُ فيها ونسيانُ المُنْعِم عقوبتُه مُعجَّلَة؛ قال سبحانه: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾، ومن أتى ما يُوجِبُ غضبَ اللَّه وجَب بُغْضُه وحَرُمَ تولِّيه؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

وعلى العباد أن يعملوا لِمَا بعد الموت ويَستعِدُّوا له؛ فإنَّ أشدَّ غَضَبِ اللَّه على العباد في المَحْشَر؛ لذا يقول الأنبياء عليهم السلام - آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى - في ذلك الموقف العظيم: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**» (متفق عليه).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فاللَّهُ قويٌّ متينٌ، وقد حذَّر عبادَه من سَخَطِه؛ قال سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، وعلى العباد أن لا يغتروا بحِلْم اللَّه عليهم؛ فهو سبحانه إنْ غَضِبَ وأَذِنَ بالعقوبة فلا رادَّ لِمَا قضاه، وإذا عمل العباد المعاصيَ وأغدق عليهم النعمَ فهو من استدراج اللَّه لهم؛ قال سبحانه: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾، وإن عادَ العبادُ إلى ربهم فتَح لهم أبوابَ التَّوبةِ والخيرات ورضي عنهم.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الطَّاعة جالبةٌ لرِضَا الرَّحْمَن، وبها يَنال العبدُ رحمتَه؛ قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، ومِنْ سَعَة رَحْمَة اللَّه أنَّها تَسْبِق غَضَبَه؛ قال ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَاباً قَبلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ**» (رواه البخاري).

والتَّعوُّذُ مِنْ غَضَب اللَّه مانعٌ منه بإذنه تعالى، ومِنْ دُعاء النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ**» (رواه مسلم)، والمُسلمُ الفَطِنُ يسعى لتحقيق رضا اللَّه، ويمنعُ نفسَه عما يُغضِبُ اللَّهَ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

عَرْشُ الرَّحْمَنِ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

اللَّهُ تعالى موصُوفٌ بصِفات الجلال، منعُوتٌ بنُعوتِ الجمال، كامِلٌ في ذاتِه وأسمائِه وصِفاتِه وأفعالِه، لا سَمِيَّ له ولا نظيرَ، ولا شبِيهَ له ولا مَثِيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

ومِن أخصِّ أسمائِه: **الخَالِقُ الخَلَّاقُ**، والخَلْقُ فِعلُه وصِفتُه، ولا تجوزُ هذه الصِّفةُ لغيره، وليس في العلوم أظهَرُ مِن كونِ اللَّه خالِقاً، وهو أصلُ كلِّ حقيقةٍ، فجميعُ الحقائِقِ تنتَهي إلى خَلقِه وإيجادِه، فهو

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس من شهر ذي القَعدة، سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الذي خلق وعَلِمَ، ولهذا أَقرَّتْ به جميعُ الأُمم، واحتَجَّ اللَّهُ به على مَنْ أَشْرَكَ وكَفَر؛ قال سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾، ولمَّا سمعها جُبَيْرُ بن مُطْعِم رضي الله عنه قال: «كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ» (رواه البخاري).

فربُّنا مُبدِعُ الخَلقِ لا شريك له؛ قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾، ولو اجتمع مَن بأقطارِها على خلقِ أضعفِ مخلوقٍ لعجَزُوا عنه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾.

خلَّاقٌ عليمٌ كلُّ ما في الوُجودِ مِن بديعِ صُنعِه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، كثيرُ الخَلقِ لا مُنتهَى لخَلقِه، ولا نظيرَ له فيه: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾، ولم يزَل خالِقاً يخلُقُ ما يَشاءُ، وهو الفعَّالُ لِمَا يُريد، أتقنَ ما خلقَ، وأبدَعَ ما صنَعَ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾، وجميعُ الخلق بتقديرِه وتدبيرِه؛ قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾، وهم تحت قَهرِه وتسخِيرِه، وجعلَ لكلِّ مَخلُوقٍ قدَراً معلُوماً؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

حكيمٌ في خلقِه، مُنزَّهٌ عن العبَثِ فيه؛ قال ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، وكلُّ مخلُوقٍ فللَّهِ في خلقِه حِكمة؛ قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾.

الكَونُ كلُّه شاهِدٌ بربوبيَّته، وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّه واحِدٌ؛ قال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا

وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾.

وفي خلقِه ﷻ دلائِلُ كثيرةٌ على أسمائِه وصِفاتِه؛ قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾.

والمخلوقاتُ كلُّها جَمْعاً وَوُحْداناً حُجَّةٌ للَّه على أُلوهيَّته، وبذلك قرَّر سبحانه توحيدَ عبادتِه؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وغايةُ الخلقِ كلِّهم التَّألُّهُ للَّهِ وعُبوديَّته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وكلُّ ما عُبِدَ مِن دُون اللَّه فباطِلٌ لعجزِه أن يخلُقَ شيئاً؛ قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

والتَّفكُّرُ في المخلُوقاتِ عِظةٌ وعِبرةٌ، وفيه حَادٍ إلى تعظيمِ الخالِق، ومُوجِبٌ لزيادةِ الإيمان؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

وأعظمُ المخلُوقات وأكبرُها: عرشُ الرَّحمَن؛ وصَفَه الرَّبُّ بالعظَمَة، فلا يَعلَمُ قَدرَ سَعَتِه وكِبَره إلَّا الذي خلَقَه، وهو مخلُوقٌ مربُوبٌ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

أثنَى على نفسِه بربوبيَّته له؛ فقال: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، ومدَحَ

ذاتَه بمُلكِه إيَّاه؛ فقال: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صَاحِبُ العَرْشِ العَظِيمِ العَالِي عَلَى جَمِيعِ الخَلَائِقِ»، أضافَه إلى نفسِه تَشْرِيفاً وتكْرِيماً؛ فقال: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾.

خلَقَه اللَّهُ قبلَ السَّموات والأرض؛ قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، قال النَّبيُّ ﷺ: «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ**» (رواه البخاري).

وأوَّلُ ما خلَقَ اللَّهُ القلَمَ أمرَه بكتابةِ المقادِير، وكان العَرْشُ قبله مخلُوقاً؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ**» (رواه مسلم).

والعَرْشُ غيبٌ لا نراهُ في الدُّنيا، وقد أخبَرَنا اللَّهُ ببعضِ صِفاتِه؛ لتحقيقِ الإيمانِ باللَّهِ وعلُوِّه على خلقِه، فعرشُ اللَّهِ ﷻ كالقُبَّة فوقَ العالَم، وصَفَه النَّبيُّ ﷺ بذلك فقال: «**إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لَهَكَذَا؛** وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ القُبَّةِ عَلَيْهِ» (رواه أبو داود).

وللعَرْشِ قوائِمُ وجوانِبُ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى**» (متفق عليه)، وفي لفظٍ: «**بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ**» (رواه البخاري).

كان العَرْشُ على الماءِ قبل خَلقِ السَّمواتِ والأرض؛ قال سبحانه: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، ولا يزالُ على ماءٍ بعد خلقِها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ العَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ**» (رواه ابن خُزيمة).

هو أعلى المخلوقات وأرفعُها، وهو سقفٌ لها، خصَّه اللَّه بالقُربِ فليس في الخَلْقِ شيءٌ أقرب إليه مِنه، واللَّهُ طيِّبٌ لا يَقربُ مِنه إلَّا طيِّبٌ، خلَقَ اللَّهُ العَرْشَ واختصَّه بالعُلُوِّ والارتفاعِ فوقَ جميعِ ما خلَقَ، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «العَرْشُ هُوَ سَقْفُ المَخْلُوقَاتِ، وَجَمِيعُ المَخلُوقَاتِ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا تَحْتَ العَرْشِ مَقْهُورُونَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَقَدَرُهُ نَافِذٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ».

وصَفَه اللَّهُ بالمَجْدِ؛ فقال: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾، ومَجدُه في عَظَمَتِه وعلُوِّ مِقدارِه، كريمٌ جامِعٌ لِخِصالِ الحَمدِ، لا أشرفَ في المخلوقات مِنه، حسَنُ المنظَر بَهِيُّ الشَّكْلِ؛ قال سبحانه: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾.

هو أثقَلُ المخلُوقات وَزناً، مرَّ النَّبيُّ ﷺ بجُويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بُكرةً حين صلَّى الصُّبحَ - وهي في مَسجِدِها -، ثمَّ رجَعَ بعد أنْ أضْحَى وهي جالسة، فقال: «**مَا زِلْتِ عَلَى الحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟** قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ: **لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ**

عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (رواه مسلم)، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ زِنَةَ العَرْشِ أَثْقَلُ الأَوْزَانِ».

وبين يدَي العَرْشِ كرسِيٌّ عظيمٌ؛ قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وهو كالمَرقاةِ إلى العَرْشِ، ومَا عظمةُ الكُرسيِّ إلى العَرْشِ إلَّا كحلقةٍ مِن حديدٍ أُلقِيَتْ بين ظهرَيْ فَلَاةٍ مِن الأرض.

وكَّلَ اللَّه في الدُّنيا بحَملِ عَرْشِه أربعةَ ملائكةٍ عِظام، لا يُفارِقُونَ التَّسبيحَ له والثَّناءَ عليه والاستِغفارَ للمُؤمنين؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾، ومِنْ حَوْلِ العَرْشِ ملائِكةٌ شغْلُهم الذِّكرُ والدُّعاءُ؛ قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

احتجَّ اللَّهُ بِرُبوبيَّته لعرشِه على أُلوهيَّتِه؛ فقال: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، وتمدَّحَ في تفرُّدِه بالعبادة بربوبيَّته له؛ فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، ونزَّهَ نفسَه عما وصَفَه به المُفترُون مِن النَّقائِصِ ذاكِراً ربوبيَّته لأعظَم مخلُوقاتِه؛ فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، وكان النَّبيُّ ﷺ يُكثِرُ مِن التَّوسُّلِ في دُعائِه بربوبيَّة اللَّه له، ويُثنِي عليه بذلك؛ فعند الكَربِ كان يقولُ ﷺ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**» (متفق عليه).

و«**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ**» (رواه مسلم)، ولمَّا قضى اللَّهُ الخلقَ؛ كتبَ في كتابِه فهو عنده فوقَ العَرْشِ: «**إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**» (متفق عليه).

وكلَّ يوم تسجُدُ الشَّمسُ تحت العَرْشِ للَّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾**» (متفق عليه)، قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾، قَالَ: **مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ العَرْشِ**» (متفق عليه).

واهتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَن لموتِ صَحابِيٍّ جليلٍ لم يُدرِكْ مِن الإسلام سِوَى ستِّ سنواتٍ، ولكن أسلَمَ جميعُ قومِه على يدَيه، ومات وعُمرُه سبعةٌ وثلاثُون عاماً؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**» (متفق عليه)، قال الذَّهبيُّ رحمه الله: «هَذَا مُتَوَاتِرٌ، أَشْهَدُ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَهُ».

واختَصَّ اللَّهُ العَرْشَ ببقائِه إذا فنِيَ الخلقُ، وليس داخِلاً فيما يُقبَضُ ويُطوَى يوم القِيامة، ولا يَفنَى باتِّفاقِ أهلِ السُّنَّة؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَأَمَّا العَرْشُ فَلَمْ يَكُنْ دَاخِلاً فِيمَا خَلَقَهُ اللَّهُ فِي الأَيَّامِ السِّتَّةِ، وَلَا يَشُقُّهُ وَلَا يَفْطُرُهُ؛ بَلِ الأَحَادِيثُ المَشهُورَةُ دَلَّتْ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ القُرْآنُ مِنْ بَقَاءِ العَرْشِ».

وفي الآخرة يَحمِلُه ثمانيةُ ملائِكة، ويأتِي اللَّهُ عز وجل عليه للفصلِ بين الخلائِق؛ قال سبحانه: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾.

وإذا استشفعَ النَّاسُ بالأنبِياء يوم القيامة لفَصلِ القَضاء، اعتَذَرُوا لهَوْلِ الموقفِ وشدَّتِه، حتى ينتَهُوا إلى نبيِّنا ﷺ، قال النَّبيُّ ﷺ: «فَيأْتُونِي، فَأَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ» (متفق عليه).

وإذا اشتَدَّ الكَربُ بالخلقِ في المحشَر، ودنَت الشمسُ مِن رؤوسهم قَدْرَ مِيلٍ: أظلَّ اللَّه في ظلِّ عَرْشِه صَفوةً مِن خَلْقِه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ؛ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ؛ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِياً؛ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» (متفق عليه)، و«المُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ» (رواه أحمد).

والجنَّةُ درجاتٌ ومنازِلُ، وأعلاها الفِردوس، سَقفُه عَرْشُ الرَّحْمَن؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَمِنْهُ تَنْفَجِرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ» (رواه البخاري).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

لئِن كان العَرْشُ عظيماً كبيراً؛ فاللَّهُ سبحانه عليٌّ عظيمٌ، واسِعٌ كبيرٌ، مُحيطٌ بكلِّ شيءٍ، ولا يُحيطُ به شيءٌ، ظاهِرٌ ليس فوقَه شيءٌ،

باطِنٌ لا يَحْجُبُه عن خلقِه شيءٌ، وعظَمَةُ المخلُوقات دليلٌ على عظمَتِه وكِبريائِه، شاهِدةٌ بعزِّه وجلالِه.

وشرَفُ المُسلم في إيمانِه بالغَيبِ، ويَقِينِه به، وعلى ذلك مدارُ الإيمان وتحقيقُه، واللَّهُ وصَفَ عبادَه المُتَّقين بقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، وأثنَى على مَن آمَنَ بالغيبِ بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، وفي الإيمانِ بالغيبِ وخشيةِ اللَّه وتعظيمِه وطاعتِه طُمأنينةُ القلبِ، وانشِراحُ الصَّدرِ، وسعادةُ الدُّنيا والآخرة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

علُوُّ اللَّه على خلقِه مُستقِرٌّ في الفِطَر، شهِدَت به العُقولُ وأدلَّةُ الكتابِ والسُّنَّة، وهو مُقتضَى الكمال، قال ابن القيِّم ﵀: «عَلَى إِثْبَاتِ عُلُوِّ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ دَلِيلٍ»، وقد استوَى سبحانه على عَرْشِه استِواءً يَلِيقُ بجلالِه وعظَمَته، وهو عُلُوٌّ خاصٌّ على أعظَم خلقٍ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، قال الأوزاعيُّ ﵀: «كُنَّا وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنْ صِفَاتِهِ ﷻ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الخَامِس

مَنْزِلَةُ الإِسْلامِ

خَصَائِصُ أُمَّة مُحَمَّدٍ ﷺ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعَلَى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فعندَ اللَّه للأتقياءِ المَزيد، ولهمُ النَّجاةُ يومَ الوعيد.

أيُّها المسلمون:

خلقَ اللَّهُ الخلقَ وفاضَلَ بينهم؛ فَخلق آدمَ بيدِه وأسجدَ له الملائكةَ تكريماً له، ثمَّ أَهْبَطَه وزوجَه إلى الأرض، وتفرَّقَت الذُّرِّيةُ في الأمصارِ وطالَت بهم الأزمان، وجعلهم في الأرضِ أُمَماً مُتفَاضِلين؛ قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾.

وخصَّ هذِه الأمَّةَ بالفَضْلِ والتَّكريمِ على سائرِ الأُمَم؛ قال

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السابع والعشرين من شهر ربيع الأول، سنة أربع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

سبحانه: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾، قال ﷺ: «**أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ**» (رواه الترمذي).

وجاءَ القُرآنُ بِمَدْحِها والثَّناءِ عليها؛ قال جلَّ شأنُه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَيْ: شَرَفُكُمْ».

وقد فاقَتِ الأُمَمَ في خيريَّتِهَا لِقيامِهَا بأُسُسِ الدِّين: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾، قال القُرطبيُّ رحمه الله: «هَذَا مَدْحٌ لِهَذِهِ الأُمَّةِ مَا أَقَامُوا ذَلِكَ وَاتَّصَفُوا بِهِ، فَإِذَا تَرَكُوا التَّغْيِيرَ وَتَوَاطَؤُوا عَلَى المُنْكَرِ؛ زَالَ عَنْهُمُ اسْمُ المَدْحِ وَلَحِقَهُمُ اسْمُ الذَّمِّ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَباً لِهَلَاكِهِمْ».

ولكمالِ دينِهَا وأفضليَّتِهَا نسَخَ اللَّهُ جميعَ الأديان بدينها؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾، ولا يَقبَلُ اللَّهُ مِنْ أحدٍ ديناً سِوَاه؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، وأمَرَ جَميعَ الخلقِ باتِّباعِه؛ قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ - يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ - ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**» (رواه مسلم)، وأخذَ اللَّهُ المِيثَاقَ على الأَنْبياءِ ليتَّبِعُوهُ إنْ بُعِثَ فيهِم؛ قال ﷺ: «**لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيّاً مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**» (رواه أحمد)، وأخبَرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ الإسلامَ سيَبْلُغُ الآفاق، فقال: «**إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ؛ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**» (رواه مسلم).

ووعَدَ اللَّه بنشرِه في جميعِ الأرض؛ قال ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ** - أَي: الدِّينُ - **مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ؛ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ**» (رواه أحمد).

وحفِظَ اللَّه لهذِه الأمَّةِ دينَهَا ووعَدَ بإظهارِه؛ فقال جلَّ شأنُه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

وكتابُها نورٌ وهُدًى وموعظةٌ، هَيْمَنَ على جميعِ الكُتبِ السَّابِقة حافِظاً لها وأميناً عليها؛ قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾، وقد حفِظَه اللَّهُ تعالى من التَّبديلِ والتَّحريفِ والزِّيادة والنُّقصان: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، ومِنْ حِفْظِ القرآنِ حِفظُ السُّنَّة بالإسنادِ والرِّواية، فهي أحدُ الوَحيَيْن، قال أبو حاتم الرَّازيُّ ﵀: «لَمْ يَكُنْ فِي أُمَّةٍ مِنْ الأُمَمِ - مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ - أُمَّةٌ يَحْفَظُونَ آثَارَ نَبِيِّهِمْ وَأَنْسَابَ سَلَفِهِمْ؛ مِثْلَ هَذِهِ الأُمَّةِ».

ونبيُّها خيرُ الأنبياء؛ قال عن نفسِه: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ**» (رواه مسلم)، وصلَّى الأنبياءُ خلفَه في بيتِ المقدسِ في الإسراء، وأُعطِيَ جوامِعَ الكلِم، وبعثَه اللَّه إلى الناس كافَّة؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾، وخُتِم به النَّبيُّون، قال ابن كثيرٍ ﵀: «وَإِنَّمَا حَازَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ قَصَبَ السَّبْقِ إِلَى الخَيْرَاتِ بِنَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَإِنَّهُ أَشْرَفُ خَلْقِ اللَّهِ، وَأَكْرَمُ الرُّسُلِ عَلَى اللَّهِ، وَبَعَثَهُ اللَّهُ بِشَرْعٍ كَامِلٍ

عَظِيم لَمْ يُعْطِهِ نَبِيّاً قَبْلَهُ وَلَا رَسُولاً مِنَ الرُّسُلِ، فَالعَمَلُ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَسَبِيلِهِ يَقُومُ القَلِيلُ مِنْهُ مَا لَا يَقُومُ العَمَلُ الكَثِيرُ مِنْ أَعْمَالِ غَيْرِهِمْ مَقَامَهُ».

وصحابتُه ﷺ هم خيرُ رجالٍ بعد الأنبياء؛ قال ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**» (متفق عليه).

وكما حفِظَ اللَّه دينَه حفِظَ رجالاً يقومون به في الأمصارِ وعلى مرِّ العُصور؛ قال ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكِ**» (رواه مسلم)، وعلماؤُها ورثَةُ الأنبياء، ولا يجتمِعون على ضلالة، وعلى رأسِ كلِّ قرنٍ يبعثُ اللَّه من يُجدِّدُ لها أمرَ دينِهَا؛ قال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**» (رواه أبو داود).

وهي شاهِدةٌ على جميع الأُمَمِ بأنَّ رُسُلَهُم قد أنذرَتْهم؛ قال ﷻ: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، وهي عدلٌ خِيارٌ في الأُمم؛ قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾.

وتشريعاتُها كذلك تامَّةٌ كاملةٌ مُوافِقةٌ للفِطرَة، وأحكامُها على التَّيسير؛ قال جلَّ شأنُه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ﴾، وقد ضُيِّق على الأُممِ في شرائِعِهِم ووسَّع اللَّهُ على هذه الأمَّةِ أمورَها، وسهَّلَهَا لهم؛ فَمِنْ يُسرِهَا: أنَّ الأرضَ مسجدٌ وطهورٌ لها؛ «**فَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي الصَّلَاةُ فَعِنْدَهُ مَسْجِدُهُ**» (رواه أحمد)، وشُرِع التَّيمُّمُ والمسحُ على الخُفَّين تخفيفاً لها.

وعباداتُها مُفضَّلةٌ على عباداتِ الأُمَم السابِقة؛ فصلواتُها خمسٌ في العددِ ولكنَّها خمسونَ في الأجر، وصُفوفُها كصُفُوفِ الملائِكةِ عند ربِّها؛ يُتِمُّون الصُّفُوفَ الأُوَل ويتراصُّون في الصفّ؛ قال ﷺ: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ المَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِداً، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُوراً إِذَا لَمْ نَجِدِ المَاءَ» (رواه مسلم).

وفي المآكِلِ والمشارِبِ أباحَ اللَّهُ لها طيِّباتٍ كثيرةً لِيَستَعينُوا بها على طاعتِه، ومَنْ قبلَنا وقَعُوا في الظُّلم فَحَرَمَهُم طيِّباتٍ مُباحةً عقوبةً لهم، قال سبحانه: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾.

ووضعَ عنها آصاراً وأغلالاً كانت على مَنْ قبلَها؛ قال سبحانه: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾؛ فتوبةُ سابِقينَا بقَتْلِ نُفُوسِها، قال ﷻ: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾، وتوبةُ هذه الأمَّة: تَرْكُ الذَّنبِ، والنَّدمُ على فعلِه، والعزمُ على أن لا يعود.

والقِصاصُ في النَّفسِ والجِراحِ كان حتماً في التَّوراةِ على اليهود، ولم يكن لهم أخذُ الدِّيَة، وكان في شرعِ النَّصارى الدِّيَةُ ولم يكن لهم فيها القِصاص، فخيَّرَ اللَّه هذه الأُمَّةَ بين القِصاصِ والعفوِ والدِّيَة، وقال: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ﴾.

وأُحِلَّت لها المغانِمُ وكانت مُحرَّمةً على من سبقَها: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ﴾.

ورُفِع عنها إثمُ الخطإِ والنِّسيانِ وما استُكرِهُوا عليه، والوَسْوَسَةُ في الصُّدور لا تُؤاخَذُ به ما لم تعمَلْ أو تَتكلَّم.

وأمراضٌ أنزلها اللَّهُ بلاءً وعذاباً على الأُمم السَّابقة، وهذِه الأُمَّةُ من أُصِيبَ بِهَا فمات منهم بها وهو مؤمنٌ كان شَهِيداً؛ قال ﷺ: «**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**» (متفق عليه).

أمَّةٌ مُهَابَةٌ في القلُوبِ بين الأُممِ إنْ تمسَّكَتْ بدينِهَا؛ قال ﷺ: «**نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**».

ولعِزَّتِهَا وكمالِ دينِهَا نُهِيَتْ عن مُشابَهةِ الكَافِرِينَ في المُعتقَد؛ فنُهِيَتْ عنِ البِنَاءِ على القبورِ أو اتِّخاذِهَا مساجِد؛ «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**» (رواه مسلم).

ونُهِيَتْ عن الصُّور؛ قال ﷺ لأُمِّ سلمةَ رضي الله عنها لمَّا رأَتْ كَنِيسةً فيهَا تصاوِير، قال: «**أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ العَبْدُ الصَّالِحُ** - أَوِ: **الرَّجُلُ الصَّالِحُ** -؛ **بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ**» (متفق عليه).

ونُهِيَتْ عن مُشابَهةِ الأُممِ في الظَّاهِر؛ فأُمِرَتْ بإرخاءِ اللِّحَى وحلقِ الشَّارب، وعن مُشابَهَتِهَا في عبادَتِها؛ فَأَكْلةُ السَّحورِ مُخَالفةٌ لأهلِ الكتاب، ونُهِيَت عن التَّشبُّهِ بالأَعرابِ والبهائِم، وخُصَّت بعيدَيْنِ لا ثالثَ لهما.

وبقاءُ أمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ في الدُّنيا قليلٌ؛ قال ﷺ: «**إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ العَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ**» (رواه البخاري)، وأعمارُ أفرادِها بين السِّتِّينِ والسَّبعين، ولكنَّها أُمَّةٌ مُبارَكة، شبَّهَها النَّبيُّ ﷺ بالغيث، فقال: «**مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ المَطَرِ**» (رواه الترمذي)، فبُورِك لها في بُكُورِهَا، وبَارَكَ تعالى في ليلِها ونهارِهَا، فأعمالٌ صالحةٌ في أيَّام وليالٍ عن شهورٍ وأعوام؛ فليلةُ القَدْرِ عن أَلْفِ شَهْرٍ، وصومُ عرفةَ يُكفِّرُ السَّنةَ الماضيةَ والباقية، وصيامُ عاشُوراء يُكفِّرُ السَّنَةَ الماضية، وصيامُ ثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شهرِ كصيامِ سَنَةٍ.

وتكرَّمَ عليهَا بأمكِنةٍ فاضِلةٍ مُبارَكة؛ فصلاةٌ في المسجدِ الحرام خيرٌ من مئةِ ألفِ صلاة، وصلاةٌ في المسجدِ النَّبويِّ خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيما سِواه إلَّا المسجد الحرام، وصلاةٌ في المسجدِ الأقصى تعدل خمسَ مئةِ صلاة.

وأعمالٌ يسيرةٌ شرعَها اللَّه لها وثوابُها عندَه عظيم؛ فمَنْ صلَّى العشاءَ في جَمَاعةٍ فكأنَّمَا قامَ نصفَ اللَّيل، ومَنْ صلَّى الفجرَ في جماعةٍ فكَأنَّمَا قامَ اللَّيلَ كلَّه، ومَنْ قرأَ حرفاً من القُرآنِ فله بكلِّ حرفٍ حسنة، و«**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ عَنْهُ خطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**»، و«**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ؛ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلةٌ فِي الجَنَّة**»، و«**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مئةَ مَرَّةٍ؛ كُتِبَتْ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**»، و«**مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؛ بَنَى اللَّهُ لَهُ بِهِنَّ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ**».

أمةٌ مُوفَّقةٌ للخير؛ وُفِّقت لخير يوم طلَعَتْ عليه الشَّمس؛ قال ﷺ: «**هُدِينَا إِلَى الجُمُعَةِ، وَأَضَلَّ اللَّهُ عَنْهَا مَنْ كَانَ قَبْلَنَا**» (رواه مسلم)، والسَّلامُ هُدِيَتْ له هذِه الأُمَّة بصيغتِه وكثرةِ ثوابِه، وحُرِمَ غيرُنَا منه؛ قال ﷺ: «**مَا حَسَدَتْكُمُ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**» (رواه ابن ماجه).

وأُجورُها مُضاعفةٌ مرَّتين؛ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾، قال ﷺ: «**لَكُمُ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ؛ فَغَضِبَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلاً وَأَقَلُّ عَطَاءً! قَالَ اللَّهُ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئاً؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَإِنَّهُ فَضْلِي، أُعْطِيهِ مَنْ شِئْتُ**» (رواه البخاري).

والقابِضُ على دينِهِ في آخرِ الزَّمانِ له أجرُ خمسينَ من الصَّحابة، وللصَّحابةِ أكثرُ من ذلكَ الأجر، والعبادَةُ في الهَرْجِ - أَيِ: الفِتَنِ - كَهِجرةٍ إلى النَّبيِّ ﷺ.

وفضائلُها ظَهَرَت لغيرها منَ الأُممِ لِتَلْحَقَ الأُممُ بها؛ قال ﷺ: «**فَمَنْ آمَنَ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ**»، قال جلَّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾.

وكما أكرمَهَا اللَّهُ بالدِّين؛ فتحَ لها منْ أرزاقِ الدُّنيَا ما لم يُفتَحْ لغيرِها؛ قال ﷺ: «**وَأُعْطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ** - أَيِ: الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ -» (رواه مسلم)، وقال ﷺ: «**فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُوتِيتُ**

بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي» (متفق عليه)، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا - أَيْ: تَسْتَخْرِجُونَ مَا فِيهَا مِنَ الخَيْرَاتِ وَالكُنُوزِ -».

ومنَعَ اللَّهُ بفضلِه عن هذِهِ الأُمَّةِ أنْ تَهْلِكَ جميعاً بالجُوعِ أو الغَرَق، كما هلَكَتْ أُممٌ مِنْ قبلِنَا بالرِّيحِ والخَسفِ والصَّيْحَةِ والغَرَق؛ قال عليه الصلاة والسلام: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثاً؛ فَأَعْطَانِي ثِنتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً؛ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ - أَيْ: بِالجُوعِ -؛ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بالغَرَقِ؛ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ؛ فَمَنَعَنِيهَا» (رواه مسلم)، وأَعطاهُ اللَّهُ أن لا يُسلِّطَ عليهم عدوّاً من سِوَى أنفُسِهم ولو اجتمعَ عليهم مَنْ بأقطَارِها، وأعطَى اللَّهُ لأُمَّتِنَا أَمَانَيْنِ يَمنعُهَا من العذاب؛ فحياةُ النَّبيِّ ﷺ أَمَان، وقد زالَ ذلكَ الأمانُ بوفاتِه، والأمَانُ الآخرُ استِغفارُ اللَّهِ تعالى؛ قال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

وكمَا أُكرِمَتْ هذه الأمَّةُ في حياتِها أُكرِمَتْ بعد مماتِها؛ فاللَّحْدُ في القبرِ لنَا والشَّقُّ لغيرِنَا، وأوَّلُ مَنْ يَنْشقُّ عنه القبرُ في المحشَرِ نَبيُّ هذِه الأُمَّة، وهُو أوَّلُ شافِعٍ وأوَّلُ مُشفَّع.

وتُعرَفُ هذه الأُمَّةُ في عَرْصَة القيَامةِ من بينِ سائرِ الأُمم بِبَيَاضٍ في أعضاءِ وُضوئِهَا؛ قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ» (رواه البخاري).

ولكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مُستجابة، والنَّبيُّ ﷺ اختَبَأَ دَعْوتَهُ لأُمَّتِه يومَ القيامة؛ قال ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً» (متفق عليه).

وأوَّلُ مَنْ يُجيزُ الصِّراطَ هذهِ الأمَّة؛ قال ﷺ: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ» (رواه مسلم).

ونحن الآخرُون السَّابِقون يومَ القيامة؛ فنَبيُّنا ﷺ أوَّلُ مَنْ يَستفتِحُ بابَ الجنَّة، قال ﷺ: «آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ فَأَسْتَفْتِحُ - أَيْ: أَطْلُبُ فَتْحَهُ -، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ» (رواه مسلم).

وأوَّلُ الأُممِ دُخولاً لهَا أمَّتُه، وهُم أكثرُ أهلِ الجنَّة، صُفُوفُهُم فيها ثمانُونَ صفّاً، وسائرُ الأُمم أربعونَ صفّاً؛ قال ﷺ: «أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِئَةُ صَفٍّ، وَهَذِهِ الأُمَّةُ مِنْ ذَلِكَ ثَمَانُونَ صَفّاً» (رواه أحمد)، وفيهِم: «سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ» (متفق عليه)، قال ﷺ: «فَاسْتَزَدْتُ رَبِّي ﷻ؛ فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفاً» (رواه أحمد).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالمُؤمنُ من هذِهِ الأُمَّةِ مُفَضَّلٌ مُكرَّمٌ مُشرَّفٌ منصور، حقيقٌ بِهِ أنْ يَعتزَّ بدينِه، وأنْ يَتمسَّكَ به، وأنْ يَدعُوَ غيرَهُ إليْه، وأن لا يتشبَّهَ بأهلِ الباطِل، وأنْ يَحمدَ اللَّهَ على كونِهِ من هذِه الأُمَّة ويَتزوَّدَ منَ الصَّالِحات.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

لا يَعظُمُ فَردٌ مِنْ أفْرَادِ هذهِ الأُمَّةِ إلَّا بالعملِ بأُصولِ دينِهَا وشرائِعِهَا؛ من توحيدِ اللَّهِ وتحقيقِ شهادةِ أنَّ محمداً رسولُ اللَّه، وإتقانِ العبادةِ، والإحسانِ للخلق، ومَنْ فاتَه الخيرُ الذي فيها لم ينفَعْه كونُه منها؛ قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾.

وقد رَأَى أقوامٌ النَّبيَّ ﷺ ولم يُؤمِنوا به، فلم ينتفِعُوا بذلك، ومَنْ أهانَهُ اللَّهُ لم يُكرِمْهُ أحد، والفضلُ والتَّكريمُ في الإيمانِ والاتِّبَاعِ والمُسابَقةِ إلى الخيرات واغتِنامِ الفضائل.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَحَاسِنُ الإِسْلامِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

عاشَ النَّاسُ قبل بِعثةِ النَّبيِّ ﷺ في جاهليَّةٍ وضلالٍ، يعبُدُون الأشجارَ والأحجار، ويدعُون مِنْ دون اللَّه ما لا يَنفعُهم ولا يَضُرُّهم، واتَّخذُوا الشَّياطينَ أولياءَ مِن دُون اللَّه ويحسَبُون أنهم مُهتَدُون، حتى طُمِسَت معالِمُ الدِّين، وانتَكَسَت الفِطَر، قال أبو رجاءٍ العُطارديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُنَّا نَعْبُدُ الحَجَرَ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَراً هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ، وَأَخَذْنَا الآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَراً جَمَعْنَا جُثْوَةً مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُفْنَا بِهِ» (رواه البخاري).

(١) أُلقيت يوم الجمعة، العاشر من شهر ذي الحِجة، سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

كانوا حَيَارَى في أمورِهم، الشُّؤمُ والتَّطيُّرُ طابَعُ حياتهم، ولا غايةَ نبيلةَ لهم، يقتُلُ بعضُهم بعضاً، وتَستعِرُ الحروبُ لأجلِ فَرَسٍ أو ناقةٍ، لا شريعةَ تحكُمُهم، فيأكُلُون الميتةَ، ويأتُون الفواحِشَ، ويشرَبُون الدَّمَ والخمرَ، ويطُوفُون بالبيتِ عُراةً، يقتُلُون أولادَهم خوفَ الفَقر، ويدفنُون بناتَهم خشيةَ العارِ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ﴾.

المرأةُ عندهم مُبتذَلةٌ مَهينة، تُعلَّقُ وتُعضَلُ، وتُورَثُ ولا تَرِثُ، وتُقتَلُ، الظُّلمُ شِعارُهم، والجهلُ دِثارُهم: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾.

أَزْمِنةٌ مُظلِمَة، والدِّينُ الصَّحيحُ مِن بقايا أهل الكتابِ ينذُرُ وجودُه وقد لا يُدرَك؛ خرجَ زيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ إلى الشَّام باحِثاً عن الحقِّ، وكان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ أَعْلَمُ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيْكَ عَبَدْتُكَ بِهِ، وَلَكِنِّي لَا أَعْلَمُ، ثُمَّ يَسْجُدُ عَلَى رَاحِلَتِهِ».

وأهلُ الكتابِ يستنصِرُون على المُشرِكِين والكُفَّارِ ببعثةِ نبيِّ الإسلام؛ قال سبحانه: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ - عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ -، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ**» (رواه مسلم).

جاهليَّةٌ أطبَقَ الأرضَ ظلامُها، فبعثَ اللَّهُ نبيَّه مُحمَّداً ﷺ على حينِ فترةٍ مِن الرُّسل، فشعَّ نُورُ الإسلام، وانقَشَعَ الظَّلام، وأشرَقَت

الأرضُ بنُور الهدى والبيِّنات؛ قال سبحانه: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾، وبهِ خرَجَ الناسُ مِن الظُّلمات إلى النُّور ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

الإسلامُ أَعْظمُ نعمةٍ أنعمَ اللَّهُ على عبادِه؛ فهو دينٌ لا كان ولن يكون مثلُه، قال عُمرُ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الجَاهِلِيَّةَ لَا يَعْرِفُ الإِسْلَامَ»، وليس للَّهِ في الأرضِ دينٌ حقٌّ سِواه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾.

هو سبيلُ اللَّه وصِراطُه المستقيم، رضِيَه لعبادِه؛ فقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، لا يقبَلُ اللَّه مِن الخلق دِيناً سِواه: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾، ولا يُحِبُّ سبحانه مِن الأديان إلَّا الإسلام؛ قال الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ: الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**» (رواه أحمد)، ولا يدخُلُ أحدٌ الجنَّةَ إلَّا مَن كان مِن أهلِ الإسلام؛ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۞ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾.

دينٌ كامِلٌ لا نقصَ فيه بوجهٍ مِن الوجُوه؛ قال سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾، هو أحسنُ الأديان، وأتباعُه أحسنُ النَّاسِ ديناً؛ قال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾، ولحُسنِه يودُّ الكافِرُ أن يكونَ مِن أهلِه، قال تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾.

أصلُه ونِبراسُه كِتابٌ مُحكَمٌ مُفصَّلٌ، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، شامِلٌ لجميعِ أمورِ الدُّنيا والدِّين، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾، جامِعٌ لكلِّ ما تحتاجُه البشريَّة؛ قال ﷻ: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾.

دينُ الإسلام دينٌ هادٍ لجميعِ الخَلقِ، صالِحٌ لكلِّ الأجيَال، سهلٌ لجميعِ النَّاسِ، لا يختَصُّ بلَونٍ أو جِنسٍ، ولا زمانٍ أو مكانٍ، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾، رحمةٌ لجميعِ البشرِ على تعاقُبِ الأزمانِ والدُّهور، قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، وسَطٌ في عقائِده وعباداتِه، ومُعاملاته وأخلاقِه، فلا إفراطَ فيه ولا تفريط، ولا غلُوَّ ولا جفَاء؛ قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾، قائِمٌ على اليُسر والسَّماحَة، فلا مشقَّةَ فيه ولا عنَت؛ قال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾.

رفعَ اللَّهُ به عن الأمَّةِ الآصارَ والأغلال، وما جعلَ في الدِّينِ مِن حرَجٍ، تكالِيفُه منُوطةٌ بالأهليَّة والاستِطاعة، واللَّهُ لا يُكلِّفُ نفساً إلَّا وُسعَها، فلا واجِبَ مع العَجز، ولا مُحرَّم مع الضَّرُورة، وكلَّما ضاقَ الأمرُ فيه اتَّسَع، وعفَا اللَّهُ عن هذه الأُمَّة ما حدَّثَت بها أنفُسَها ما لم تعمَلْ أو تتكلَّم، ورفعَ عنها الخطأَ والنِّسيان وما استُكرِهوا عليه، وبابُ التَّوبةِ في الإسلام مفتُوحٌ، وهي سهلةٌ ميسُورةٌ.

دِينٌ جلِيٌّ في مصدَرِه وغاياتِه، معالِمُه ظاهِرةٌ، وأحكامُه بيِّنةٌ لا غُموضَ فيها ولا خَفاء، يهدِي إلى السَّعادة ويمحُو الشَّقاء؛ قال

سبحانه: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾، مُتوافِقٌ مَعَ العُقولِ والفِطَر؛ قال ﷻ: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾، أحكامُه وشرائِعُه مُؤتلِفةٌ غيرُ مُختلِفة؛ قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾.

كتبَ اللَّهُ لهذا الدِّين البقاءَ في الأرضِ والنُّفُوذ؛ قال رسُول اللَّه ﷺ: «**لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ** - أَيْ: كُلُّ بَيْتٍ فِي البَوَادِي وَالحَوَاضِرِ -؛ **إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الإِسْلَامِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ**» (رواه أحمد).

جمَعَ بين العدلِ والرَّحمةِ، والإصلاح والإحسانِ؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾، لم يأمُرْ إلَّا بخيرٍ خالِصٍ أو راجِحٍ، ولا ينهَى إلَّا عن شرٍّ مَحضٍ أو راجِحٍ.

دينُ علمٍ وعملٍ يهدِي في ذلك للَّتي هي أقوَم؛ قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: العِلْم النَّافِع ﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: العملِ الصَّالِح ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، يدعو إلى الكمال والقوَّة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**» (رواه مسلم)، يُقرِّرُ الأصولَ الدِّينيَّة، ولا يُعارِضُ الحقائِقَ العقليَّةَ والفِطريَّة، ألَّف بين الرُّوح والمادَّة، وجمَعَ بين العقل والعلم، ويدعُو إلى الحضارة وعِمارة الأرض، السَّلامُ مبدَؤه وخاتمتُه، وهو شِعارُه وتحيَّتُه.

بِهِ استِقامةُ الدُّنيا والآخرة، حكِيمٌ في مقاصِدِه ومطالِبِه، واقِعِيٌّ في

أحكامِه وتشريعاتِه، يفتَحُ بابَ الأمل والفأْلِ، وينهَى عن اليَأسِ والقُنُوط، قائِمٌ على الصِّدقِ والنَّصيحَة؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» (رواه مسلم)، لا خَيرَ إلَّا دعَا إليه، ولا شرَّ إلَّا حذَّر مِنه، جمَعَ المحاسِنَ كلَّها، وحوَى مِن الفضائلِ ما يشهَدُ بكمالِ علمِ اللَّه وحِكمتِه، وصِدْقِ نبيِّه وشُمولِ رسالتِه.

دينُ الإسلام أزكَى الأديانِ عقيدةً وشريعةً، جمَعَ بين حُقوقِ الخَلق والخالِقِ، قامَ على أُسسٍ وقواعِد، له ثلاثُ مراتِبَ: الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ، ولكلِّ مرتبةٍ أركانٌ، وبالجميعِ صلاحُ الظَّاهِرِ والباطِنِ.

فالشَّهادتان: رُكنُ الإسلام الأعظَم، وهما دليلُه وبُرهانُه، وفيهما الإخلاصُ للَّه، والمُتابعةُ لنبيِّه ﷺ، والصَّلاةُ عمودُ الدِّين، وصِلةٌ بين العبدِ وربِّه، وفي الزَّكاةِ طهارةُ النَّفسِ والمالِ، وغَرسُ المَحبَّةِ والرَّحْمةِ، والصِّيامُ يُهذِّبُ النُّفوسَ ويُزكِّيها، والحجُّ فريضةٌ في العُمر مرَّةً، وبهِ يظهَرُ الاستِسلامُ وتحقيقُ العبوديَّة.

واستِقامةُ الظَّاهِر منشَؤُها استِقامةُ الباطِنِ؛ قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

وحقيقةُ الإيمان: تصدِيقُ الغَيْبِ مع أمنٍ واطمِئنانٍ، يُصدِّقُه القولُ والعملُ.

والإحسان: عبادةُ اللَّه عن كمالِ إخلاصٍ ومُراقبةٍ.

وأصلُ دينِ الإسلام وبُنيانُه: عبوديَّةُ اللَّه وتوحيدُه، وبذلك بعَثَ اللَّه جميعَ أنبيائِه ورُسُله؛ قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾، وغايتُه السَّعيُ في كلِّ ما يُحبُّه اللَّه ويرضَاه، لا يُفرِّقُ بين أنبياءِ اللَّه ورُسُله، فكلُّهم صادِقُون مُصدَّقُون.

عقائِدُه أصَحُّ العقائِدِ، وأسهَلُها، وأصلَحُها للخلقِ، وأقوَمُها، تُوافِقُ العقلَ والفِطَرَ، وتبعَثُ على القولِ والعملِ، بعيدةٌ عن الغُمُوضِ والخُرافات، سالِمةٌ مِن المحالِ والتَّناقُضات، مُناسِبةٌ للضَّعيفِ والقويِّ، وأحكامُه لا أحسنَ منها، وبها صلاحُ العباد والبلاد؛ قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾.

لا رهبانيَّةَ في عباداتِه ولا مشقَّة، يأمُرُ بمحاسِنِ الأعمال، ويدعُو إلى مكارِمِ الأخلاق - مِن الصِّدقِ، والكرمِ، والوفاء -؛ قال ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**» (رواه أحمد).

حلالُه بيِّنٌ وحرامُه بيِّنٌ؛ أباحَ الطَّيِّباتِ، وحرَّمَ الخبائِثَ، وما حرَّمَ شيئاً إلَّا وفتَحَ مِن الخيرِ أضعافَه، المعاملةُ فيه مبناها على الصِّدقِ والتَّسامُحِ والمحبَّةِ والإخاءِ والنُّصحِ لكلِّ مخلُوقٍ.

مقاصِدُه في حفظِ ضَرورات الخلقِ وحاجاتِهم، وما فِيه كمالٌ ومصلَحةٌ لهم، تشريعاتُه فيها حِفظُ الدِّين، وحِمايةُ أصولِه، والنَّهيُ عن التَّبديلِ والتَّغييرِ فيه، فأمَرَ بردعِ النَّاكِصِين، وغلَّظَ على البِدع والمُحدِثين، ونهَى عن كلِّ خُرافةٍ تمَسُّ دينَ الإسلام - مِن الشَّعْوَذةِ

والتَّنجيمِ وغيرِها مِن أفعالِ الشَّياطين -، صِمامُ أمانِه الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المُنكَر، وبذلك خَيرُ الأمَّة وفلاحُها.

في أحكامِه ما يكفَلُ حِفظَ الأنفُس؛ فدعَا للنِّكاح، وحثَّ عليه، ورغَّبَ في كثرةِ النَّسل، ورِعايةِ الأبناء، وحرَّم القتلَ وأسبابَه؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، و«مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً؛ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ» (رواه البخاري).

جاء بما يحفَظُ العقلَ ويُزكِّيه، وبالبُعدِ عما يُضعِفُه ويُدَنِّيه؛ فحِفْظُ العُقول وتزكيتُها مقصدٌ شرعيٌّ، فصانَها عن خُرافاتِ الجاهليَّةِ وأباطِيلِها، ونهَى عن كلِّ ما يُخِلُّ بها ويحْرِفُها؛ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

في الإسلام صلاحُ الأموال وحِفظُها؛ فأحَلَّ البيعَ، وحرَّمَ أكلَ المالِ بالباطلِ - كالرِّبا، والغِشِّ، والغصبِ، والسَّرِقة -، وأباحَ التَّوسِعةَ على النَّفسِ، وحرَّمَ الإسرافَ والتَّبذيرَ.

وحَفِظَ أعراضَ النَّاسِ وأنسابَهم؛ فنهَى عن الغِيبَة والنَّمِيمَة، والغَمْزِ واللَّمْز، والطَّعنِ في الأحسابِ والأنسابِ، وحرَّم القَذفَ ولعَنَ أهلَه، وشدَّدَ في الزِّنى، وحذَّرَ القُربَ مِنه، ونهَى عن وسائلِه وأسبابِه - مِن الاختِلاطِ، والتَّبرُّج، والنَّظرِ للمُحرَّمات، وفاحِشِ القولِ، وسماعِ المعازِفِ -.

الإسلامُ كرَّم الإنسانَ وشرَّفَه وفضَّله؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾، واستوفَى الحُقوقَ وأنصفَ أهلَها، وشرَعَ بين العِباد ما فِيه صلاحُ معاشِهم ومعادِهم، فأمَرَ ببرِّ الوالدَين، وصِلَة الرَّحِم، ورِعايةِ الذُّريَّة وإصلاحِها، والإحسانِ للجِيران والضُّعفاء، واحتِرام الكبير، ورحمةِ الصغير، وأكرَمَ المرأةَ، وحمَى عِرضَها، وجعلَ لها حُقوقاً ودفعَ ظُلمَ الجاهليَّةِ عنها.

ومِنَ الوفاءِ في الإسلام: حُبُّ نَقَلَةِ هذا الدِّينِ مِن الصَّحابةِ ومَن بعدَهم مِن التَّابِعين، ومِن محاسِنِه: إنزالُ الكِبار منازِلهم؛ فدعَا لتوقيرِ العُلماء والرُّجوع إليهم، وأمَرَ بالنَّصِيحة لولاةِ الأمرِ وطاعتِهم بالمعروفِ والدُّعاءِ لهم، ويَقْدُرُ لحُماةِ الدِّين ومُقدَّساتِه قَدرَهم، والنَّاسُ في الإسلام سواسِيةٌ، لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ إلَّا بالتَّقوَى.

هو دينُ الإحسانِ والرِّفقِ، يدعُو للتَّراحُمِ والتَّكافُلِ والمَحبَّةِ والأُلفة، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**» (متفق عليه)، يأمُرُ بكلِّ ما يُؤلِّفُ بين القُلوبِ، ويدعُو لاجتِماعِ الخَلقِ وائتِلافِهم، وينهَى عن فسادِ ذاتِ البَيْن، ويُحَذِّرُ مِن فُرقةِ العِباد واختلافِهم، ويرفَعُ الأَضرارَ ويدفَعُها، ومِن مقاصِدِه وأُصولِه: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**»، ويحفَظُ الفِطرَ مما يُفسِدُها مِن التَّشبُّه، ومُنكَراتِ الأخلاقِ وسافِلِها، ويدعُو لاحتِرام العُقُودِ والمواثيقِ والوفاءِ بها.

الإسلامُ يُثمِرُ على أهلِه الخيرات؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ العَرَبِ أَوِ العَجَمِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْراً؛ أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الإِسْلَامَ**» (رواه

أحمد)، وهو سبَبٌ للحياةِ الطَّيِّبةِ وسعادةِ الدُّنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾.

وفِيه الأمنُ والاطمِئنان: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، وبِهِ انشِراحُ الصَّدر؛ قال ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، وهو نُورٌ لأهلِه وضِياء؛ قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، يُخرِجُ أهله مِن الظُّلمةِ إلى النُّورِ؛ قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، وفِيه حَلٌّ وتقويضٌ لجميعِ مشاكِلِ العبادِ في دينِهم ودنياهم، وعقائدِهم وسلوكِهم ومعاملاتِهم.

دينُ زكاءٍ وفلاحٍ، و«**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ**»؛ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾، له طعمٌ وحلاوة؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ: مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبّاً، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً**» (رواه مسلم).

وهو عِصمةٌ لأهلِه وأمانٌ؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ**» (رواه النسائي)، مُوجِبٌ للعِزَّة والقوَّة؛ قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

واللَّهُ ناصِرٌ أهله، وهو معهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾، قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: «نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالإِسْلَامِ، فَمَهْمَا ابْتَغَيْنَا العِزَّةَ فِي غَيْرِهِ؛ أَذَلَّنَا اللَّهُ».

بالإسلام الخَلاصُ مِن الذُّنوبِ والآثام؛ قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾، وفي الحديث: «**الإِسْلَامُ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**» (رواه مسلم)، ومَنْ أحْسنَ في الإسلام لم يُؤاخَذْ بما عمِلَ في الجاهليَّة.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالإسلامُ سعادةُ الخَلق، ولا غِنَى لهم عنه، ولا صلاحَ لأحوالِ النَّاسِ إلَّا به، وهو المُخرِجُ مِن الفِتَنِ والمِحَن والمصائِبِ والأحزانِ، وما ابتعَدَ عنه أحدٌ أو تنقَّصَه أو استهزَأَ به أو بأهلِه إلَّا لجَهلِه به، وشرَفُ كلِّ مُسلمٍ التَّمسُّكُ به، والاعتِزازُ بذلك، والثَّباتُ عليه، ودعوةُ الخَلقِ إليه وترغيبُهم فيه، وإظهارُ محاسِنِ الإسلام قَولاً وفِعلاً، سُلوكاً ومنهَجاً، وإذا أرادَ اللَّه بعبدِه خَيراً جعله مِفتاحاً لكلِّ خيرٍ.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

في الإسلام خَيرُ الجزاء وأوفَرُه؛ فالحسنةُ بعشرِ أمثالِها إلى سبع مئة ضِعف، وأجرُ أهلِه ضِعفُ مَنْ سبَقَهم؛ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً؛ يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ**» (رواه مسلم)، وبِهِ دخُولُ الجنَّةِ والنَّجاةُ مِن النَّار؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ**» (متفق عليه).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

حِفْظُ اللَّه لِلدِّينِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللَّهِ نورُ البصائر، وبها تَحْيَا القلوبُ والضَّمائر.

أيُّها المسلمون:

اختار اللَّهُ لعباده ديناً يَتَعَبَّدون به ربَّهم، وبَعَثَ رُسُلاً لتبليغه لهم، واتَّفقت كلمةُ العُلماءِ على أنَّ حفظَ الدِّين رأسُ الضَّروريَّاتِ الخمس؛ فحِفْظُه مُقدَّم على حفظ النَّفس والعقل والعِرْض والمال.

وكانت مُهِمَّةُ حفظ الدِّين في الأُمم السَّالفةِ موكولةً إلى الأنبياءِ وأتباعهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس من شهر ربيع الآخر، سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾، وبعد رَحِيلِهم نالَ دينهم التَّحريفُ والتَّبديل، أمَّا هذه الأُمَّةُ فالَّذي تولَّى حفظ دينها هو اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، ووعْدُهُ يتضمَّنُ حفظَ ألفاظ القرآنِ العظيم ومعانيه، وحفظَ السُّنَّة المُبيِّنة له إلى قيام السَّاعة؛ فانتدب سبحانه لذلك أشرفَ خلقه، وكرَّمهم به، وجعل اشتغالَهم بحفظ دينه من أعظم مناقبهم وأخصِّ مآثرهم.

فاصطفى جبريلَ عليه السلام واسطةً بينه وبين رُسُلِه في تبليغ الدِّين، فَحَفِظَ ما أوحى إليه ربُّه من كلامه سبحانه، ونَزَل به على نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ، وكان يُذَاكرُه القرآنَ كُلَّ عامٍ مَرَّة، وعَرَضَ عليه القرآن عامَ وفاتِه مرَّتين، فأدَّاه على أتمِّ وجهٍ وأكمل صفة، قال جلَّ وعلا: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾.

ولغيره من الملائكة نصيبٌ وافرٌ في حفظ الدِّين؛ فمنهم مَرصُودُون في السَّماء لِحفظِ الوَحْي من استراق الشَّياطين، ومنهم مَنْ نَزَل من السَّماءِ مع الآيات العظام، ومنهم مَنْ قاتل مع النَّبيِّ ﷺ في غزواته؛ حماية للدِّين ونُصرةً لأهلِه.

والأنبياءُ عليهم السلام حَفِظوا الدِّين كما أمَرَهُم اللَّه به، واحتملوا في ذلك من المَشَاقِّ ما لا يُطيقه أحدٌ سواهم؛ فمنهم مَنْ أُوذي، ومنهم مَنْ أُخرِجَ من بلده، ومنهم مَنْ لم يَستجِب أحدٌ لدعوته، ومنهم مَنْ قُتِل، قال سبحانه: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾.

ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ أحرصُ ما يكونُ على حفظِ ما أُنزل إليه من ربِّه؛

فكان يُسابقُ جبريلَ بقراءة القرآنِ إذا ألقاه إليه؛ خوفاً من النِّسيان، فَضَمِنَ له ربُّه أن يُيَسِّر لَهُ حِفْظَه: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾.

وقد لَقِيَ النَّبيُّ ﷺ في سبيلِ حفظِ الدِّين وتبليغِه لأُمَّتِه أشدَّ الأذى؛ فرُمِي بالكذبِ والكهانة، وطُعِن في عقلِهِ وعِرْضِه، وأُخرِجَ من بلَدِه، وعُمِلَ له السِّحرُ، وتَكالبَ عليه الأعداء، وقاتَلَه قومُه فشُجَّ في رأسِهِ وكُسِرت رَبَاعيته، وقُتِلَ أصحابُهُ بين يديه.

وكان النَّبيُّ ﷺ يأمُرُ أصحابَه بِحفظِ القرآنِ وتعاهُدِهِ وأَذِن لهم في كتابتِه وكتابةِ سنَّتِه، وأمرهم بتبليغهما؛ فقال: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**» (رواه البخاري)؛ فَحَرِصَ الصَّحابةُ ﷺ أشدَّ الحرص على حفظِ الدِّين، واعتنوا بذلك عنايةً عظيمة لا يَبلُغُها أحدٌ بعدهم؛ فكتبوا القرآنَ الكريمَ على الجلود والعظام والحجارة، وحَفِظوه في صدورهم، وبلَّغوهُ غَضّاً طريّاً إلى مَنْ بَعْدَهم، ونقلوا إليهم سُنَّة نبيِّهم ﷺ قولاً وفعلاً، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ﷺ: «كُنْتُ أَكْتُبُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فِي صَحِيفَتِي حَتَّى أَمْلَأَهَا، ثُمَّ أَكْتُبُ فِي ظَهْرِ نَعْلِي، ثُمَّ أَكْتُبُ فِي كَفِّي».

وتَحرَّوْا في ذلك غاية التَّحرِّي مع دِقَّةِ نقلِ ألفاظِ الحديث والنُّصح للأُمَّة، قال شيخ الإسلام ﷺ: «وَكُلُّ خَيْرٍ فِيهِ المُسْلِمُونَ اليَوْمَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ - مِنَ الإِيمَانِ وَالإِسْلَامِ، وَالقُرْآنِ وَالعِلْمِ وَالمَعَارِفِ وَالعِبَادَاتِ، وَدُخُولِ الجَنَّة وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ -؛ فَإِنَّمَا هُوَ بِبَرَكَةِ مَا فَعَلَهُ الصَّحَابَةُ الَّذِينَ بَلَّغُوا الدِّينَ».

ثمَّ قيَّضَ اللَّهُ مِنْ بعدِهم علماءَ يَجمعُهم الصِّدقُ في تعليمِ النَّاسِ وحفظِ الدِّين، لم يُخَصُّوا ببلد أو قومٍ أو جنسٍ أو لونٍ؛ بل فيهم الصِّغارُ والكبار، والفقراءُ والأغنياء، والعبيدُ والأحرار، والوُضَعَاءُ والوُجَهَاء، ومنهم الصَّحيح القويُّ، ومنهم الأعمى والأعورُ والأعرج والأصمّ؛ فكتبُوا وحفِظوا وارتحلوا وصبَرُوا على الفقرِ والجوعِ والخوفِ والأذى، وبذلُوا أنفسهم وأموالَهم وأعمارَهم ما جعلَهم آيةً في تحقيق ما وَعَد اللَّه بحفظِهِ من أمر الدِّين.

وتَبحَّرَ كلُّ صنفٍ من العُلماءِ في فنِّه، وكان أكثرُهم جامعين بين أنواعِه مضيفين إليه من علمِ الدُّنيا ما فيه نفعُ الخلق.

فأهلُ القرآنِ والتَّفسيرِ أحصَوا ألفاظَ القرآن وحُروفَه، وبيَّنوا معنى كلِّ كلمةٍ فيه سواءً كانت مفردةً أو مركبة، وَضَبَطُوا قراءاته وما تشابه من آياته، وأتقنوا طرق أدائه، وما يلزم لتجويد حروفه وإحسانِ تلاوته، وشرحوا غريبه واستنبطوا أحكامَه، وحرَّرُوا وقت نزول كل آية ومكانها؛ في سفرٍ أم حضر، وفي صيفٍ أم شتاء، وفي ليلٍ أم نهار، وعلى دابة أم على الأرضِ أو على بِساط، وأسبابَ نزوله ومَنْ نزل فيه، ومواضعَ الوقف والابتداء في كلماته، وشرحوا فضائلَه وآدابَ تلاوتِه وتعلُّمَه وتعليمَه، ودوَّنُوا فيه كلَّ صغيرٍ وكبيرٍ ممَّا يبقى به القرآنُ محفوظَ اللَّفظ والمعنى، قال عليُّ بن عُبيدِ اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَكَثَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً».

وانْبَرَى علماءُ النَّقل والنُّقادِ لعلم الرِّواية والإسناد؛ فطافوا

البلدانَ، وصبروا على مرارة الاغتراب ومُقَاسَاة الأحوال، منهم الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ طاف الدُّنيا مرَّتين حتَّى جمع المسند، فحفِظوا أقوالَ النَّبيِّ ﷺ وأفعالَه وتقريراتِه، وضبطوا ألفاظَه ورواياتِه، واختلافَ الرُّواةِ واتِّفاقَهم وزيادةَ بعضِهم على بعض، فَلَمْ تَفُتْهم من سُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ مقالةٌ ولا حادثةٌ ولا خبرٌ ولا قِصةٌ ولا هيئةٌ ولا صفةٌ ولا شيء، قال أبو حاتمٍ الرَّازيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَوَّلُ مَا خَرَجْتُ فِي طَلَبِ الحَدِيثِ أَقَمْتُ سَبْعَ سِنِينَ أَحْصَيْتُ مَا مَشَيْتُ عَلَى قَدَمَيَّ زِيَادَةً عَلَى أَلْفِ فَرْسَخٍ - أَيْ: أَكْثَرُ مِنْ ثَمَانِيَةِ آلَافِ كِيلُو مِتْرٍ -، وَلَمْ أَزَلْ أُحْصِي حَتَّى لَمَّا زَادَ عَلَى أَلْفِ فَرْسَخٍ تَرَكْتُهُ - أَيِ: العَدَّ -».

جمعوا الحديثَ وصنَّفوه، صحاحاً ومسانيد، سَنَناً ومعاجم ومصنَّفات، انتقوها من آلاف الرِّوايات، ومقدَّمهم في ذلك الإمامُ البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال عن صحيحِه: «صَنَّفْتُ الصَّحِيحَ فِي سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، وَخَرَّجْتُهُ مِنْ سِتِّ مِئَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ، وَجَعَلْتُهُ حُجَّةً بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ»، قال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اتَّفَقَ العُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ أَصَحَّ الكُتُبِ بَعْدَ القُرْآنِ العَزِيزِ: الصَّحِيحَانِ - البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ -، وَتَلَقَّتْهُمَا الأُمَّةُ بِالقَبُولِ».

جهابذةُ العلماء، جَلَّوْا معاني الأحاديث، وتكلَّمُوا على الرُّواة ومراتبهم، وأوضحوا المشكلاتِ، وشرحوا المُبْهَمَات، وكشفوا التَّصحيفَ والتَّحريف، وكانوا حُرَّاساً على السُّنَّة يذبُّون عنها الكَذِبَ والتَّبديل، فلا يَروْجُ عليهم حرفٌ فما فوقه من الكذب، واختصت هذه الأُمَّةُ من بين الأُمم بالإسناد، ومعرفةِ الصَّحيح من السَّقيم، ولم يكن

عند الأُمَم قَبلَنا إسنادٌ ولا تمييزٌ بين أقوالِ أَنبيائِهم وما زِيد فيها، قال سفيانُ الثَّوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المَلَائِكَةُ حُرَّاسُ السَّمَاءِ، وَأَصْحَابُ الحَدِيثِ حُرَّاسُ الأَرْضِ».

وعلماءُ العقيدةِ بيَّنوا مسائلَ الاعتقاد وقرَّروها وجمعوا أدلتَها وَيَسَّرُوها للنَّاس، وأبانوا لهم ربوبيةَ اللَّه وأسماءه وصفاته، وأنَّ ألوهيَّتَه لَازِمةٌ لذلك، وأبطلوا شُبَهَ المُشَبِّهين؛ جامعين بين المنقول والمعقول.

والفقهاءُ مهَّدوا بأفهامِهم الثَّاقبةِ طريقَ الاستنباط من القرآنِ والحديث، ووضعوا للفقه أصولاً، وقواعدَ جامعة، وأشباهاً ونظائرَ، فكانت آلةَ استخراج الأحكامِ من النُّصوص ومِعْيَارَ الفهم الصَّحيح، وبيَّنوا أحكامَ أفعالِ المُكلَّفين، وَفَرَّعوها فروعاً؛ ليسهُلَ الوقوفُ عليها، وقاسوا النَّوازلَ على المنصوصِ، وأوضحوا تفاصيلَ العبادات والمعاملات.

واللُّغةُ آلةُ العلم، بها يُفْهَمُ ويعقلُ ويُبَلَّغُ ويُنقَل؛ فاتَّخذ العلماءُ الوحيَ مصدرَها الأول، ثم تتبَّعوا ألفاظَ اللُّغة من أفواه العرب، فجمعوها ورتَّبوها ودوَّنوا معانيَها وقرَّبوها، وَمَيَّزوا اللَّحنَ من الصَّواب، ووضعوا قواعدَ تَضبطُ الإعرابَ، وتُقيمُ الألسن، وتَحفظُ البيان، وتُدْرَكُ بها بلاغتُه، وتُوزنُ بها فَصَاحتُه.

والتَّاريخُ ديوانُ الخَلِيقةِ ومرشدٌ إلى سننِ اللَّهِ في بَرِيَّتِه، وأشرفُ ما فيه سيرةُ نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ، فدَوَّنَ علماءُ السِّيرة حياةَ النَّبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وشمائلَه

وأخلاقَه وصفاتِه وهيئاتِه، وكلَّ دقيق منها وجليل؛ من اسمهِ ونسبهِ وعمُرِه، ومولدِه ووفاتِه، وبعثتِهِ وما بُعِثَ بِهِ وهجرتِه، وأزواجِه وبنيه وبناتِه، وأصحابهِ وأحبابِهِ، وصفةِ خَلْقه وشمائلِه وخُلُقِه، وَسَرَايَاهُ وغزواتِه، وآنيتِه وسيوفِه ورماحِه، ودوابِّهِ وألوانِ ثيابه وصفةِ نعلِه، ونوعِ الطِّيبِ الذي كان يَتطيَّبُ به، وهيئتِه في نومه، وعددِ أنفاسِه إذا شرب الماء، وصفةِ أكلِه وما كان يُحِبُّ منه، وصفةِ مَشْيِه وضحكِه وبكائِه، وعددِ الشعراتِ البيضِ في لحيتِه ورأسِه.

وما زال العلماءُ قرناً بعد قرنٍ يحفظون الدِّينَ وينقلونه لمن بعدهم، جامعين بين العلم والعبادة؛ كان شيخ الإسلامِ ﷺ إذا صلَّى الفجر جَلَسَ يذكرُ اللَّهَ إلى قريبٍ من انتصاف النَّهار.

دوَّنوا الكتبَ وعلَّموا وبذلوا فيه الأوقات؛ كتب ابن الجوزي ﷺ بيده أكثر من ألفي مُجلَّد، وقال ابنُ كثيرٍ ﷺ عن كتابه جامعِ المسانيد: «لَا زِلْتُ أَكْتُبُ فِيهِ فِي اللَّيْلِ وَالسِّرَاجُ يُنَوْنِصُ - أَيْ: يَضْعُفُ - حَتَّى ذَهَبَ بَصَرِي مَعَهُ»، صبروا على الشَّدائد والمصاعب، أفضى بالإمام مالك ﷺ طلبُ الحديث إلى أن نقضَ سقفَ بيتِه فباع خَشبَه، وقيل للشَّعبيِّ ﷺ: «مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا العِلْمُ كُلُّهُ؟ قَالَ: بِالسَّيْرِ فِي البِلَادِ، وَصَبْرٍ كَصَبْرِ الجَمَادِ».

ومَنْ نَظَرَ في سِيَرِهِم ظنَّ أنَّها ضربٌ من الخيال أو مبالغةٌ في المقال، ولكن هذا حالُ العلماءِ العظام الذين تحقَّق على أيديهم قول النَّبيِّ ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ** - أَيِ: الدِّينُ - **مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ،**

وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ - أَيِ: المُدُنِ - **وَلَا وَبَرٍ** - أَيِ: البَادِيَةِ -؛ **إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ**» (رواه أحمد).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فقد تَفضَّلَ اللَّهُ علينا بحفظ الإسلامِ قروناً متطاولة، فوَصَلَنا غَضّاً طَرِيّاً كأنَّه نزل هذه السَّاعةَ، وسيبقى كذلك إلى قيام السَّاعة، لم تُطمسْ منه شعيرةٌ، ولم يَسقُطْ من القرآن العظيم حرفٌ، ولم يُفقَدْ من السُّنَّة شيءٌ مع مرور الزَّمان وتقلباتِهِ بما فيه من الحوادث والحروب، والفَقْرِ والجوع، والفُرقة والنِّزاع والكيدِ للدِّين، والتَّطاول على أحكامِهِ والسُّخرية بتشريعاتِهِ ورسُولِه.

والمُؤمنُ يسعى غاية جهده ليكونَ ممَّن شَرُفَ بحفظ الشريعة ونقلها؛ بطلب العلم والحثِّ عليه وتنشئة أبنائِهِ على محبة الدِّين وحفظه وتعلُّمه وتعليمه، واقتدائه بمن سلف من علماءِ الأُمَّةِ، ففيه العِزُّ والخير.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

على العبادِ أن يشكروا اللَّه أَنْ حَفِظَ لهم الإسلام، ورزقهم اتِّبَاعَهُ.

وتوقيرُ العُلماءِ من تعظيم اللَّه وتعظيم الدِّين؛ فهم الذين حَمَلوا لنا ميراث النُّبوَّة، وقد أعلى اللَّه شأنهم بقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾، قال الإمامان أبو حنيفةَ والشَّافعيُّ رحمهما الله: «إنْ لَمْ يَكُنِ العُلَمَاءُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ وَلِيٌّ»، وعقيدةُ أهل السُّنَّة والجماعة في العُلماء ما قاله الإمامُ الطَّحاويُّ رحمه الله بقوله: «وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الخَبَرِ وَالأَثَرِ، وَأَهْلُ الفِقْهِ وَالنَّظَرِ، لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَا خَافَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

امتنَّ اللَّه على الخلق بِبعثةِ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ، وجَمعَ له في رسالته بين البِشارة والنِّذارة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾، وأعطاه اللَّه من نعوت الرِّسالة أكملها؛ قال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يَعِزُّ عليه ما يَشقُّ عليكم: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أَيْ: عَلَى هِدَايتِكُمْ وَنَفْعِكُم: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، قال الثَّعلبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يُهِمُّهُ إِلَّا شَأْنُكُمْ؛ فَإِنَّهُ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا دُخُولُكُمُ الجَنَّةَ».

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث والعشرين من شهر جمادى الآخرة، سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

مُشفِقٌ على أُمَّتِه ناصحٌ لهم، ومِنْ كمالِ نُصحِه أن بيَّن لأُمَّته ما يخافُه عليهم من الاعتقاداتِ ومشقَّةِ التَّشريع وتنفير النَّاس عن الإسلام، والدُّنيا وفتنتِها وما يكونُ في آخر الزَّمان وتغيُّر الحال، وعقوبات الدُّنيا والآخرة، وبيانُه ذلك لأُمَّتِه دليلٌ على أنَّها تُبتَلى بها، وتَظهرُ فيها.

فأشدُّ ما خَافَه النَّبيُّ ﷺ على أُمَّتِه من الاعتقادات: وقوعها في الرِّياء بتزيين العباداتِ للآخرين، فقال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **الرِّيَاءُ**» (رواه أحمد)، بل خافَه عليهم أكثرَ من خوفِه عليهم من المسيحِ الدَّجَّال؛ قال ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفَ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَالِ؟** قَالُوا: بَلَى، فَقَالَ: **الشِّرْكُ الخَفِيُّ؛ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**» (رواه أحمد).

وإذا كان خوفُه عليهم من الشِّرك الأصغر شديداً فما الظَّنُّ بخوفه على أُمَّته من الشِّرك الأكبر، قال ابن القيِّم رحمه الله: «التَّوْحِيدُ أَلْطَفُ شَيْءٍ وَأَنْزَهُهُ، وَأَنْظَفُهُ وَأَصْفَاهُ؛ فَأَدْنَى شَيْءٍ: يَخْدِشُهُ وَيُدَنِّسُهُ وَيُؤَثِّرُ فِيهِ، فَهُوَ كَأَبْيَضِ ثَوْبٍ يَكُونُ: يُؤَثِّرُ فِيهِ أَدْنَى أَثَرٍ، وَكَالمِرْآةِ الصَّافِيَةِ جِدّاً: أَدْنَى شَيْءٍ يُؤَثِّرُ فِيهَا».

وشريعةُ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ خاتِمةُ الشَّرائع، اختصت بالكمال والسهولة واليُسر، قال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، وبهذا الأصلِ العظيمِ بُعِثَ عليه الصلاة والسلام لهذه الأُمَّة، قال ﷺ: «**بُعِثْتُ بِالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**» (رواه أحمد).

وقد خَشِيَ ﷺ على أُمَّتِه ما يُضادُّ ذلك من العَنَت والمَشقَّة؛ بأن تُزادَ عليهم الفرائض فيعجِزوا عنها، أو أن تَكثُرَ عليهم الأوامرُ فيُقصِّروا فيها، فراجَعَ ربَّهُ ليلة الإسراء والمعراج لَمَّا فُرِضَتِ الصَّلاةُ خمسين، وسأَلَه التَّخفيفَ لأُمَّتِه حتى صارت خمس صلوات. (متفق عليه).

وكان يَدَعُ بعض الأعمال مخافة أن تُفْرَضَ عليهم؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدَعُ العَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ، فَيُفْرَضُ عَلَيْهِمْ» (متفق عليه).

وقد يعملُ العملَ الصَّالح، فإذا تسابقَ النَّاسُ عليه - وهو شاقٌّ - لم يفعلْه معهم؛ لئَلَّا يُفْرَضَ عليهم؛ فقام ليالي من رمضان في المسجد؛ فائْتمَّ النَّاس بصلاته، فترك الخروجَ عليهم، ثمَّ قال: «**خَشِيْتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ؛ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا**» (متفق عليه).

وكان لا يعملُ أمامَ أصحابِه أعمالاً مخافة أن يُثَقِّلَ على أُمَّته؛ قالت عائشة رضي الله عنها عن الرَّكعتين بعد العصر: «كَانَ يُصَلِّيهِمَا وَلَا يُصَلِّيهِمَا فِي المَسْجِدِ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُثَقِّلَ عَلَى أُمَّتِهِ، وَكَانَ يُحِبُّ مَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ» (رواه البخاري).

وكان يختارُ لنفسه ولأُمَّتِه ما كان أيسرَ وأسهلَ من غير أن يُقارب إثماً؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً؛ فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ» (متفق عليه).

والإسلامُ يَتَأَلَّفُ النَّاسَ ويُرَغِّبُهم الدُّخول فيه لِمَا فيه من سعادتهم في الدَّارين، واللَّهُ جعل أحدَ مصارفِ الزَّكاة: المؤلَّفةَ قلوبهم؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾، وكان ﷺ يُعطِيهِم من الفَيْء عطاءَ مَنْ لا يخشى الفقر، ويبذل أيضاً للمسلمين ما يُثَبِّتهم على الدِّين.

وخشي النَّبِيُّ ﷺ على أُمَّتِهِ ما يُنَفِّرها عن الإِسلام، فترك إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم بعد فتح مكَّة، وقال: «**مَخَافَةَ أَنْ تَنْفِرَ قُلُوبُهُمْ**» (متفق عليه).

واللَّه زيَّن الدُّنيا وهيَّأها وجعلَها مَعْبراً للآخرة، وقد خاف النَّبيُّ ﷺ على أُمَّته أن تَفْتِنَهم الدُّنيا عن حقيقة الاستعداد لِمَا بعدها؛ فقال ﷺ: «**إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ**، قِيلَ: وَمَا بَرَكَاتُ الأَرْضِ؟ قَالَ: **زَهْرَةُ الدُّنْيَا**» (متفق عليه).

وخشي النَّبيُّ ﷺ على أُمَّته التَّنافُسَ على الدُّنيا أشدَّ من خشيته عليها من الفقر؛ فقال: «**وَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتَهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**» (متفق عليه).

والحياةُ دار اختبارٍ وفتنة، يُبتَلى العبادُ كلُّهم فيها بأنواع الفِتَن؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَالحَصِيرِ؛ عُوداً عُوداً**» (رواه مسلم)، قال النَّوويُّ رحمه الله: «أَيْ: تُعَادُ وَتُكَرَّرُ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ».

وأخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ الفِتَنَ كثيرةٌ كمَوَاقِعِ القَطْر، ومنها كبارٌ، ومنها فِتَنٌ تَمُوج كمَوْجِ البحر، وقد خشي ﷺ على أُمَّته الوقوعَ فيها والتَّأَثُّر بها؛ فقال: «إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ: شَهَوَاتِ الغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ، وَمُضِلَّاتِ الفِتَنِ» (رواه أحمد)، وكان ﷺ يَتعوَّذُ باللَّه منها في صلاتِه، يقول: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ» (متفق عليه).

وأمرَ أصحابه بالتَّعَوُّذِ منها؛ قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: «أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ منها وَمَا بَطَنَ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» (رواه مسلم).

والمَسيحُ الدَّجَّالُ خَلْقُه كبيرٌ، قال عنه تميمٌ الدَّاريُّ رضي الله عنه لمَّا رآه: «أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقاً» (رواه مسلم)، ويوشِك أن يُؤذَنَ له في الخروج، وإذا خرج يَفِرُّ النَّاسُ منه في الجبال، وفتنة الدَّجَّال فتنةٌ كبيرة؛ قال ﷺ: «مَا كَانَتْ فِتْنَةٌ وَلَا تَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَكْبَرَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَلَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ حَذَّرَهُ أُمَّتَهُ» (رواه أحمد).

وقد خشي ﷺ على أُمَّته منه؛ فقال: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ! إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» (رواه مسلم).

والعلماءُ الرَّبَّانيُّون ورثةُ الأنبياء، يَخْشَوْن ربَّهم ويُبَيِّنون للنَّاس دينَهم، وقد خاف النَّبيُّ ﷺ ممَّن يُزيِّن الباطل ويكتمُ الحق؛ قال ﷺ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: الأَئِمَّةُ المُضِلُّونَ» (رواه أحمد).

وخوفُ الرَّسول ﷺ على مَنْ يُضِلُّ الأمَّةَ أشدُّ مِنْ خوفِه عليهم من الدَّجَّال؛ قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **لَغَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَى أُمَّتِي** - قَالَهَا ثَلَاثاً -، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا هَذَا الَّذِي غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: **أَئِمَّةً مُضِلِّينَ**» (رواه أحمد).

واللِّسانُ أعظمُ الجوارح خطراً وأقواها أثراً، وقد خاف النَّبيُّ ﷺ على أُمَّته غَوَائِلَ ألسنتِها؛ قال سفيان بن عبد اللَّه الثَّقفي رضي الله عنه: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: **قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: **هَذَا**» (رواه الترمذي).

وكان النَّبيُّ ﷺ يَخافُ على أُمَّته أن تُعاجَلَ بالعقوبةِ أو تُفَاجَأَ بالعذاب؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: **لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ! كَمَا قَالَ قَوْمُ عَـــادٍ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**» (رواه مسلم).

وكما خاف النَّبيُّ ﷺ علينا عقوباتِ الدُّنيا خاف علينا عذابَ الآخرة؛ قال عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «تَلَا النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ اللَّهِ عز وجل فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وَقَـالَ عِـيسَـى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ

عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، فرفع يديه وقال: **اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**، وبَكَى، فقال اللَّهُ ﷻ: **يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟** فأتاه جبريلُ ﵇، فسأله فأخبره رسولُ اللَّهِ ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال اللَّهُ: **يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ**» (رواه مسلم).

ويومَ القيامة يُكْرِمُه ربُّه بالمَقام المَحمُود؛ فيَأذنُ له في الشَّفاعة لَدَيه، فما يَلْبَثُ أن يَخِرَّ ساجداً بين يَدَيْ ربِّه فيَفتحُ اللَّهُ عليه من مَحَامِدِه والثَّناءِ عليه شيئاً لم يكن يُحسِنه قبل ذلك، ثمَّ يقول له ربُّه: «**يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**، فيَقُولُ: **يَا رَبِّ! أُمَّتِي أُمَّتِي!**» (متفق عليه).

ولمَّا وَصَف ﷺ لأمته مَشْهَد العبور على الصِّراط في الآخرة، وتَخَطُّفَ الكلاليبِ للعباد تُلْقِيهم في نار جهنَّم، وما يَعتَري العبادَ عندئذٍ من الهَلَع والفَزَع والخوفِ على أنفسهم؛ بيَّن أنَّه في ذلك الموقف العظيم خائفٌ على أُمَّته؛ فقال: «**وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ! سَلِّمْ سَلِّمْ!**» (رواه مسلم).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فاللَّهُ حذَّر من اقتراف الذُّنوب كلِّها، وأمَرَ باجتنابها؛ قال سبحانه: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾، وما خافه النَّبيُّ ﷺ على أُمَّته أَحقُّ بالحذر، وممَّا وصَّى به النَّبيُّ ﷺ أُمَّته: التَّمسُّك بهديه والعَضُّ على نصائحه بالنَّواجِذ؛

قال ﷺ : «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**» (رواه أحمد).

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

لا تَتِمُّ النِّعمُ إلَّا بالإيمان، قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾، وكلُّ مسلم مأمورٌ أن يَدعوَ ربَّه بالهداية في كلِّ صلاةٍ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، وعلى المؤمن أَنْ يخافَ مِنْ فَقْدِ هذه النِّعمة أو نُقصانِها، فالْزَمْ هديَ النَّبيِّ ﷺ وسُنَّته، واحذَرْ ممَّا حذَّرَك منه، وخَفْ ممَّا خافَ عليك؛ لِتَأْمَنَ في الآخرة إذا خاف النَّاس، فطاعة اللَّهِ ورسولِه جالبة للأمن؛ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَكَانَةُ المُسْلِمِ عِنْدَ اللَّهِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ بهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى في اتِّباعِ الهدى، والعمَى في اتِّباعِ الهوى.

أيُّها المسلمون:

خلقَ اللَّهُ آدمَ بيدَيْه وأمرَ الملائكةَ بالسُّجودِ له: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، فاستحقَّ الإبعادَ من رحمة اللَّه، وسُنَّةُ اللَّه في خلقه: أنَّ مَنْ أطاعَ ربَّه واتَّبع رُسُلَه؛ فاز بالسَّعادَة في الدَّارَيْن، ومَنْ عَصَى واستكبرَ ولم يتَّبع المُرسَلين؛ كان من الأشقِياء الهالكين، قَالَ سبحانه: ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع والعشرين من شهر ذي الحِجة، سنة سبع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وقد أعلى اللَّهُ مكانَةَ المُؤمِنين المُوحِّدين؛ فأمر الملائكة بالدُّعاء لهم ولِذُرِّيَّاتهم وزوجاتهم؛ قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۞ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

ودَعا الأنبياءُ لِكلِّ مؤمِنٍ ومؤمنةٍ بالمغفرة؛ فقال نوح ﵇: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾، وقال اللَّه لنبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾.

وأحبَّ اللَّهُ المُؤمنَ وقرَّبَه إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، وأيَّده ونَصرَه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وهو سبحانه مع المُؤْمِنين بالتَّأييد والتَّثبيت: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾، وأنزل جنوداً من السَّماء لِنُصْرَتِهم: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾، وقَلَب نِعَماً في الأرض نِقَماً على أعداء المسلمين؛ فجعل نسيمَ الرِّياح ريحاً صَرصَراً على من عاداهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾، واللَّهُ يرمِي سَهمَهم ويُسدِّدُ نَبْلَهم: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾، وهو الذي يَكشِفُ كُرَبَهم ويَهدِيهم في الشَّدائد: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾، وهو الذي يَنتصِرُ لهم على عدوِّهم، قال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً؛ فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**» (رواه البخاري).

وجعَلَ لهم المَودَّةَ والمَحبَّةَ والقَبولَ في قلوب العباد، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾، ويُثبِّتُ اللَّهُ أقدامَهم ويُسدِّدُ أقوالَهم ويَربِطُ على قلوبهم: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾.

واللَّهُ يَتولَّى حِفظَ ذُرِّيَّةِ المُسلم ونَسْلِه - ولو بعدَ قُرون - بِبَركة عملِه الصَّالح: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾، والمُؤمنُ موعودٌ بالحياةِ الطَّيِّبة: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾.

وجعل سبحانَه أعمالَ المُسلمِ في حياته وبعد مماته مُباركة؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْساً، وَلَا يَزْرَعُ زَرْعاً، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**» (رواه مسلم).

والقُرْبُ من المُؤمنِ خير، وزيارتُه من أجلِّ العبادات؛ قال المصطفى ﷺ: «**إِذَا زَارَ المُسْلِمُ أَخَاهُ فِي اللَّهِ عز وجل، أَوْ عَادَهُ، قَالَ اللَّهُ عز وجل: طِبْتَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلاً**» (رواه أحمد).

وبياضُ لِحْيَتِه ورأسِه ضياء؛ فنهى النَّبيُّ ﷺ عن نَتْفِ الشَّيْبِ وقال: «**إِنَّهُ نُورُ المُسْلِمِ**» (رواه الترمذي).

وجميعُ أحوالِه وتقلُّباتِه في الدُّنيا - من الأَحْزانِ والأَفْراح - خيرٌ له؛ قال المصطفى ﷺ: «**عَجَباً لِأَمْرِ المُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ**

ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ» (رواه مسلم).

وأعمالُه الصَّالحة مُضاعَفةٌ، ومصائبُه مكفِّرةٌ لسيِّئاته؛ قال ﷺ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ؛ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا» (متفق عليه)، ومَرَضُهُ ذُخرٌ له عند ربِّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَرَضُ المُسْلِمِ يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ خَطَايَاهُ كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ» (رواه أبو داود).

وعَيْنَاه إنْ فَقَدَهما عَوَّضَه عنهما الجنَّة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ؛ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ» (رواه البخاري).

وجَسدُه طاهرٌ حيّاً وميِّتاً؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ المُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ» (متفق عليه)، ولا يُغسَّل أحدٌ من ذرّيّة آدم بعد وفاتِه سِوى المسلِم، ومَنْ تَبع جنازَتَه وكان معها حتى يصلَّى عليها ويُفْرَغَ من دفنِها؛ رجع من الأجر بقيراطين، وكَسْرُ عظمِه بعد موتِه كَكَسْرِه وهو حيٌّ، ودِيتُه على الضِّعْف من ديةِ غيره.

ولفضلِ اللَّه عليه جعل أعماله الصَّالحة تجرِي أجورُها له وهو في قبره «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (رواه مسلم).

وجنَّاتُ النَّعيم أعِدَّت له: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، والملائكةُ على أبوابِ الجِنان تُسلِّم عليهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

وجماعُ الشَّرِّ في احتقارِ المسلم وازْدِرَائِه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**» (رواه مسلم).

ولِحُرْمَتِه عِندَ اللَّه أمَرَ أن تَكونَ نفسُ المسلم مُطمئنَّةً في الحياةِ، فلا تُراعُ ولا تُؤذَى؛ بل كلُّ أمرٍ يُخشى أن يَنالَه أذًى منه نهى اللَّه عنه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنَا أَوْ أَسْوَاقِنَا بِنَبْلٍ؛ فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا** - أَوْ قَالَ: **فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ** -؛ **أَنْ يُصِيبَ أَحَداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ**» (متفق عليه).

والملائكةُ تَلعَنُ من أشار على مسلم بحديدة؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ**» (رواه مسلم)، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَرْوِيعُ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ»، ونَهَى النَّبيُّ ﷺ عن كلِّ فعلٍ يُحْزِنُه؛ فقال: «**إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْزِنَهُ**» (متفق عليه).

وإن وَقَعَتْ منه هَنَّةٌ أو هَفوَة فالسِّترُ عليه سِترٌ يومَ القيامة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً؛ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» (متفق عليه).

وإذا تكالَبَتْ عليه النَّوائِبُ فأزِيلَت عنه كُربةٌ؛ انفَرَجَت على مَنْ أَعانَه كربةٌ يومَ القيامة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً؛ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» (متفق عليه).

وأذِيَّتُه باللِّسانِ مُحرَّمَة؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**قِتَالُ الْمُسْلِمِ كُفْرٌ، وَسِبَابُهُ**

فُسُوقٌ» (متفق عليه)، ولَعْنُه كقَتْلِه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «لَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ» (متفق عليه)، ومَنْ قَذَفَه بغير بيِّنةٍ جُلِد ثمانين جَلْدَة.

وتوعَّد اللَّه من آذاه بالنَّكال والعذاب؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟﴾ أي: عـــذَّبـــوا ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾.

ومال المسلم مُصانٌ، لا يُسْلَب ولا يُنهَب ولا يُغْتَصب؛ «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» (رواه مسلم).

ومَنْ حَلَفَ يميناً بغيرِ حقٍّ لِيَأْخُذَ مالَ أخيه المسلم؛ أكبَّه اللَّه في النَّارِ؛ قال ﷺ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ؛ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِنْ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ» (رواه مسلم).

ومالُه محترَمٌ بعد مماته؛ فلا يحِلُّ مالُه لأحدٍ إلَّا لورثته ممن كان على الإسلام؛ قال ﷺ: «لَا يَرِثُ المُسْلِمُ الكَافِرَ، وَلَا الكَافِرُ المُسْلِمَ» (متفق عليه).

وأمَّا دِماء المسلمين فشأنُها عندَ اللَّه عظيمٌ؛ فهي أوَّلُ ما يُفْصَل فيها من الخصومات؛ لعظيم أمرِها وكبيرِ خطَرِها، قال ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالدِّمَاءِ» (متفق عليه)، ودمُ المسلم أعزُّ الدِّماء عند اللَّه؛ قال ﷺ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» (رواه الترمذي)، قال الطّيبيُّ رحمه الله: «مَنْ حَاوَلَ قَتْلَ مَنْ خُلِقَتِ الدُّنْيَا لِأَجْلِهِ؛ فَقَدْ حَاوَلَ زَوَالَ الدُّنْيَا»، ومَنْ تعدَّى على نفسٍ مسلمةٍ فكأنَّما تعدَّى

على الخلقِ كلِّهم؛ قال ﷻ: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾.

ودمُ المسلِمِ لا يُستباح إلَّا بإحدَى ثلاثٍ؛ قال ﷺ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؛ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ الجَمَاعَةَ**» (متفق عليه)، وسَفكُ دمِ المسلم موجِبٌ لغضب اللَّه ولعنتِه؛ قال ﷻ: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾، قال القُرطبيُّ رحمه الله: «لَيْسَ بَعْدَ الكُفْرِ أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

ومع علوِّ مكانة المسلمين المُوحِّدين عند اللَّه؛ إلَّا أنَّ دماءَهم تَنْزِفُ في بلدانٍ ليلاً ونهاراً سِرّاً وجهاراً، يُصبحُ الرَّجلُ حزيناً ويمسِي خائفاً، ويُمسي جريحاً ويُصبِحُ قتيلاً، تُسلَبُ الأموال، وتُنتَهبُ الممتلكات، وتُتلَفُ الخيرات، وتُغتَصَبُ المُدَّخرات، وتُقتَلُ الذَّرَاريّ وتُرَمَّلُ النِّساء، ويُيَتَّمُ الصِّبيان، ويُسقَمُ الصَّحيح، ويُفْقَرُ الغنيُّ، ويؤسَرُ الحرُّ ويُستَذَلُّ العزيز، وتُبدَّلُ الشَّرائع وتُطمَسُ معالم الدِّين.

أخبارٌ متوالِيةٌ مفجِعَة، وأحداثٌ متتالِيَةٌ موجِعة، أَلَا فَلْيَكُفَّ الجميعُ عن إراقةِ دِماء المسلمين، وَلْيَرْجِعوا إلى رُشدهم، وَلْيَنبُذوا الظُّلم، وَلْيَنْهَلوا من مَنْبَع العدل والإسلام، وَلْيَعمَلوا بوصيَّة النَّبيِّ ﷺ: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**» (متفق عليه).

ولقد عاشَ غيرُ المسلمين أحقاباً مِن الزَّمان تحتَ رايَةِ المسلمين بأمنٍ وأمانٍ واطمِئنان، وحقٍّ محفوظٍ لهم من غير بخسٍ ولا ظُلمٍ ولا قتلٍ، فلِمَ لا يُنشَرُ الأمنُ والرَّغَد على الشُّعوبِ المسلمة؛ لتعبدَ ربَّها كما أمر، وتُسدِيَ الخيرَ للشُّعوب كافَّة؟!

واللَّهُ مطَّلِعٌ على من ظَلَم، وأخذُه أليمٌ شَديد، ونصرُه للمستضعفين إذا الْتَجَؤوا إليه قريب.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآنِ العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشَأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيُّها المسلمون:

الأيَّام واللَّيالي مَطيَّةُ العبدِ فيها إلى ربِّه، وكلُّ يومٍ وليلةٍ مرحلةٌ من المراحل، فلا يزالُ يطويها مرحلةً بعد مرحلةٍ حتى ينتهيَ سَفرُه ويُطوَى عمرُه، والكيِّسُ الفَطِنُ هو الذي يَجعَلُ كلَّ مرحلةٍ نصبَ عينَيْه، فيعطيها حقَّها من العِبادة والطَّاعةِ والبَذلِ والإحسان، ومَنْ تَيقَّنَ قِصَرَ الحياة وسرعةَ انقِضائِها هانَ عليه العملُ.

والطَّالبُ الصَّادقُ في طَلَبِه كلَّما نَقَص شيءٌ مِن دُنياه جعله زيادةً في آخرَتِه، وكلَّما مُنِع شيئاً من لذَّاتِ دُنياه جعَله زيادةً في لذَّات آخرته، وكلَّما ناله همٌّ أو غَمٌّ جعَله في أفراحِ آخرته.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أُسُسٌ فِي السَّعَادَةِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ بهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللَّهِ طريقُ الهدى، والإعراضُ عنها سبيلُ الشَّقاء.

أيُّها المسلمون:

راحةُ القلبِ وَطُمَأْنينةُ البالِ مطمعُ كلِّ البشر، ولَنْ تتحقَّقَ سعادةٌ إلَّا باستقامة، وما أحوجَ كلَّ مجتمعٍ للبحثِ عن صلاحِه وسعادتِه، وصلاحُ المجتمع وسعادتُه لا تكون إلَّا باللَّه وتعلُّقِ القلبِ به وتفويضِ الأمور إليه؛ قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: بِشِرْكٍ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، قال شيخ الإسلام ﵀: «الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ: هُوَ جِمَاعُ السَّعَادَةِ وَأَصْلُهَا»، فلا سعادةَ بلا إيمان.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع عشَر من شهر جمادى الآخرة، سنة ثمان وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والقرآنُ وتلاوتُه والعملُ به: أصلُ الهدايةِ والاستقامة؛ قال سبحانه: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

والصَّلاة عَمودُ الدِّين وعِمادُ الصَّلاح؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾.

والخوفُ من اللَّه يجْمَحُ النَّفسَ عن العصيان: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكرِ رُكنٌ من الدِّين متين، وهو عونٌ للمُقصِّرين، وشرفٌ للآمرين، حتمٌ على الذَّكَر والأنثى، عَلَتْ به هذه الأُمَّةُ على الأُمَم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.

والنَّصيحةُ هي الدِّين، تُقَوِّمُ الجَانح، وتُذكِّرُ الغافل، حاجةُ الوُلاةِ والعَامَّةِ إليها سواء؛ قال ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**» (رواه مسلم).

والدِّينُ الخُلُق، فمَنْ زادَ عليك في الخُلُق زادَ عليكَ في الدِّين، وحُسنُ الخُلُق يَكتَسِبُ به العبدُ كمالَ الإيمان؛ قال ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَاناً: أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً**» (رواه الترمذي).

والتَّوبةُ فتحٌ لبابِ الآمال، ومحوٌ للآلام، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَيُغْلَقُ بَابُ الشُّرُورِ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ».

والقُرْبُ من العلماء تَزَوُّدٌ من الفضائلِ والمحاسنِ، وسُموٌّ بالرُّوح إلى المعالي؛ قال الشَّعْبيُّ رحمه الله: «جَالِسُوا العُلَمَاءِ؛ فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ حَمِدُوكُمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ تَأَوَّلُوا لَكُمْ وَعَذَرُوكُمْ، وَإِنْ أَخْطَأْتُم لَمْ يُعَنِّفُوكُمْ، وَإِنْ جَهِلْتُمْ عَلَّمُوكُمْ، وَإِنْ شَهِدُوا لَكُمْ نَفَعُوكُمْ».

والنَّظرُ في سيَرِ الأنبياءِ والصَّحابةِ والصَّالحين يُعْلِي الهِمَمَ ويَحْدُو بالسَّيْرِ على خُطاهم إلى الآخرة؛ قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾.

وذِكرُ اللَّه يَشرحُ الصُّدورَ ويُنيرُ القلوب: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾.

وإحياءُ العلمِ في البيوتِ حياةٌ لها، وقد دَأَبَ على ذلك النَّاصحون؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**» (رواه مسلم).

وسلامةُ القلب من الحَسَدِ والضَّغائنِ تَفْتحُ أبواباً من الخير، قال اللَّهُ عن إبراهيمَ عليه السلام: ﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾، وصَفَاءُ القلبِ كنزُ الآخرة، يدفعُ الجوارحَ لفعلِ الطَّاعات: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾.

والكسبُ الحلالُ بركةٌ في المال، وصلاحٌ في الذُّرِّيَّة، قال بعضُ السَّلف: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حِلَّ مَكْسَبِ الرَّجُلِ مِنْ أَوْلَادِهِ»، والقَناعةُ بالرِّزقِ مَنْعٌ من وقوعِ النَّفسِ في جمع ما حُرِّم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ**» (رواه مسلم).

وحفظُ المالِ من الإسْرَافِ والتَّبذيرِ بُعْدٌ عن أُخُوَّةِ الشَّيطان؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾.

والإحسانُ إلى الضُّعفاءِ والمَحاويجِ - من ذَوِي القُرْبَى وغيرِهم - يُذكِّرُ بالنِّعمةِ ويُقرِّبُ من اللَّه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** - وَأَحْسِبُهُ قَالَ: - **وَكَالقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ**» (متفق عليه).

وزيارةُ المريضِ تُدْنِي من الرَّبِّ، قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ! كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَاناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟!**» (رواه مسلم)، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ عِنْدَ المُبْتَلَى بِالمَرَضِ رَحْمَةً مِنْهُ لَهُ وَخَيْراً وَقُرْباً مِنْهُ؛ لِكَسْرِ قَلْبِهِ بِالمَرَضِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ عِنْدَ المُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ».

والرِّضا بالمكتوبِ من الأقدار سكونٌ؛ يبعث على الفأل، والتَّعلُّقِ باللَّه، والطُّمأنينةِ في الحياة؛ «**وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ؛ رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**».

والجليسُ الصَّالحُ معينٌ على الهدايةِ والثَّبات: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾، ورفيقُ السُّوءِ رفيقُ حسرةٍ وندامةٍ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.

والاستماعُ إلى المَعَازفِ حسرةٌ في القلب، وضَعْفٌ عن الطَّاعة؛ قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «هُوَ وَاللَّهِ الغِنَاءُ».

وغضُّ البصر حلاوةٌ في الإيمان، ونورٌ في القلب، وزكاءٌ للنَّفس؛ قال ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ﴾.

والبُعْدُ عن الفتنِ دواءٌ للرُّوح من اتِّباعِ الهوى، ويَجْلِبُ الفرحَ والسُّرور، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً لِغَيْرِ اللَّهِ؛ عُذِّبَ بِهِ».

وحقُّ الأبناءِ: إحسانُ تربيتِهم، ومِمَّا يُسأَلُ عنه الوالدان يوم القيامة صلاحُ أولادهم؛ «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ وَالأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» (متفق عليه)، والغَفْلةُ عن الأبناء والبُعدُ عنهم لا يُسقِطُ الواجب، ولا يَحْجُبُ المساءلة من اللَّه.

وإصلاحُ ما بين الزَّوْجَيْن من شِقَاقٍ صَلاحٌ للأولاد، فقد جاء هَجْرُ الزَّوجِ لزوجتِه في المضجع عند الحاجة إليه؛ لِيُخْفَى عن الأولاد ما قد يكون بينهما: ﴿فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ﴾.

وحجابُ المرأةِ سِترٌ لها وحمايةٌ من الفِتْنَة، وعَفافُها وسِترُها من صلاح المجتمع والأفراد ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ﴾، وتساهُلُها في حجابِها أو

اختلاطُها بالرِّجال الأجانب فِتَنٌ وآفاتٌ وشُرُور؛ قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَمْكِينُ النِّسَاءِ مِنِ اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ أَصْلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَشَرٍّ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُزُولِ العُقُوبَاتِ العَامَّةِ، كَمَا أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ فَسَادِ أُمُورِ العَامَّةِ وَالخَاصَّةِ، وَاخْتِلَاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ سَبَبٌ لِكَثْرَةِ الفَوَاحِشِ، وَالزِّنَى مِنْ أَسْبَابِ المَوْتِ العَامِّ وَالطَّوَاعِينِ المُتَّصِلَةِ».

واللُّجوءُ إلى اللَّهِ بالدُّعاءِ بالهدايةِ يسدِّدُ الأسباب، ويحقِّقُ المَرام، دعا زكريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّه فقال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

والسَّعيدُ مَنْ هُدِيَ وأَصلَح جوارحَه، والشَّقيُّ مَنْ حُرِمَ واتَّبعَ هواه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

الاستقامةُ على أوامرِ اللَّهِ تَفتحُ على العبادِ بركاتٍ من السَّماءِ والأرض؛ قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

والفَطِنُ مَنْ جعلَ سعادتَه في دنياهُ موصولةً بآخرتِه، واجْتَهَدَ في صلاحِ نفسِه وأَصْلَحَ غيرَه؛ قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، والمُوفَّقُ مَنْ أَصْلَحَ نفسَه ودعا غيرَه للطَّاعاتِ - مِنْ أَهْلِه وولدِه وقَرَابتِه وإخوانِه المسلِمين -، وعَلِمَ أنَّ الحَيَاةَ قَصِيرة، واغْتَنَمَ أوقاتَه بالصَّالحات، ودَانَ نفسَه، وعملَ لِمَا بعد الموت، ولم يُتْبِعْ نفسَه هواها، أو يَتمنَّى على اللَّه الأماني.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

البِشَارَةُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابِه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوَى؛ ففي التَّقوى زيادةُ النِّعَم ودفعُ النِّقَم.

أيُّها المسلمون:

دينُ الإسلام دينُ الفِطرة، يدعُو إلى حُسن المُعتقَد، وجمال الأخلاق، ومحامِدِ الصِّفات، يُلامِسُ طِباعَ الإنسان، ويُفرِحُه في حالِه، ويحُثُّه على التَّفاؤُلِ بمآلِه، وبِشارةُ الخلقِ بما يسُرُّهم عِبادةٌ للَّه وقُربةٌ، قال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقد وصَفَ اللَّه نفسَه بذلك فقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾.

ولعظيمِ منزلةِ البِشارة في النُّفوس أتَت الملائكةُ بها؛ قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع عشَر من شهر جمادى الأولى، سنة أربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ومِنْ مَقاصِدِ إرْسالِ الرُّسُل: البِشارةُ لعبادِ اللَّه المُؤمنين؛ قال سبحانه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، وجاء عيسى ﷺ بالبِشارةِ؛ فقال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾، وأرسَلَ اللَّهُ نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ مُبشِّراً لأُمَّته بالفضائِل وجنَّات النَّعيم؛ قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، وكان النَّبيُّ ﷺ كثيرَ البِشارةِ لأصحابِه، جاءَه مالٌ مِن البَحرَين فقال لهم: «**أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ**» (متفق عليه).

ومِن هَديه ﷺ: بَعْثُ الدُّعاة في الآفاقِ لتبشيرِ النَّاسِ بنِعمةِ الإسلام؛ فقال لمُعاذِ بنِ جبلٍ وأَبي مُوسَى ﵄ لمَّا بعَثَهما إلى اليَمَن: «**يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا**» (متفق عليه).

وقد أخبَرَ اللَّهُ أنَّ مِن صِفاتِ المُؤمنين بِشارةَ بعضِهم بعضاً؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يفرَحُون ويُبشِّرُ بعضُهم بعضاً بما مَنَّ اللَّه به عليهم.

وفي دينِ الإسلام بِشاراتٌ مُتتابعةٌ لأهلِه، وأعظمُ البُشرى هي لمَن حقَّقَ التَّوحيدَ لربِّ العالَمين؛ قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾.

وإذا استقامَ العبدُ على طاعةِ اللَّه وتوحيدِه فله بُشرَى عند اللَّه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾،

ومَنْ لقِيَ اللَّهَ لا يُشرِكُ به شيئاً فبشارتُه الجنَّة، قال جبريلُ عليه السلام للنَّبيِّ ﷺ: «**بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً؛ دَخَلَ الجَنَّةَ**» (متفق عليه).

ومَنِ اتَّبع القُرآنَ والسُّنَّةَ بشَّرَه اللَّه بالمغفِرَة والأجرِ العظيم؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾، ورأسُ الهُدى: علمٌ يصحَبُه عملٌ، والمُوفَّقُ لذلك مِن المُبشَّرين؛ قال سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾.

والمُسلمُ الخاضِعُ لربِّه، المُستسلِمُ لأمرِه، المُتواضِعُ لخلقِه ينالُ البِشارةُ؛ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾.

ومَن أصابَتْه مُصيبةٌ ففوَّضَ أمرَه إلى اللَّه وصبَرَ على قضاءِ اللَّه وقَدَره؛ فله بُشرَى مِن ربِّ العالمين؛ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

والإحسانُ مع اللَّه وخلقِه عاقبتُه خيرٌ في الدُّنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

والمُؤمنُون مُبشَّرُون بحياةٍ طيبةٍ وجزاءٍ عظيمٍ؛ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾، ومِن فضلِه عليهم: بِشارتُهم بما وعدَهم اللَّه به مِن الجنَّة وجميعِ ما يتمنَّونَه فيها؛ قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۞ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ﴾.

وتتوالَى عليهم البِشاراتُ في الحياةِ وبعد الممات؛ قال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾، وإذا حضَرَ المُؤمنَ الموتُ بُشِّرَ بأعلى المنازِل؛ قال ﷺ: «**المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ**» (رواه البخاري)، وتقولُ الملائكةُ: «**اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الجَسَدِ الطَّيِّبِ، وَاخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: مَرْحَباً بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ ﷻ**» (رواه أحمد).

وإذا قامَت السَّاعةُ ظهَرَت على وجوهِ المُؤمنين البِشارة؛ قال تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۝ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾، ولهم بُشرَى في أشدِّ المواقِفِ حين يكونُ الناسُ على الصِّراط فوقَ جهنَّم؛ قال سبحانه: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾، وإذا دخلُوا الجنَّةَ فلهم عند ربِّهم جزاءٌ موفُور؛ قال ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾.

والمُسلمُ يُحبُّ لإخوانِه ما يُحبُّ لنفسِه، ويسعَى لبذلِ ما يُسعِدُهم،

ومِن أيسَرِ أبوابِ كسبِ القُلوب: بِشارةُ النَّاسِ بالخير، فإذا تجدَّدَت لغيرِك نِعمةٌ دينيَّةٌ أو دُنيويَّةٌ فبشِّرهُ بها؛ فقد بشَّرَت الملائكةُ إبراهيم عليه السلام بغُلامٍ يُولَدُ له - وهو إسماعيل -، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾، وبشَّرَتْه الملائكةُ أيضاً بإسحاقَ عليه السلام، وأنَّه سيكونُ نبيّاً، قال عز وجل: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وبُشِّر زكريا عليه السلام بأنَّه سيُرزَقُ بولدٍ بعد يأسٍ ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

ونزلَ ملَكٌ على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم لم ينزِل مِن قبلُ قطُّ، فقال له: «**أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ؛ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**» (رواه مسلم).

ومِن هَديه عليه الصلاة والسلام: بِشارةُ مَن انكشَفَت عنه كُربةٌ؛ قال لعائشةَ رضي الله عنها: «**أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ! أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ**» (متفق عليه)، ولنُصْرَةِ خديجَةَ رضي الله عنها للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وتثبيتِها له بُشِّرَت ببيتٍ في الجنَّة؛ نزلَ جبريلُ عليه السلام على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقال: «**هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ** - أَيْ: مِنْ لُؤْلُؤٍ مُجَوَّفٍ - **لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ**» (متفق عليه).

ومُواساةُ المكرُوب وكشفُ غُمَّتِه، وتبشيرُه بالخير مِن أعظم أبوابِ الإحسان؛ فأوَّلُ ما نزلَ الوَحيُ على رسولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم؛ دخلَ على

خديجةَ ﵂، فقال لها: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**، قَالَتْ لَهُ: كَلَّا؛ أَبْشِرْ! فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً» (متفق عليه).

ومَنْ لَزِمَ الحقَّ دون غلُوٍّ أو تقصيرٍ فله البِشارةُ بالثَّوابِ الجَزيل، قال ﵊: «**سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا**» (متفق عليه).

واليومُ الذي يتوبُ فيه العبدُ إلى اللَّه خيرُ أيَّامِ عُمره؛ لِمَا تجلِبُه التَّوبةُ للعبد مِن مصالِح في الدَّارَيْن؛ تخلَّفَ كعبُ بن مالِكٍ ﵁ وصاحِباه دُون عُذرٍ عن غزوةِ تَبُوكٍ، ثمَّ تابَ اللَّهُ عليهم، فقال ﵊ مُبشِّراً كَعْباً: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**» (متفق عليه).

والدُّنيا تضِيق على مَنْ دَنَا أجلُه، ويسعَدُ بكلمةٍ طيبةٍ يسمَعُها؛ لِقُربِ انتِقالِه لدارٍ أُخرى لا يعلَمُ ما هو صائِرٌ فيها؛ حضَرَت عمرَو بن العاص ﵄ الوَفاةُ فبكَى طويلاً، فجعل ابنه يقول: «يَا أَبَتَاهُ! أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟» (رواه مسلم).

وأعظمُ ما يُبشَّر به المسلمون: وعدُ اللَّه بعلُوِّ هذا الدين وبلُوغِه ما بلَغ اللَّيلُ والنَّهارُ؛ قال ﵊: «**بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ وَالدِّينِ، وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ**» (رواه أحمد).

ومَنْ بُشِّرَ بخيرٍ استُحِبَّ له أن يسجُدَ للَّه شُكراً، وأن يُكافِئَ مَن بشَّرَه؛ قال كعبُ بن مالِكٍ ﵁ في قصَّة توبةِ اللَّه عليه وعلى صاحِبَيه: «فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى - أي:

أشرَفَ - عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ! أَبْشِرْ! قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِداً، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَساً، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجاً فَوْجاً يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ» (متفق عليه).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فلا دينَ أجملُ مِن الإسلام؛ فهو دينُ الفرَحِ والمَسرَّات، ويحُثُّ على بثِّ السَّعادةِ في المجتمع، وأَوْلَى النَّاسِ بخَيرِ الإسلام وبشائِره هم أهلُه، والبِشارةُ أَصلٌ في دعوةِ الخلقِ إلى الدِّينِ، وتحبِيبِه في نفوسِهم.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾.

بارِكَ اللَّه لي ولكم في القرآنِ العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظِيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آلِهِ وأصحابِه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

أعظمُ المُبشِّرات في الإسلام: القُرآنُ الكريم؛ فكلُّه هدايةٌ وبِشارةٌ، قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

والثَّناءُ الحسنُ على مَن أحسَنَ ولم يتطلَّع لذلك مِن عاجِلِ بُشرَى المُؤمن؛ قِيلَ لرسولِ اللَّه ﷺ: «أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: **تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ**» (رواه مسلم).

والرُّؤيا الصَّالِحةُ تسُرُّ ولا تغُرُّ، وهي مِن المُبشِّرات؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا المُبَشِّرَاتُ**، قَالُوا: وَمَا المُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: **الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**» (رواه البخاري).

والرِّيحُ يُرسِلُها اللَّه بِشارةً بالمطر لِيفرَحَ النَّاسُ قبل نُزولِه وبعدَه؛ قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾.

والكلِمةُ الطَّيِّبةُ تُبشِّرُ بالخير وهي مِنَ الفأْلِ الحسَن؛ قال ﷺ: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**، قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: **كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**» (متفق عليه).

فالبِشارةُ مِن هَديِ المُرسَلين، ويُستحبُّ للمَرءِ أن يُبشِّرَ العبادَ بما يسُرُّهم.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

انْشِرَاحُ الصَّدْرِ [(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فبها تُسْتَجلبُ النِّعَم وتُدْفَعُ النِّقَم.

أيُّها المسلمون:

الدُّنيا دار بلاءٍ وامتحان، طُبِعَت على كَدَر ونَصَب؛ يُكابدُ الإنسانُ فيها المتاعب والمشاق قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾، وحياةُ المرء في الدُّنيا قصيرة وليس له من عمره إلَّا ما طاب.

وراحةُ القلبِ وزوالُ الهَمِّ والغَمِّ مطلَب كلِّ إنسان، وبذلك تَحصلُ الحياة الطَّيِّبة والعيش الهنيء، والخلق جميعهم ينشدون السَّعادة ويَسعون إلى تحصيلها، وأصلُ السَّعادةِ انشراحُ الصَّدْر وطُمأنينةُ القلب.

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع والعشرين من شهر صَفَر، سنة أربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وإذا أراد اللَّه بعبدٍ خيراً شَرَحَ صَدْرَه، وذلك من أعظم أسباب الهُدَى وأجلِّ النِّعَم؛ قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «شَرْحُ الصَّدْرِ كَمَا أَنَّهُ سَبَبُ الهِدَايَةِ فَهُوَ أَصْلُ كُلِّ نِعْمَةٍ وَأَسَاسُ كُلِّ خَيْرٍ».

ولعظيمِ قدر هذه النِّعمة سأل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّهُ أَنْ يَمُنَّ عليه بها أوَّل ما أرسله إلى فرعون؛ فـ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾، وابتدأ سبحانه تَعْدَاد نِعَمِه على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك؛ فقال: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾.

وإذا عَظُم الشَّيءُ تعدَّدت أسبابه وكان تحصيلُه أيسر؛ وأتمُّ الأسبابِ وأكملُها ما دَّل عليه الشَّرع وأرشدَ إليه، ولا أعظم في تحقيق انشراح الصُّدور من العلم باللَّه وأسمائه وصفاته وتوحيده سبحانه بالعبادة، وعلى حسب كمالِ ذلكَ وقوَّتِه يكون انشراحُ صدرِ صاحبِه وانْفِسَاحِه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: فَكَّرْتُ فِيمَا يَسْعَى فِيهِ العُقَلَاءُ، فَرَأَيْتُ سَعْيَهُمْ كُلَّهُ فِي مَطْلُوبٍ وَاحِدٍ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ طُرُقُهُمْ فِي تَحْصِيلِهِ؛ رَأَيْتَهُمْ جَمِيعَهُمْ إِنَّمَا يَسْعَوْنَ فِي دَفْعِ الهَمِّ وَالغَمِّ عَنْ نُفُوسِهِمْ، وَلَكِنَّ الطُّرُقَ كُلَّهَا غَيْرَ مُوصِلَةٍ إِلَيْهِ، بَلْ وَلَعَلَّ أَكْثَرَهَا إِنَّمَا يُوصِلُ إِلَى ضِدِّهِ، وَلَمْ أَرَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الطُّرُقِ طَرِيقاً مُوصِلَةً إِلَّا الإِقْبَالَ عَلَى اللَّهِ وَمُعَامَلَتِهِ وَحْدَهُ وَإِيثَارِ مَرْضَاتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْفَعُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ وَلَا أَوْصَلُ مِنْهَا إِلَى لَذَّتِهِ وَبَهْجَتِهِ وَسَعَادَتِهِ».

وأكملُ الخلق في كلِّ صفةٍ يَحصلُ بها اتِّسَاعُ القلب: نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأكملُ الخَلْقِ مُتابعةً له أكملُهم انشراحاً ولذةً ونعيماً.

ورأسُ الأسباب الجَالِبَة لانشراحِ الصَّدر: الإيمانُ والعملُ الصَّالح، فبهما صلاحُ القلب والجوارح واستقامة الظَّاهر والباطن، وبذلك الحياةُ الطَّيِّبة والسَّعادة الدَّائمة؛ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾.

وأشرحُ شيءٍ لصدرِ العبد: مَحبَّتُه سبحانه والإنابةُ إليه والتَّنَعُّمُ بعبادته، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا لَمْ تَجِدْ لِلْعَمَلِ حَلَاوَةً فِي قَلْبِكَ وَانْشِرَاحاً؛ فَاتَّهِمْهُ، فَإِنَّ الرَّبَّ تَعَالَى شَكُورٌ».

واختيارُ اللَّهِ للعبد خيرٌ من اختياره لنفسه، وهو سبحانه أرحمُ بالخلق من أنفسهم، ومن آمن بالقدر خيرِه وشرِّه سكن قلبُه وانشرح صدره؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾، قال عَلْقَمةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ».

والعبادُ يتقلَّبون في حياتِهم بين السَّرَّاء والضَّرَّاء، ولا انفكاكَ لأحدٍ عن ذلك بحالٍ، والسَّعادة في الإيمان بالقضاء: الشُّكرُ حالَ السَّرَّاء، والصَّبرُ على الضَّرَّاء؛ قال عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**عَجَباً لِأَمْرِ المُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ**» (رواه مسلم).

ومَنْ آمن بِلِقَاءِ اللَّه وثوابِه تعلَّقتْ نفسُه بالفاضل عن المفضول، وتَسَلَّى بالموعود عن المفقود، وبهذا تصلح له دنياهُ وآخرته.

وحُسن الظَّنِّ باللَّه تعالى عبادةٌ تُورِثُ صاحبَها أمناً وسعادة، وللعبدِ من ربِّه ما ظنَّهُ فيه؛ إنْ خيراً فخير وإنْ شرّاً فَشَر، قال تعالى في

الحديث القُدسيِّ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**» (متفق عليه)، والفَأْلُ الحسنُ يشرحُ الصَّدرَ وهو من حُسنِ الظَّنِّ باللَّه تعالى.

ومقاليدُ الأمورِ وأَزِمَّتُها بيد اللَّه وحده؛ يُقَلِّبُ القلوبَ كيفَ يشاءُ فساداً وصلاحاً، وضيقاً وانشراحاً، وسعادةً وشقاءً، والتَّوكُّلُ على مَنْ بيده ذلك وتَفويضُ الأمورِ إليه والثِّقةُ به واجبٌ شرعيٌّ، وهو جنةٌ لأهلهِ حاضرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، وأرزاقُ العِبادِ بيدِ اللَّه، ولَنْ تَموتَ نفسٌ حتَّى تَستكمِلَ رزْقَها؛ فطِبْ نفساً بما قَسَمَ اللَّهُ لك، ولا تَحْزَنْ على ما فاتك منه.

ومَنْ لَجأَ إلى اللَّه أعانَه وكفاه؛ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۞ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

وَمَنْ طَمِع في السَّعادة وابتغى انشراح الصَّدر فَلْيُكْثِر قَرْعَ بابِ الكريم، فإنَّ اللَّهَ قريبٌ ممَّن دعاه، ولا يُخيِّب مَنْ رَجاه؛ فبالدُّعاء صلاحُ أمور الدُّنيا و الآخرة، ومِنْ دُعاءِ النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**» (رواه مسلم).

وللذِّكرِ تأثيرٌ عجيبٌ في انشراح الصُّدور واطمئنانِ القلوب وزوالِ الهُمُوم والغُمُوم؛ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا

بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾، وكان ﷺ يقول عند الكَرْب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ» (متفق عليه).

وأفضلُ الذِّكرِ القرآن العظيم، هو كلام اللَّه فيه الهُدى والشِّفاء؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وأَوْلَى الخلقِ بالسَّعادة أهلُ القرآن؛ قال تعالى: ﴿طه * مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾.

وفي التَّسبيحِ والتَّحميدِ وكثرةِ السُّجودِ ودوام الطَّاعة: سَعَةُ الصَّدر وذهابُ الهَمِّ والضِّيق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ * وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾.

وبلزوم التَّقوى انفراجُ الهُموم وانكشافُ الكروب؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾، وبها تتيسَّرَ الأمور؛ قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾.

والصَّلاةُ نورٌ لصاحبِهَا وعونٌ على انشراحِ النَّفس وذهاب أحزانها؛ قال ﷻ: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾، وكان مِن هديهِ ﷺ «إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ؛ فَزِعَ إِلَى الصَّلَاةِ» (رواه أبو داود).

وإذا استفتحَ العبدُ يومَه بالصَّلاةِ صلَحَ له سائرُ نهارِه؛ فمَنْ صلَّى الفجرَ فهو في ذِمَّةِ اللَّه، ومَنْ صلَّاها معَ سُنَّتِهَا كفاهُ اللَّه آخرَ يومِه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّه يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! لَا تَعْجِزْ عَنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ؛ أَكْفِكَ آخِرَهُ» (رواه أحمد).

والعلمُ المَوْرُوثُ عن اللَّهِ ورسولِه ﷺ المُقترِنُ بالعمل يشرحُ الصَّدر، وأهلُه أشرحُ النَّاسِ صُدُوراً وأَوْسعُهم قلوباً وأطيبُهم عيشاً وأحسنُهم أخلاقاً، وكلَّما اتَّسعَ علمُ العبدِ ازدادَ انشراحاً في صدره؛ قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾، قال ابن القيِّم عن شيخ الإسلام رحمهما الله: «مَا رَأَيْتُ أَحداً أَطْيَبَ عَيْشاً مِنْهُ قَطُّ، مَعَ كُلِّ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ ضِيقِ العَيْشِ وَخِلَافِ الرَّفَاهِيَةِ وَالنَّعِيمِ، بَلْ ضِدِّهَا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ عَيْشاً، وَأَشْرحِهِمْ صَدْراً، وَأَقْوَاهُمْ قَلْباً، وَأَسَرِّهِمْ نَفْساً، تَلُوحُ نَضْرَةُ النَّعِيمِ عَلَى وَجْهِهِ».

والإحسانُ إلى الخلقِ خيرٌ ولا يأتي إلَّا بخير، فلا تَرَى الكريمَ المحسِنَ إلَّا أَشْرحَ النَّاسِ صدراً وأطيبَهم نفساً وأنعمَهم قلباً، وقد ضرب النَّبيُّ ﷺ مثلاً في انشراح صدرِ المُؤمنِ المُتصدِّقِ وانفساحِ قلبِهِ، ومثلاً لِضِيقِ صدرِ البخيلِ وانحصارِ قلبِه؛ فقال: «**مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، قَدِ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدِيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا؛ فَجَعَلَ المُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تُغَشِّيَ أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَجَعَلَ البَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا**» (متفق عليه).

ومَنْ عَامَلَ النَّاس لأجل اللَّه استراح، فلا يَتطلَّعُ لِمدحٍ ولا يَتَحَسَّرُ مِنْ قَدْحٍ، حالُه كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾، ويتأكَّدُ هذا في معاملة الأقربين ومَنْ قَوِي الاتِّصال بهم.

وقد ترى من البشر ما تكره، والعاقلُ لا يَبْخَسُ محاسنَهم لنقصٍ بَدَرَ منهم ولا يَقْطَعُ وَصْلَهُم لِتقصيرٍ أو قصورٍ فيهم، وبذلك يعيشُ المرء هادئ البال مطمئناً على كلِّ حال؛ قال ﷺ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً - أَيْ: لَا يُبْغِضْهَا - إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» (رواه مسلم).

وفي مجالسة الصَّالحين وأهلِ العلم والدِّين أُنسٌ وسعادة، وبها يَكْسِبُ المرء علماً وحكمة، وتَزْكُو نفسُه ويَنبلُ بين أقرانه، ومَنْ رَجَعَ في أمورهِ إلى أهل المَشُورةِ والعقلِ انْشَرَحَ صدرهُ وزال عنه اللَّبْسُ والتَّرَدُّد؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾.

وعداوةُ الشَّيطان للإنسان لا تنقطع، وفي الاستعاذةِ طَرْدٌ لوساوِسه الَّتي تُكَدِّرُ صفو كثير من الخلق، والإسلامُ يَسْعَى لأسباب شرح صدر المسلم من حين استيقاظِه، والشَّيطانُ يسعى لضد ذلك؛ قال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَعْقِدُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ؛ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ؛ فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ» (متفق عليه).

وقوَّةُ المؤمنِ مَصْدَرٌ عظيم لانشرح صدره؛ فلا يَنْسَاقُ مع الأوهام ولا يَسْتَسْلِمُ للأحزان ولا يَضعفُ أمام المكاره؛ بل ثابتُ القلبِ واثقٌ بأنَّ مع العُسرِ يُسراً.

وإذا استحضر العبدُ فَضْل اللَّه ونعمته عليه؛ أوجب ذلك له إحداثَ شكرٍ تَطمئنُّ به النَّفس ويَنشرحُ الصَّدر.

والقناعةُ رأسُ الغِنَى، ومِنْ أنفعِ ما تُدَاوَى به النُّفوس: ما أرشد إليه النَّبيُّ ﷺ بقوله: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسفَل مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**» (متفق عليه).

وَمَنْ جَمَعَ قلبَه على يومِه وساعتِه اطمأنَّتْ نفسه؛ فلا يَحْزَنُ على ما مضى ولا يَغْتَمُّ لِمَا يُستقبل، فالمَاضِي لَنْ يَعُودَ والمُسْتَقْبَلُ غيبٌ مكتوب، ومن دعائِهِ عليه الصلاة والسلام: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ**» (رواه البخاري).

وعدمُ الانتفاع بفراغ الوقت مَصْدرٌ لِلْهمِّ والكَدَر، ومَنْ عَمَّر وقتَه بعملٍ صالحٍ أو عِلمٍ نافعٍ زَالَ عنه ذلك.

وجِماعُ السَّعادة في الاستعانة باللَّه على ما ينفع، والبُعْدِ عن كلِّ ما يُوهنُ العبدَ ويُضْعِفُ قلبَه وطاقَتَه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» (رواه مسلم).

وتطهيرُ القلب من أمراضه يشرحُ الصَّدر وَيُوَسِّعُه، ومن دعاء المؤمنين: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾، وعلى هذا الوصف يكونُ أهل الجنَّة؛ قال سبحانه: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي

صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالإسلامُ أصلُ كلِّ خيرٍ ومصدرُ السَّعادة جَمِيعُها، أهلُه في جنَّةٍ عاجلةٍ ونعيم لا يَنْقَطِع؛ قال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، وَمَنْ عَرَفَ شقاءَ الجاهليَّة وأهلِها؛ عَرَفَ فضلَ نعمةِ الإسلام وأهلِه، ولم يَسَعْهُ إلَّا شكرُ اللَّه على ذلك، والتَّمسُّكُ بدينهِ والاعتزاز به، والثَّبات عليه ودعوة الخلق إليه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الذُّنوب بابٌ تَرِدُ منه المصائبُ على العباد، وما يُجَازَى به المُسِيء من الهَمِّ والغَمِّ وضِيقِ الصَّدرِ وقَسْوَةِ القلب عُقُوبةٌ عاجلةٌ قبل الآخرة، والمَخرَجُ من ذلك بالبُعدِ عن المعاصي والتَّوبةِ إلى اللَّه؛ لِيَحُلَّ مكانَ الضِّيقِ انشراحٌ، ومحلَّ الوَحْشَة أُنسٌ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل السَّادس

المِـلَـلُ

صِفَاتُ الكُفَّارِ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فتقوى اللَّه نِعْمَ المَغْنَم، وإيثارُ الهوى بِئْسَ المَغْرَم.

أيُّها المسلمون:

خلق اللَّهُ الخلقَ بقُدْرَتِه، فهَدَى مَنْ شَاءَ بِفَضْلِه، وأضلَّ مَنْ شَاءَ بِعَدْلِه، وكَتَبَ ذلك في اللَّوْحِ المَحْفُوظ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾، أَوْضَحَ طريقَ السُّعداء، وأبانَ سُبُلَ الأشقياء، مَدَحَ المُتَّقين وذَمَّ الكافرين وحذَّر من صفاتهم.

أَبَانَ في كتابه العزيز أعمالَ الكافر وفسادَ معتقدِه وسوءَ سلوكِه وأخلاقِه؛ يُنكرُ البعث ويَسْتَبْعدُ قيامَ السَّاعة، لا يُؤْمنُ بالقَضَاء والقَدَر،

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع والعشرين من شهر صَفَر، سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

يَجْزَعُ عند المصاعِب والمصائِب، قَطَعَ الرَّجاءَ والأمَلَ مِن اللَّه، اليأسُ والقُنوطُ من خصائصه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، في حديثه الكَذِب: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾، الكِبْرُ والغرورُ سجيَّته؛ قال ﷻ: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾، عند الآيات والعِبَرِ والعِظَات يُعْرِض، الحَسَدُ مَلأ قلبَه وفَاضَ من عَيْنِه، يَحْسدُ المؤمنين على ما هُمْ فيه من النِّعَم، ويتمنَّى زوالَها: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، مِنْ قَبيحِ حَسَدِه: يَسْعَى لإضلالكَ لِتُحْشَرَ معه في جهنَّم: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾.

ذو مكرٍ بالمسلمين باللَّيل، وخَدِيعةٍ لهم بالنَّهار، يَسْعَى للإضرار بهم وسَلْب النِّعْمَة منهم: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾، لاحَتِ العداوةُ على صفحاتِ وجهه وفلتات لسانه؛ يَعَضُّ أناملَه من الغَيْظِ على المسلمين، تَنْطوِي ضمائرُه على الشُّرور، وَتُكِنُّ سرائرُه البغضاء، يَكيدُ بالمسلمين كيداً؛ قال اللَّه: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾، يَتظاهرُ بالأمانة وجميل الأخلاق وحسن الطِّباع، يَلْهثُ خلف منافعه، فضحهم اللَّه بقوله: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾، يُضْمِرُ الكَذِب في الصِّدق، والخيانة في الأمانة: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾، كثيرُ الجدل بالباطل وإخفاءِ الحقائق، كيْدُه ضدَّ المُسلمِ شديد، ولكنَّ اللَّه مبطِل كيده: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾، الذِّلَّة والصَّغار محيطة به.

إنَّ طاعةَ الكفَّار ذِلَّة، ومعصيتَهم عزَّة؛ قال اللَّهُ لِرَسُولِه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، علمُهم محصورٌ في الدُّنيا، ومع هذا يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَمِيعُ أَعْمَالِ الكَافِرِ وَأُمُورِهِ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ خَلَلٍ يَمْنَعُهَا أَنْ تَتِمَّ مَنْفَعَتُهُ بِهَا، وَكُلُّ أُمُورِهِ إِمَّا فَاسِدَةٌ وَإِمَّا نَاقِصَةٌ»، وأمَّا عِلْمُ الآخرة - الَّتي هي الباقية - فهم فيها جاهلون، يقول تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾، ويقول: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

وأموالُهم وأولادُهم مِحْنَةٌ عليهم، يَعِيشُ في حَيْرَةٍ وَتِيهٍ، هِمَّتُه في الحياة: التَّمتُّعُ والمَأْكَلُ والمَشْرَب، ومَطْعَمُه ومَشْرَبُه مَنْزُوعُ البركة، القليلُ لا يُشْبِعُه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**الكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ، وَالمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ**» ليتعبَّد (متفق عليه)، ثُلُثٌ لطعامِه وثلثٌ لشرابِه وثلثٌ لنَفَسِهِ، وطعامُ المؤمنِ مُبَارَك؛ يقول الرَّسولُ ﷺ: «**طَعَامُ الِاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ**» (متفق عليه).

وَلِبُعد الكافرين عن نور الهداية هم أحزابٌ متفرِّقون، وفي آرائهم منقسمون، وفي أفكارهم مختلفون، يقول عنهم خالقهم: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، والنِّزاعُ بينهم قائمٌ إلى قيام السَّاعة بنصِّ الكتابِ المبين: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

إنَّهم عند اللِّقاء جُبَنَاء، المسلمُ يَغلبُ اثنين؛ قال اللَّه: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

بالبخل يَتَوَاصَوْنَ، وفي الإنفاق شَحِيحُون، وعن إكرام الضَّيف مُتَثَاقِلُون؛ قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾.

الكافرُ للخير مانعٌ، وللسُّحت آكلٌ، وللجميل ناكرٌ، نِعَمُ اللَّه لا يَشْكُرُها، وآلاءُ ربِّه يَجْحدُها: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

يَعِيشُ في الجهالات والأهواء والضَّلَالات، لا يَهتدي إلى مَنْفَذٍ ولا يُوَفَّقُ إلى مَخْرَج، جوارحُه التي هي سببُ الهداية لم يَنتفعْ بها؛ فقلبه أَصَمٌّ، وأُذُنُه فيها وَقْرٌ، وعينُه عليها غِشَاوةٌ، لا يَسْمَعُ حقّاً ولا يُبْصِرُ هدًى، الشَّياطين تَؤُزُّه إلى المعاصي أزّاً، أَقْبَلَ على تحصيل اللَّذَّات وموافقة الهوى؛ فأصبحت أعمالُه هَبَاءً، يَعْمَلُ وعلى عَمَلِه لا يُجَازَى، في الدُّنيا يَنْصَب، وفي الآخرة يُعَذَّب.

وربُّنا ﷻ لا يُحِبُّه، وأخبر أنَّه سبحانه عَدُوٌّ للكافرين، وما مِنْ عبدٍ يَعْمَلُ خيراً أو شرّاً إلَّا كَسَاه اللَّه رداء عمله، وإذا أبغض اللَّه عبداً دعا جبريلَ: «**يَا جِبْرِيلُ! إِنِّي أُبْغِضُ فُلَاناً؛ فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَاناً؛ فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ**» (رواه مسلم)، يقول الإمامُ أحمدُ ؒ: «إِذَا رَأَيْتُ الكَافِرَ أَغْمَضْتُ عَيْنِي مَخَافَةَ أَنْ تَرَى عَدُوَّ اللَّهِ».

الجمادُ ينطق بكفره، والأراضي المباركة تَنْبُذُه، في آخر الزَّمان «**تَقُولُ الشَّجَرَةُ: يَا مُؤْمِنُ! هَذَا كَافِرٌ، وَيَقُولُ الحَجَرُ: يَا مُؤْمِنُ! هَذَا**

كَافِرٌ» (رواه أحمد)، وإذا خرج الدَّجَّالُ تَرْجُفُ المدينةُ ثلاث رَجَفَات؛ فيخرج الكافر من مدينة المصطفى ﷺ.

الكافر في بُعْدِه عن اللَّه يَئِنُّ من آلام نفسيَّة، معاناةً لآلام الذنوب، صَدْرٌ ضَيِّقٌ حَرِج، وحرمان من لذَّة الإيمان والسَّكينة، اللَّعنةُ مُحْدِقَة به، والغضب دائرٌ عليه، إنَّهم شَرُّ مَنْ خَلَقَ اللَّه؛ قال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾.

وأمَّا عددُهم: فهم أكثرُ أهل الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، ويقول النَّبيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ**» (رواه البخاري)، وفي لفظٍ له: «**مِنْ كُلِّ مِئَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ**».

وبموت الكافر يستريح العباد والبلاد؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ، وَالبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ**» (رواه البخاري).

يَوَدُّ الكافر أن يُعَمَّر في الحياة ألفَ سنة، فإذا حضره الأجل كرهه، فتضرب الملائكة وجهه ودُبُرَه لإخراج روحه، وإذا وُضِع في قبره ضُيِّق عليه حتى تَخْتَلِف أضلاعه، و«**يُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ؛ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**» (رواه البخاري)، وفي لفظ لأبي داود: «**لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَاباً**»، ويُفْرَش قبرُه ناراً.

والعذابُ مُتَوَالٍ عليه؛ فإذا قامَ مِنْ قبرِه للحساب قامَ وَوَجْهُهُ أسودُ كَالِح، عليه غَبَرَة، عَابِسٌ بَاسِرٌ، تَعْلُوه قَتَرَة، وقلبه وَاجِف، وعَيْنَاه زَرْقَاوَان من الفَزَعِ، يُحشَر ويَمْشِي بين الخلائق على وجهه؛ قال أنسٌ رضي الله عنه: «قَالَ رَجُلٌ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! كَيْفَ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِراً عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟» (رواه البخاري).

والأغلالُ والسَّلاسلُ في عنقه، ويُساقُ المجرمون مُقَرَّنِين، بعضهم مُقَيَّد إلى بعض، وهم في هذا عِطَاش ظِماءٌ، وهم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌّ، يَتَبَرَّأُ منهم الأصدقاء، ويتبرَّؤُون هم من الأصحاب ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾، طعامهم من الزَّقُّوم، وشرابهم الماء المَغْلِيّ من الحَمِيم، يَتَجَرَّعُه تارة؛ فَيُقَطِّعُ أمعاءَه وأحشاءَه، ويُصَبُّ فوقَ رأْسِه أخرى؛ فَيُذِيب جِلْدَه وما في بطنه، وهو في غَمَرَاتِ النِّيران يَتَلَظَّى يَعْظُم جسده وضرسه؛ مُضَاعَفَة في إِيلَامِه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «ضِرْسُ الكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ» (رواه مسلم)، وفي لفظٍ له: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَي الكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ المُسْرِعِ»، جزاءً وِفاقاً، وما ربُّك بظَلَّامٍ للعَبِيد.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فهذه صفات الكافرين، وتلك خِلَالُهم، وذلك جزاؤُهم، قبائحُ مُتَرَادِفَة، وشنائعُ مُتَتَابِعَة؛ فاخْشَ على نفسك من الوقوع فيها، يقول النَّبيُّ ﷺ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ؛ يُصْبِحُ الرَّجُلُ

مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً؛ يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ» (رواه أحمد).

واحذَرْ مشابَهَة الكافرين، واسْلُكْ سبيلَ المتَّقين، وأدِّ الصَّلوات المفروضة وحافِظْ عليها في المساجد؛ فمَنْ تركها لَحِقَ بالرَّكْب المَشْؤُوم؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ: الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا؛ فَقَدْ كَفَرَ**» (رواه أحمد).

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

المُشابَهة والمُشاكَلة في الأمور الظَّاهرة توجب مُشَابَهَةً في الأمور الباطنة، ومشابهة صدر هذه الأمَّةِ من الصَّحابة والتَّابعين تزيد العقل والدِّين والأخلاق، والتَّشبُّه بغير المسلمين في الظَّاهر سببٌ لمشابهتهم في الأخلاق والأفعال الذَّمِيمَة، وتُورِثُ نوعَ مودَّةٍ ومَحبَّة ومُوَالَاة في الباطن؛ فخَالِفِ المشركين في سلوكهم ومذاهبهم، واحْذَرْ مُوَالَاتهم، ولا تَتَوَلَّهم، وأبغضْهُم وعادِهم، وتبرَّأ منهم ومن دينهم، واعْتزَّ بدينِك، واحْرِصْ على هدايتِهِم ودعوتهم إلى الإسلام، وأَخْلِصِ العبادةَ للَّه وحدَه، وأَكْثِرْ من الثَّناءِ عليه أَنْ هَدَاكَ واسْأَلْهُ دَوَام الثَّبات، واصْدقْ مع اللَّه يَصْفُ لك الحال، واسْلُلْ سَخَمَ القلب؛ يُحِبَّك الخَلْق.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

اليَهُودُ[1]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقيُّ مَنْ أَطاعَ مولاه وجَاهَدَ نفسَه وهواه.

أيُّها المسلمون:

إنَّ الإسلامَ دينُ اللَّه المَتِين، لا يُقْبَلُ من أحدٍ ديناً سواه، جامعٌ بينَ العِلْم والعَمَل، وسطٌ في العبادة والمُعْتَقَد، صِدْقٌ في الأخبار، عَدْلٌ في الأحكام، وقد ضلَّت طوائفُ الصِّرَاطَ المُضِيء، مُمْتَطِيَةً كِبْرَها أو جهلها، تَنَكَّبَتْ طريقاً مُعْتِماً، وسَلَكَتْ وادياً مُجْدِباً، وسُنَّةُ اللَّه ماضيةٌ في كشف سِترِه عن الظَّالمين ولو بعد تَتَابع الدُّهور، قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع والعشرين من شهر محرَّم، سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

واليهودُ أَضلُّ المِلَلِ، لاح في دِيَانَتِهَا العِوَج والخَلَل، أَبَانَ اللَّهُ في كتابه أحوالَهُم تصريحاً وإسهاباً، إيماءً واقتضاباً، في مِئَاتِ الآيات، ووصفَهُم وصفاً مطابقاً عادلاً، حذَّر منهم ووضعهم في مُقدِّمَة صفوفِ أعداء المؤمنين ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾.

واجهوا الإسلام بالعِدَاء والإِبَاء، واحتَضَنُوا النِّفاقَ والمنافقين، وحرَّضوا المشركين وتآمروا معهم ضدَّ المسلمين، اكْتَوَى المسلمون بنار عداوتِهِم وكيدِهِم، تطاولت أَلْسِنَةُ السُّفَهَاء منهم على خالقهم، جَمَعَ لهم نبيُّهم بين الأمر والنَّهي، والبشارة والنِّذارة، فقابلوه أقبح مقابلة، كانوا معه في أفسح الأمكنة وأرحَبِها وأطيَبِها هواءً، سقفهم الذي يظلُّهم من الشَّمس الغَمام، وطعامهم السَّلوى - طير من أَلَذِّ الطُّيور -، وشرابُهُم من العَسَل، وتَفَجَّر لهم من الحَجَر اثنتا عشرة عَيْناً من الماء؛ فكفروا النِّعَم، وسألوه الاستبدال بما هو دون ذلك؛ طلبوا الثُّومَ والبَصَلَ والعَدَسَ والقِثَّاء، وهذا من قلَّةِ عقلِهِم وقصورِ فهمهم، يعتقدون الصَّوابَ والحقَّ مَعَ مَنْ يُشَدِّد ويُضيِّق عليهم.

عرضت عليهم التَّوراة فلم يقبلوها، فأمر اللَّهُ جبريلَ فَقَلَعَ جَبَلاً مِنْ أَصْلِهِ على قَدْرِهِم، ثمَّ رفَعَه فوقَ رُؤُوسِهِم، وقِيلَ لهم: إِنْ لَمْ تَقْبَلُوهَا أَلْقَيْنَاه عليكم؛ فقَبِلُوهَا كُرْهاً؛ قال تعالى: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

ولـمَّا بُعِثَ نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ حرَّضوا النَّاسَ عليه، وقاتَلُوه، آذَوْهُ ﵊، وتَآمَرُوا على قَتْلِهِ والغَدْرِ به مِرَاراً، هَمُّوا بإِلْقَاءِ حَجَرٍ كَبيرٍ عليه في بني النَّضير من أعلى بيتٍ كان يجلسُ تحتَه فأتاه خبرُ السَّمَاء، وأهدَوْا إليه شاةً مَشْويَّةً فيها سُمٌّ، فَلَاكَ منها ﵊ شيئاً وظلَّ مُتأثِّراً بما لَاكَهُ منها حتَّى تُوُفِّي، ومَكَرُوا به ﵊ فَسَحَرُوه حتى كان يُخَيَّلُ إليه أنَّه يفعلُ الشَّيءَ ولم يَفْعَلْه؛ فشَفَاه اللَّه وخلَّصَه.

قومٌ يُشْعِلُون الفِتَن ويُوقِدُون الحروب، ويَبُثُّون الضَّغَائِن ويُثِيرُون الأحقاد والعَدَاوَات ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾، يَكْتُمُون الحقَّ ويُحَرِّفُون الكَلِم عن مَوَاضِعِه، أَصْحَابُ تَلْبِيسٍ ومَكْرٍ وتَدْلِيسٍ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، يَنْقُضُونَ العُهُودَ ويَنْكُثُونَ المَوَاثِيق، قَتَلُوا عدداً من الأنبياء الَّذين لا تُنَالُ الهدايةُ إلَّا على أيديهم - بالذَّبحِ تارة والنَّشر بالمَنَاشيرِ أُخْرَى -، أَرَاقُوا دَمَ يحيى ﵇، ونَشَرُوا بالمِنْشَار زكريَّا ﵇، وهَمُّوا بقتلِ عيسى ﵇، وحاولوا قَتْلَ مُحمَّدٍ ﷺ مَرَّاتٍ، ولَا خَيْرَ فيمَنْ قَتَلَ نبيّاً ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾.

اليهودُ لِنِعَمِ اللَّه وآلَائِه جَاحِدُون، إِنْ أَحْسَنْتَ إليهم أَساؤُوا، وإِنْ أَكرمْتَهُم تَمرَّدوا، نجَّاهم اللَّه من الغَرَق مع موسى؛ فلم يَشْكُروا اللَّه، بل سَأَلُوا موسى إِبَاءً واستكباراً أَنْ يَجعَلَ لهم إلهاً غير اللَّه، يَعْبُدُونَ اللَّه على ما يَهْوَوْن، ولِأَنْبِيَائِهِ لا يُوَقِّرُون، قالوا لِنبيِّهِم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾.

قومٌ حُسَّاد، إِنْ رَأَوْا نعمةً بَازِغَةً على غيرهم سَعَوْا لِنَزْعِهَا، وفي زَعْمِهِم أنَّهم أَحقُّ بها؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ حَسَدٌ**» (رواه ابن خزيمة).

دمَّروا الشُّعوب والأفراد بالرِّبا، يَسْتَمْتِعُونَ بأكلِ الحرام، يَسْتَنْزِفُونَ ثَرَوَاتِ المسلمين بتدميرِ اقتصادِهِم وإِدْخَالِ المُحرَّماتِ في تعامُلِهِم، يَفْتِكُون بالمسلمين لإفلاسهم، ويَسْعَوْن إلى فَقْرهم.

يَتَعَالَوْن على الآخرين - بالكِبْر تارة وبالازْدِرَاءِ أُخرى -، يَتَعَاظَمُون على المسلمين عند ضعفهم ويَذِلُّون عند قُوَّتِهِم، في أنفسهم أنَّهم شَعْبُ اللَّه المُخْتَار، وغيرهم خَدَمٌ لهم إِنَّما خُلِقُوا لقضاءِ حاجاتهم.

أَلْسِنَتُهُم لا تَتَنَزَّه عن الكذبِ والفُحْشِ والبَذَاء، قالوا عن العظيم سبحانه: يَدُهُ مَغْلُولَة، وقالوا عن الغَنيِّ تعالى: إِنَّه فقيرٌ ونحنُ أَغْنِيَاء، وَرَمَوْا عيسى وأُمَّه بالعظائم، وقالوا عن المصطفى ﷺ: إِنَّه سَاحِرٌ وكذَّابٌ.

تتابعت عليهم اللَّعَنَات، وتَوَالَتْ عليهم العقوبات، افْتُتِنُوا بالمرأة ونَشَرُوا التَّحَلُّل والسُّفور؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَوَّلُ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**» (رواه مسلم)، دَعَوْا إلى الإِبَاحِيَّة والفَسَاد مع التَّسَتُّر تحت شِعَاراتٍ خدَّاعَة - كالحُريَّةِ والمُسَاوَاةِ والإِنْسَانيَّةِ والإِخَاء -، يَفْتِكُون بالشَّبابِ المسلمِ ويُغْرُونَهُ بالمرأةِ والرَّذائل، فُتِنُوا بالمرأة ويعملون

جاهدين لفتنةِ غيرهم بها، ضَاعَفُوا جُهُودَهُم لإخراجِ جيلٍ من المسلمين خُوَاء؛ لا عقيدةَ له ولا مَبَادِئ، ولا أخلاقَ له ولا مُرُوءَات، يُلَوِّثُون عقولَ النَّاشئةِ بتَهْيِيجِ الغَرَائِز والمَلَذَّات، تارةً بالمَرْئيَّات وأُخْرَى بالفضائيَّات.

يَحْسُدُونَ المرأةَ المُسْلمةَ على سِترِها وحَيَائِهَا، يدعونَها إلى السُّفُور والتَّحَلُّلِ من قِيَمِها، ويُزَيِّنُون لها مشابهةَ نسائهم في مَلْبَسِها ومُعَامَلَتِهَا؛ لِيَحْرِفُوهَا عن فِطْرتِهَا، يُزَيِّنُون للشَّبابِ والمرأةِ الشَّهَوَات؛ لِيَنْسَلِخَ الجميعُ عن دينِه وقِيَمِه، فيَبْقَى أَسيراً للشَّهَوَات والمَلَذَّات؛ قال الله عنهم: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

يَهْدِفُون لِهَدْم الأُسْرَة المسلمة، وتَفْكِيكِ الرَّوابط والأُسُسِ الدِّينيَّة والاجتماعيَّة؛ لتُصْبحَ أُمَّةً لا خِطَامَ لها ولا لِجَام، يَنْشُرُونَ فيها الرَّذائلَ والفَوَاحِش، ويُدَمِّرُون الفَضَائِل والمَحَاسِن ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ﴾.

جُبَنَاءُ عند اللِّقاء؛ قالوا لِنَبيِّهِم: ﴿فَاذهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾، يَفِرُّون من الموتِ ويَخْشَوْنَ القِتَال ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭۚ﴾.

يُحِبُّون الحياة ويفتدون لبقائها، ذهبوا في كُفْرِهم شِيَعاً لا يحصون ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰۚ﴾، اختلافُهُم بينهم شديد ونِزَاعُهُم تليد،

الأُلفةُ والمَحبَّةُ بينهم مفقودة إلى قيام السَّاعة؛ قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، طمَّ بِغَيِّهِم وعَمَّ فسادُهُم، لا تُحْصَى فَضَائِحُهُم، ولا تُعَدُّ قَبَائِحُهُم، هم أكثر أَتْبَاعِ الدَّجَّال، أَمَرَنَا اللَّهُ بالاستعاذة من طريقِهِم في كلِّ يومٍ سبعَ عشرة مرَّة فرضاً.

أَفَبَعْدَ هذا أَهُمْ شعبُ اللَّهِ المُخْتَار؟! أم هم أبناءُ اللَّهِ وأَحِبَّاؤُه؟!

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فهذه نعوتٌ في كيدِ الشَّيطان وتَلَاعُبِه بتلك الأُمَّة المغضوبِ عليها، يَعْرف بها المسلم الحَنِيفُ قَدْرَ نِعمةِ اللَّه عليه وما مَنَّ به عليه من نعمة الهداية.

وما اتَّصفَ به آباء اليهود بالأَمْسِ يسير على رِكابه الأَحْفَاد اليوم، ظُلْمٌ في الأَرَاضِي المُقدَّسة؛ إجلاءٌ من المساكن، تشريدٌ من الدُّور، هَدْمٌ للمنازل، قَتْلٌ للأطفال، اعتداءٌ على الأبرياء، استيلاءٌ على المُمْتَلَكَات، نقضٌ للعُهُود، غدرٌ في المواعيد، استخفافٌ بالمسلمين وهتكٌ لمُقدَّساتِهِم.

وإنَّ أُمةً موصوفةً بالجُبْن والخَوَرِ، وخوفِ المُلَاقَاة وفزعِ الاقتتال، حقيقٌ بنصرِ المسلمين عليهم، ولكن لَمَّا ضَعُف المسلمون أصبحت لهم قوةٌ ودولة تعيش على دماء المسلمين، وواجبٌ على المسلمين مُؤَازَرَة إخوانِهِم في الأَرَاضِي المُبَارَكة، وتوحيدُ الصَّفِّ، ونَبذُ النِّزاع مع الإلحاح في الدُّعاء لهم، ومنذ ميلاد مأساة هذه المِحْنَة - من أكثر من

نصف قرن - ولهذه البلاد مواقف تُحْمَدُ عليها في التَّاريخ لِعِتْقِ رقِّ الأَقْصَى؛ لِيَنْعَم المسلمون بالصَّلاة فيه كما يَنْعَمُونَ بالصَّلاة في الحَرَمَيْن.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِهِ وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد، أيُّها المسلمون:

النَّصرُ على الأعداء لَنْ يَتَحقَّق إلَّا بِرَايةٍ يَسْتَظِلُّ فيها المقاتلون بِرَايَة التَّوحِيد، ولَنْ يكونَ إلَّا بالأخذ بالأسباب والرُّجوع إلى اللَّه، وتقويةِ الصِّلة به سبحانه؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، وبهذا تَقْوَى الأُمَّةُ وتُرْهِبُ عدوَّها، وإذا انْغَمَسَت الأُمَّة في عِصْيَانِها وغَفْلَتِها وبُعدِها عن خالقها فالمسجد الأَقْصَى عنها يُقْصى، فعلينا إصلاحُ أَنْفُسِنا من الدَّاخل بالتَّسَلُّح بسلاح العقيدة قولاً وعملاً وواقعاً، وأَنْ نَحْذَرَ دَسَائس اليهود في تدمير المسلمين.

وواجبٌ علينا الحفاظُ على شبابنا وَصَوْنُهم من المُغْرِيَات والمُحَرَّمات، والاهتمامَ بنسائنا وشَغْلِهنَّ بما ينفعهنَّ في دينهنَّ، وعدم تعريضهنَّ للفِتَن، ومَنْعُهنَّ من التَّبرُّج والسُّفور والاختلاط، وتحصينُ الجميع بالعلوم الشَّرعيَّة، وتكثيف ذلك في دُورِ التَّعليم، مع حسن

الرِّعاية وكمال الأمانة في القيام بهم، وعلينا السَّعي إلى إصلاحِ الأُسْرَة المسلمة، وأن لا نَهْزِمَهَا من داخل أَرْوِقَتِها بما تَتَلَقَّاه ممَّا يَعْرِضُه أعداؤها عليها، وفي مراحل التَّاريخ لا يخلو منه عِقْد إلَّا ولليهود في الإفساد يد.

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - وخُذُوا بأسبابِ نَصْرِكم، وأَصْلِحُوا شبابَكم ونساءَكم، وأَصْلِحُوا بيوتَكم، وابْتَعِدُوا عن مشابهة أعدائِكم، واعْتزُّوا بدينكم؛ تنصروا على عدوِّكم، واحذروا مَكْرَهم وغَدْرَهم فإنهم لا يَأْلُوْن جُهْداً في إضعاف المسلمين وإفساد دينهم وعقيدتهم ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

وصلُّوا وسلِّموا على البشيرِ النَّذيرِ والسِّراجِ المُنير؛ فقد أمركم اللَّه بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

المُنَافِقُون (١)

الحمد للَّه عالمِ الخَفيَّات، المُطلِّعِ على الضَّمائرِ والنِّيَّات، أَحْمَدُه تعالى على ما عَلَّم، وأَشْكُرُه ﷻ على ما هَدَى وقَوَّم.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، عَلَا على سمواته ثمَّ على عَرْشِه استوى.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه أَكْرَمُ الأصفياء، والدَّاعي إلى سلوكِ المَحَجَّةِ البيضاء، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه خُلفاءِ الدِّينِ وحُلَفاءِ اليقين، صلاةً وسلاماً دائمَيْن إلى يومِ حشر العباد أجمعين.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فأَوْثَقُ العُرَى كلمةُ التَّقوى، وأَعْمَى العَمَى الضَّلالةُ بعد الهُدَى.

أيُّها المسلمون:

لقد ميَّز اللَّه أهلَ البصائرِ والإيقانِ من الَّذين في قلوبِهِم مرضٌ وضعفُ إيمَان، ورَفَعَ أقواماً إلى الدَّرجات العَالِيَة، كما خَفَضَ آخَرِينَ إلى المَنَازِلِ الهَاوِيَة، والنَّاسُ مُتفرِّقون ما بين شقيٍّ وسَعيدٍ.

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الأول من شهر صَفَر، سنة إحدى وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ولقد كانوا قبلَ هجرة المصطفى ﷺ إلى المدينة إمَّا مؤمن وإمَّا كافر، ولم يكن فيهم صِنفٌ مُتَذَبْذِبٌ بينهما، ولمَّا استقرَّ في طَابَة صار النَّاسُ إمَّا مؤمنٌ مجتهدٌ في نُصرةِ الدِّين، وإمَّا كافرٌ مُظْهِرٌ للكُفْر وعداوةِ أهلِ الإيمان، وإمَّا منافقٌ ظاهرُه الإِسْلَامُ وباطنُه الكفران، وقد ذكر اللَّه ذلك في مَطْلَعِ سورة البقرة، فأنزلَ أربع آيات في صفة المؤمنين، وآيتين في صفة الكافرين، وبضع عشرة آية في صفة المنافقين.

وكان هذا الابتلاء تمييزاً من اللَّه لعباده: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، وقد حذَّر اللَّهُ في كتابه من النِّفاق ومن صفاتِ المنافقين في أكثر من ثلاث مئة آية في سبعَ عشرةَ سورة، وأَفْرَدَ لهم سورةً كاملةً في القرآن حتى قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَادَ القُرْآنُ أَنْ يَكُونَ كُلُّهُ فِي شَأْنِهِمْ».

وهُمْ أنواعٌ وأقسامٌ شتَّى: منهم مَنْ حَصَلَ له الإيمانُ ثمَّ رَجَعَ عنه، ومنهم مَنِ اسْتَحبَّ الضَّلالةَ على الهدى، ومنهم قومٌ ظَهَرَ لهم الحقُّ تارةً وشَكُّوا فيه أُخْرَى.

وإنَّ بليَّة الإسلام بهم شديدة؛ يَنْتَسِبُونَ إلى الإسلام وهم أعداؤُه، مُحْتَارُونَ في مُعتَقَدِهِم بين التَّصديقِ والتَّكذيب، يطلبون الدُّنيا مع الكافرينَ أو المؤمنين، مُترَدِّدُونَ حَيَارَى بين الفريقين، لَيْسُوا بمُسْلِمِينَ مُخْلِصِينَ، ولا بِكَافِرِينَ مُصَرِّحِينَ ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، ظَوَاهِرُهُم مع المؤمنين وبَوَاطِنُهُم مع الكافرين؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ المُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ العَائِرَةِ بَيْنَ الغَنَمَيْنِ؛ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً**» (رواه مسلم).

أيُّها المسلمون:

لقد هَتَكَ اللَّهُ أَسْتَارَ المنافقين وكشفَ أسرَارَهُم وجلَّى لعباده أُمُورَهُم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حَذَر، فقَوْلُهُم يُخَالِفُ فِعْلَهُم، وسرُّهم ضدَّ عَلَانِيَتِهِم، أَعْمَلُوا أفكارَهُم وأَجَالُوا آرَاءَهُم في كيدِ الإسلام وأهلِه، يُفْسِدُونَ في الأرض ويُنَافِحُونَ عن فسادِهم بدعوى الصَّلاح والإصلاح: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

كيف يكونون هُمُ المُصْلِحُون؟! وهم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ، قد نَهَكَتْ أمراض الشَّهَوَات والشُّبُهات قلوبَهم، دَأْبُهُم السَّعيُ لوقوعِ المُنْكَرات وفُشُوِّها في المجتمعات، ويَمْنَعُونَ الخيرَ والإصلاحَ فيها، ويُبْغِضُونَ شعيرةَ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المُنْكَرِ ومَنْ يقومُ بها، ويعادونه لذلك؛ يقول اللَّه سبحانه: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾، وَيُلَقِّبون أهلَ الإيمان بأقبحِ الصِّفات، ويَسْخَرُونَ منهم ويَهْزَؤُون، ويَتَرَبَّصُونَ بهم، قالوا عن المؤمنين: إنَّهُم سُفَهَاء، ولكنَّ اللَّه حَصَر السَّفَاهَةَ فيهم، فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وَيُغَرِّرُونَ بالمسلمين ويُورِدُونَهُم حِيَاض العَطَب ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، ويَسْعَوْنَ بالفِتْنَة والنَّمِيمَة والبَغْضَاء، قال تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾.

إنْ أَصَابَ المُسْلِمِينَ خَيْراً أَسِفوا، وإنْ أَصَابَهُم بَلَاء فَرِحُوا، مُتَّسِمُونَ بالكِبر والغُرُورِ ﴿يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾، مُتَّصِفُون بالعُجب

بِذَوَاتِهِم واحْتِقَارِ غَيْرِهِم قالوا: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾، عُهُودُهُم غَادِرَة، ومَوَاثِيقُهُم مَنْقُوضَة، ووُعُودُهُم مُخْلَفة، وأَمَانَاتُهُم خَائِنة، ومُخَاصَمَاتُهُم فَاجِرة، يَخُونُ أَحدُهم صاحبَه أَحْوَج ما يكون إليه، لا ذِمَّة لهم ولا أمان؛ فلا تَثِقْ بِعُهُودِهِم ولا تَطْمِئن إلى وُعُودِهِم، في الحديث عنه ﷺ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» (متفق عليه)، وعنه ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» (متفق عليه).

أعذَبُ النَّاس أَلْسِنةً، وأَلْطَفُهُم بَيَاناً، وأَعْسَلُهُم مَقَالاً، وأَخْبَثُهُم قلوباً، يُصَوِّرُونَ الباطل بصورةِ الحق، إذا سَمِعَهُم السَّامع يُصْغِي لقولهم؛ قال تعالى: ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾، ولكن أجسادهم خَواء ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾، يَزْدَرُونَ الآخرين في مُخَاطَبَاتِهِم؛ فأقوالُهُم في المَجَالِس كَاذِبَة، وربُّكَ شهيدٌ عليهم بذلك، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾، بل ويُؤَكِّدُونَ كَذِبَهُم بالأَيْمَانِ الفَاجِرَة الآثِمَة؛ قال اللَّه عنهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

حَالُهُم في الأَمْن: عُلُوُّ أَلْسِنَتِهِم بالقَوْلِ العَنِيف، بأَلْفَاظٍ مُتَنَوِّعَةٍ شَديدةٍ مُؤْذِيَةٍ على الدِّين وأهلِه، وعندَ البأس: هُمْ أَجْبَنُ قومٍ وأَخْذَلُهُم للحقِّ؛ يقول اللَّه تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ

تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ﴾، شَأْنُهُم الخوفُ والفَزَع ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، يُبَادِرُونَ إلى تصديقِ الخَبَرِ المَخُوفِ وتكذيبِ خبرِ الأمن.

وفي الإنفاق عُبَّادٌ للدُّنيا، أَبْخَلُ النَّاسِ في بذلِ الخير، أَيْدِيهِم شَحِيحِةٌ عن البَذْلِ والعَطَاء لذوي المَسْكَنِة والفُقَرَاء، وشَرُّ ما في المَرْءِ شُحٌّ هَالِع، وجُبْنٌ خَالِع، يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هُمْ أَخْبَثُ بَنِي آدَمَ وَأَقْذَرُهُمْ وَأَرْذَلُهُمْ»، آذَوْا رَسولَ اللَّه ﷺ وأصحابَه أَذيَّةً شديدة، فَعَابُوا على رسولِ اللَّه ﷺ قِسْمَتَه، وسَخِرُوا بصحابَتِه، وَهَزِئُوا بالمُتصدِّقين منهم، ورَجَعَ رَأْسُهُم عبدُ اللَّه بنُ أُبَيٍّ يومَ أُحُدٍ بثُلُثِ الجيشِ والمُسْلِمُونَ في أَحْوج ما يكونون للعَدَدِ والعُدَّة، وهَمُّوا بالفَتْكِ بِسَيِّدِ البَشَر في ظلماءِ اللَّيل في غزوة تبوك، يقول ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَمْ يَسْلَمْ أَحَدٌ مِنْ عَيْبِهِمْ وَلَمْزِهِمْ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ».

أيُّها المسلمون:

ليس للمنافقين في عبادتِهِم قدم صحيحة ولا هِمَّة في العمل عالية؛ فأَشْرَفُ الأعمال وأفضلُها الصَّلاة، وإذا قَامُوا إليها قَامُوا وهُمْ كُسَالَى، لا نِيَّة لهم للَّه فيها ولا إيمَان لهم بها، صلاةُ أحدِهِم صلاة أبدانٍ لا صلاة قلوب؛ يقول المصطفى ﷺ: «**تِلْكَ صَلَاةُ المُنَافِقِ: يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعاً لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً**» (رواه مسلم)، وذِكْرُهُم لربِّهم قليل: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾.

وإنْ أَنْفَقُوا أموالهم أَنْفَقُوهَا على كُرْهٍ ومِنَّةٍ وتَرَدُّد، ولسُوءِ مُعْتَقَدِهِم وخُبْثِ طَوِيَّتهم فنَفَقَاتُهُم غير مقبولة عند اللَّه مهما أَنْفَقُوا؛ يقول ﷻ: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾، وأموالهم وأولادهم عذاب عليهم ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

وبَوَاطِنُهُم في الأعمالِ فاسدة، مُدنَّسَة بالرِّياء وطلبِ السُّمْعَة، فلا إخلاصَ للَّه في أعمالِهِم، ولذا يَتَخَلَّفُونَ كثيراً عن صلاة الجَمَاعَة التي لا يُرَوْنَ فيها غالباً؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ: صَلَاةُ العِشَاءِ وَصَلَاةُ الفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً**» (متفق عليه).

هذه مُعَامَلَتُهُم للخَالِق، وتِلْكَ مُعَامَلَتُهُم للخلْق.

وأمَّا عددُهُم فهم كثيرون مُنْتَشِرُون في بقاعِ الأرض، وهُمْ أصنافٌ ولَهُم أحوالٌ وصِفَات، يقول حذيفةُ رضي الله عنه: «النِّفَاقُ اليَوْمَ أَكْثَرُ مِنْهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، ويقول شيخ الإسلام: «وَمَا زَالَ النِّفَاقُ بَعْدَهُ عليه الصلاة والسلام، بَلْ هُوَ بَعْدَهُ أَكْثَرُ مِنْهُ عَلَى عَهْدِهِ؛ لِكَوْنِ مُوجِبَاتِ الإِيمَانِ عَلَى عَهْدِهِ أَقْوَى، فَإِذَا كَانَ النِّفَاقُ مَعَ قوَّتِهَا مَوْجُوداً فَوُجُودُه فِيمَا دُونَ ذَلِكَ أَوْلَى»، ولهذا لمَّا سَمِعَ حذيفةُ رضي الله عنه رجلاً يقول: «اللَّهُمَّ أَهْلِكِ المُنَافِقِينَ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! لَوْ هَلَكَ المُنَافِقُونَ لَاسْتَوْحَشْتُمْ فِي الطُّرُقَاتِ مِنْ قِلَّةِ السَّالِكِينَ».

وقد عيَّنَ رسول اللَّه ﷺ جَماعَة من المنافقين وأَطْلَعَ حذيفة رضي الله عنه على أسمائهم، وخَفِيَ عليه آخرون منهم؛ يقول اللَّه تعالى لِنَبيِّه: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾، وإذا جاز على سَيِّدِ البَشَر ﷺ أَنْ لا يعلم ببعض المنافقين وهم معه في المدينة سنوات، فمِنَ الأَوْلَى أن يخفى حال جماعة منهم على مَنْ بعده.

ومعرفةُ المُنَافِقِين في لَحْنِ القول ثابتة مُقْسَم عليها في الكتاب، لكن هذا إذا تكلموا، وأمَّا معرفتُهُم بِالسِّيمَا فهو موقوفٌ على مَشِيئةِ اللَّه، يقول عثمان رضي الله عنه: «مَا أَسَرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَظْهَرَهَا اللَّهُ عَلَى صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ».

وكلَّما قَوِيَتْ شَوْكَةُ المسلمين ضَعُفُوا، وإذا ضَعُفَتْ شَوْكَةُ المسلمين بَرَزُوا، وبَلِيَّةُ المسلمين بهم أَعْظَمُ من بَلِيَّتِهِم بالكُفَّار المُجَاهِرِين؛ ولهذا قال اللَّه عنهم: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾، وَلِجُرْم أفعالهم ليسوا أهلاً لأن يُسْتَغْفَرَ لهم ولا أَنْ يُقَامَ على قُبُورِهِم بعدَ دَفْنِهِم، وفي الآخِرَة هُمْ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ من النَّار.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

إنَّ من النِّفاقِ ما هو أكبر، يكونُ صاحبُه في الدَّركِ الأَسْفَلِ من النَّار؛ وذلك بأَنْ يُكذِّب المَرْءُ رسولَ اللَّه ﷺ، أو يَجْحَدَ بعضَ ما جاءَ به، أو يُبْغِضَه، أو لا يَعْتَقِدَ وجوبَ اتِّبَاعِه، أو يُسَرَّ بانْخِفَاضِ دينِه، ونحو ذلك.

ومنه ما هو أصغر؛ بأَنْ يَعْمَلَ شيئاً من أعمال المنافقين مع بقاء الإِيمَانِ في القلب، وصاحبُه يكونُ فيه إيمانٌ ونِفَاق، وإذا كَثُر صارَ بسبَبِه منافقاً خالصاً وإِنْ صَامَ وصَلَّى ظاهراً؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» (متفق عليه)، فمَنِ اجْتَمَعَتْ فيه هذه الخصالُ فقد اجْتَمَع فيه الشَّرُّ، وخَلَصت فيه نُعُوتُ المنافقين، ومَنْ كانت فيه واحدة منها صار فيه خَصلة من النِّفَاق.

والنِّفاقُ الأصغرُ وسيلةٌ إلى النِّفاقِ الأكبر، وَلِعَظِيم خَطَرِه؛ قَطَعَ خَوْفُ النِّفاق قلوبَ السَّابقين فَسَاءَتْ ظُنُونُهُم بأَنْفُسِهِم، يقول ابن أبي مُلَيْكَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَخْشَى النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ»، ويقول الحسنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَا يَأْمَنُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَلَا يَخَافُهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ».

فاحذَرِ الوُقُوعَ في صفاتِ المنافقين وجَانِبْ نُعوتَهم، واجْتَهِدْ في إخلاصِ عَمَلِكَ للَّه والقيامِ بالعبادةِ له ظاهراً وباطناً، وأَدِّ الصَّلواتِ المفروضةَ مع جماعة المسلمين وأَنْتَ عظيم الرَّغبةِ شديد الفرح بها، وأْمُرْ بالمعروف وانْهَ عن المنكر فهو آيةُ الإِيمَان، وعليكَ بالثَّبات عند النَّوازل، وأَكْثِر من ذكر اللَّه؛ يقول أهلُ العلم: «لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ؛ إِلَّا أَنَّهُ يَنْفِي عَنْ صَاحِبِهِ النِّفَاقَ لَكَفَى بِهِ فَائِدَةً»، واصْدُقْ في حديثِك، وأَدِّ ما ائتُمِنْتَ عليه على التَّمام، وَفِ بِعَهْدِك على الدَّوَام، وكُنْ حَلِيماً في الخِصَام، وابْتَعِدْ عن سَمَاعِ الأَغَانِي والمَعَازِف فإِنَّهَا تُنْبِتُ النِّفاقَ في القَلْبِ كما يُنْبِتُ الماءُ البَقْل، وأَلِحَّ على ربِّك بأَنْ يَهَبَ لك إيماناً راسخاً وأَنْ يَحْمِيَكَ من النِّفَاقِ وخِلَالِه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

صِفَاتُ الشَّيْطَان(١)

الحمد للَّه المُتفرِّد بالكمالِ والبقاء، والعِزِّ والكِبْرِياء، أَحْمَدُه تعالى على ما أَوْلَى، والشُّكرُ له على ما أَسْدَى.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، له الحمدُ في الآخرة والأُولى.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه الصَّفِيُّ المصطفى، والخليلُ المُجْتَبى، صلَّى اللَّه وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أُولِي الفضلِ والنُّهى، والتَّابعين ومَنْ تَبِعَهُم وسَارَ على نَهْجِهِم واهتدى.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فأَوْثَقُ العُرَى كلمةُ التَّقوى، وأَعْمَى العَمَى الضَّلالةُ بعد الهُدَى.

أيُّها المسلمون:

لقد تَفرَّدَ اللَّه في تصريفِ الكون وتقلُّب أحواله وتداول أيامه، لا شريك له في ملكه؛ يَكشفُ السُّوء ويَرفعُ البلاء، ويَلْجَأُ أقوامٌ إلى السَّحَرَةِ والكُهَّانِ والمُشَعْوِذين؛ لِتَحْقيقِ مُرَادِهِم والسُّؤالِ عن مُغَيَّبِهِم ظنّاً

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر جمادى الآخرة، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

منهم أنَّهم يَمْلِكُون نَفْعاً أو ضرّاً أو تَصْرِيفاً وتَدْبِيراً، واللَّهُ يقول: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾.

والسَّحَرةُ والمُشَعْوِذُون يَتعلَّقُون بأَوْلِيَائِهِم من الجِنِّ والشَّياطين، ومَنْ نَظَرَ في حقيقة أوليائهم بَدَا لهم هَوَانهم وعَجْزهم.

فالجنُّ عَالَمٌ من الأحياء يَعْيشُون مَعَنا، مَحْجُوبُونَ عنَّا، لا نَرَاهُم ويَرَوْنَنا، إِيجَادُهُم مُتَقَدِّمٌ على خَلقِ الإنسان، خَلَقَهم اللَّه من نارِ السَّمُوم للحِكْمَة الَّتي مِنْ أجلِها خَلَقَ الإنس ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، مَأْمُورُونَ بحسبهم بالأصول والفروع، مُشَارِكُون للإنس في جِنْسِ التَّكْلِيف، مَنْ أَطَاعَ مِنْهُم فَلَه الجنَّة، ومَنْ تمرَّدَ فَلَه النَّار، قُدُرَاتُهُم قَاصِرَة، أَوَائِلُهُم مع أَوَاخِرِهم لا يَسْتَطِيعُونَ الإِتْيَانَ بمثلِ هذا القرآن، ولا يَتَصَرَّفُون في الكونِ بما لم يَأْذَنْ به اللَّه.

ما مِنْ أحدٍ من الإنس إلَّا وُكِّل به قرينُه من الجنِّ، وهم في الصَّلاحِ والفسادِ مراتب؛ منهم أهلُ الاستقامة، ومنهم مَنْ هو من أهلِ الضَّلالَة، مُتَنَوِّعُونَ في الهِداية والغِواية، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي الجِنِّ جَهْلٌ وَظُلْمٌ - فَيُعَاقِبُونَهُ بِأَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ وَقَدْ يَكُونُ عَنْ عَبَثٍ مِنْهُمْ وَشَرٍّ».

أَتَى داعيهم إلى النَّبيِّ ﷺ، فَذَهَبَ معه وتلا عليهم القرآن، وحَادَثَهُم وعلَّمَهُم دينَ ربِّهم، واستمعوا للنَّبيِّ ﷺ وهو يُصلِّي بأصحابه، يَشْهَدُون يوم القيامة لِمَنْ سَمِعُوا صوتَه من المُؤذِّنين، وفيهم الدُّعَاة إلى

اللَّه؛ قال ﷻ عنهم: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾، ولَئِنْ كان منهم دعاة فَمَا عُذْر الإِنْسِ في تَرْكِ الدَّعوةِ إلى اللَّه؟!

إنَّ الاسْتِمْسَاكَ بالدِّين والاعتزازَ به فضلٌ وشرف، وقد افْتَخَرَ الجِنُّ بأنَّ منهم مسلمين وصالحين، وحُقَّ للإِنْسِ أن يكونوا كذلك؛ فبالدِّينِ الرِّفعةُ والعُلُوُّ.

فضَّل اللَّهُ الإنسَ عليهم، فكُلُّ عَظْمٍ يَرْغَبُ عنه بنو آدم يَنْقَلِبُ بأمر اللَّه لَحْماً لهم، وكلُّ رَوْثةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّهِم.

أيُّها المسلمون:

إبليسُ أصلُ الجِنِّ، ولَهُ ذريَّة، وهو حَيٌّ مُنْظَرٌ إلى يوم القيامة، عَرْشُه على البَحْر وهو جالسٌ عليه، يَبْعَثُ جنودَه يُلْقُون بين النَّاس الشَّرَّ والفِتَن.

والشَّيطانُ قَبِيحُ الخَلْقِ كَرِيهُ الصُّورَة؛ إذا رآه الحِمَارُ نَهَق؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَاناً**» (متفق عليه)، لَهُ قلبٌ وعَيْنٌ وأُذُنٌ وصَوْتٌ ولُعَابٌ وإِصْبَعٌ، والشَّمسُ تَطْلُعُ بين قَرْنَيْه، يَأكُلُ ويَشْرَبُ بالشِّمال، تَسْكُنُ الشَّياطين هذه الأرض الَّتي نَعِيشُهَا، ويَكْثُر جَمْعُهُم في الخَرابِ والفَلَوَات ومَوَاضعِ النَّجَاسَات، ويُحِبُّونَ الجُلُوسَ بين الظِّلِّ والشَّمس، وقد نَهَانَا نبيُّنا ﷺ عن الجلوس بينهما؛ فقال: «**إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الشَّمْسِ فَقَلَصَ عَنْهُ الظِّلُّ، وَصَارَ بَعْضُهُ فِي الشَّمْسِ وَبَعْضُهُ فِي الظِّلِّ؛ فَلْيَقُمْ**» (رواه

أبو داود)، وفي رواية: «**إِنَّهُ مَجْلِسُ الشَّيْطَانِ**» (رواه البيهقي)، ويَكْثُرُونَ في الأسواق؛ يقول المصطفى ﷺ: «**فِيهَا بَاضَ الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ**» (رواه الطبراني).

ويَسْتَشْرِف المرأة إذا خرجت؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**» (رواه الترمذي)، فَعلى المرأةِ الحَذَرُ من الخروجِ مِنْ دَارِهَا إلَّا لِحَاجَةٍ مُلِحَّةٍ، وإذا خَرَجَتْ تكون مُحْتَشِمة بِلِبَاسِ العِفَّةِ والحَيَاء.

والشَّياطينُ تَنْتَشِرُ بِحُلُولِ الظَّلَام، وكلُّ إنسانٍ له شيطانٌ مُلَازِمٌ له، مَجْرَاهُ في دَمِ ابنِ آدَم، ومع ذلك فهو لا يَعْلَمُ من أَمْرِ الغَيْبِ شيئاً.

أيُّها المسلمون:

يَضْحَكُ الشَّيطانُ إذا تَثَاءَبَ أَحَدُكُم بصَوْتٍ، ويَبْكِي إذا قَرَأَ ابنُ آدَم السَّجْدَة وسَجَدَ. والشَّيطانُ يَبُولُ في أُذُنِ العبدِ إذا نَامَ عن الصَّلاةِ حتى يُصبِح، ويُدبِرُ ولَهُ ضُرَاطٌ إذا نُودِيَ بالصَّلاة؛ حتى لا يَسْمَعَ الأَذَان، ومَنْ لم يَذْكُرِ اللَّه عند دخولِه دارَه بَاتَ الشَّيطانُ معه، ويَبِيتُ على خَيَاشِيم ابنِ آدم؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ**» (متفق عليه)، ومَنْ أَكَلَ بِلَا تَسْمِيَةٍ ثمَّ سَمَّى اللَّه؛ قَاءَ الشَّيطانُ ما في بطنِه، وله صِياحٌ وصُرَاخٌ؛ صَاحَ بأنَّ النَّبيَّ ﷺ قُتِلَ يومَ أُحُدٍ، وصَرَخَ ليلةَ العَقَبَة، ومِزْمَارُه الجَرَس.

أيُّها المسلمون:

الشَّيطانُ يأمرُ بكلِّ شرٍّ وينْهَى عن كلِّ خير، يُخَوِّفُ الأغنياءَ بالفَقْر ويَأْمُرُهم بالشُّحِّ، وُعُودُهُ كَاذِبَة وأَمَانِيهِ بَاطِلة، يَخْذُل ويَتَبرَّأ، وعندَ القِتَالِ هَلِعٌ جَبَان، ويَفِرُّ من أهلِ الإيمَان، فما سَلَكَ عمرُ بنُ الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طريقاً إلَّا سَلَكَ غيرَ طريقِه، يَكْذِبُ في أقوالِه ويَدْعُو العبدَ إلى المعصية بزَعْمِ النَّصيحَة: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

شَيطانٌ مَارِد، يَعْمَلُ المَكِيدَةَ ويُبَالِغُ في الحِيلَة، كَادَ لِلْأَبَوَيْنِ بالأَيْمَان الفَاجِرَة والأَمَانِي الكَاذِبَة، فأَخْرَجَ الأَبَوَيْنِ من الجَنَّة، وأوقع الشِّركَ على هذه الأرض بما زَيَّنَهُ من التَّعلُّق بالصَّالحين مِنْ دون اللَّه، ويُنْسِي البَشرَ، وما لَبِثَ يوسفُ في السِّجن إلَّا بسببه: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.

يَعْمدُ إلى السَّماءِ لإفساد الأرض؛ فحَمَاهَا اللَّه وحَفِظَهَا من كلِّ شيطانٍ رَجِيم، كُفُور لِربِّه جَحُود لنِعَمِه، للرَّحْمَن عاصٍ، وللإنسانِ خَذُولٌ، يَسْعَى ليعبُدَه البَشَرُ ويُوقِعَ بينهم الفُرْقَة والاختلاف؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**» (رواه مسلم)، يُغْوِي الكافرين ويُغْرِيهِم ويَسُوقُهُم إلى المَعَاصِي سَوْقاً، مُسْتَكْبِرٌ مُحْتَقِرٌ لِغَيْرِه يقول لربِّه: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.

بَلَغَ مِنَ الحِقْدِ غايتَه ومِنَ الحَسَدِ نهايتَه، مِنْ حِقْدِه: أنَّ عَدَاوَتَه لم

يَقصُرْها على أَبِينَا آدم ﷺ؛ بل جَعَلَ ذُرِّيتَه معه، ومِنْ حَسَدِه: قَسَمُه بأَنْ يَسْعَى لإضلالِ مَنْ فُضِّلَ عليه.

الأَغَانِي قُرآنُه وهِيَ رُقْيَتُه إلى المعاصي، قريبٌ من كُلِّ فاحشة، فمَا خَلَا رجلٌ بامرأةٍ إلَّا كان ثالثُهما شيطاناً، يَأكلُ طعامَ الإِنْسِ بغير إِذْنِهِم، ويَبِيتُ في دُورِهِم بغيرِ عِلْمِهِم إذا لم يُسَمُّوا اللَّه، ويُنَازِعُهُم في لُقْمَتِهِم؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمُ اللُّقْمَةُ، فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى؛ ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ**» (رواه مسلم).

الشَّيطانُ مُؤْذٍ لخلقِ اللَّه؛ لا يُوَقِّرُ نبيّاً ولا يُبَجِّلُ رسولاً، جاء إلى النَّبيِّ ﷺ بشِهابٍ من نارٍ لِيَجْعَلَه في وجهِه، ولا يَدَعُ طفلاً؛ فمَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إلَّا ويَطْعَنُه الشَّيطانُ في جَنْبَيْهِ بإِصْبَعِه حتَّى يَبْكِي إلَّا مَرْيَمَ وابنَها؛ عَصَمَهُمَا اللَّه، ولا يَشْفِقُ على نائمٍ، فيَبِيتُ على خَيْشُومِه ويَعْقِدُ على قَافِيَتِه ثَلَاثَ عُقَدٍ، ولا تُحَلُّ إلَّا بِذِكْرِ اللَّه بعد الاستيقاظ والوُضُوءِ والصَّلاة، ويُرِيْهِ الأَحْلَامَ المُفْزِعَة، فإِذَا رَأَى أَحَدُكُم ما يَكْرَه فإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيطَان؛ فلْيَسْتَعِذْ باللَّه مِنْ شرِّها ولا يَذْكُرْها لِأَحدٍ؛ فإِنَّها لا تَضُرُّه، ويَتعرَّضُ للصِّبيان؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ فَحُلُّوهُمْ**» (رواه البخاري)، وفي لفظٍ له: «**فَإِنَّ لِلْجِنِّ انْتِشَاراً وَخَطْفَةً**»، لا يَرْحَمُ مُحْتَضِراً وهو في أَحْلَكِ حَالٍ في سَكْرةِ الموت؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ المَوْتِ**» (رواه النسائي).

وفي الآخرةِ خَاذِلٌ لِلأَتْبَاع؛ يَتَبَرَّأُ مِمَّن أَضَلَّهُم، ويقول لهم: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾.

شَيطانٌ مَارِد، بُلي بالذَّنب فأَصَرَّ وعَارَضَ الأَمْر، وقَدَحَ في الحِكْمَة، ولم يندمْ على الزَّلَّة، قَطَعَ على نَفْسِه عَهْداً بإِضْلَالِ بَنِي آدَم: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

مَنْبَعُ الشُّرُورِ والآثَام، غايةُ سَعْيِه إِلْقَاءُ الإنسانِ في الجحيم؛ قال ﷻ عنه: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾، شَرٌّ على الخَلِيقَة، يَسْعَى إلى المَكِيدَة، ويَمْكُرُ بالخَدِيعَة، رَضِيَ بالكُفْرِ فأَصْبَحَ مُحِبّاً للشَّرِّ طالباً له، داعياً إليه حريصاً عليه بمُقْتَضَى خُبْثِ نفسه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه بارئِ البريَّات، عَالِمِ الخَفيَّات، أَحْمَدُه تعالى على نِعَمِه المُتَتَابِعَات.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريكَ له، ولا مَثِيلَ له ولا أَنْدَاد.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، بعثه اللَّه رَحْمةً للعباد، صلى اللَّه وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم المَعاد.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

لا مَنَاصَ من مُجاهدة هذا العدوِّ في حَنَايَا النَّفْسِ وخَطَرَاتِ القلب، وإِنَّه لا سُلْطَانَ له على عباد اللَّه الصَّالحين، وقد بَلَغَ من الضَّعف غايتَه فلا يستطيعُ أَنْ يَفْتَحَ باباً مُغْلَقاً، ولا يَكْشِف إناءً، ولا يَحِلَّ سِقَاءً، وبالتَّسْمِيَة لا يَأكلُ طعاماً ولا يَشْرَبُ شراباً، ولا يَقْرَبُ النَّائمَ إذا قرأ آيَةَ الكُرْسِيِّ، ويَفِرُّ من البيت الذي تُقْرَأُ فيه سورةُ البقرة، ومَا سَلَكَ عُمرُ بنُ الخطَّاب ﵁ فَجّاً إلَّا سَلَكَ غيرَ فَجِّه فَرَقاً منه، وفي رمضانَ يُصَفَّدُ ويُسَلْسَل، وصَدَق اللَّه: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

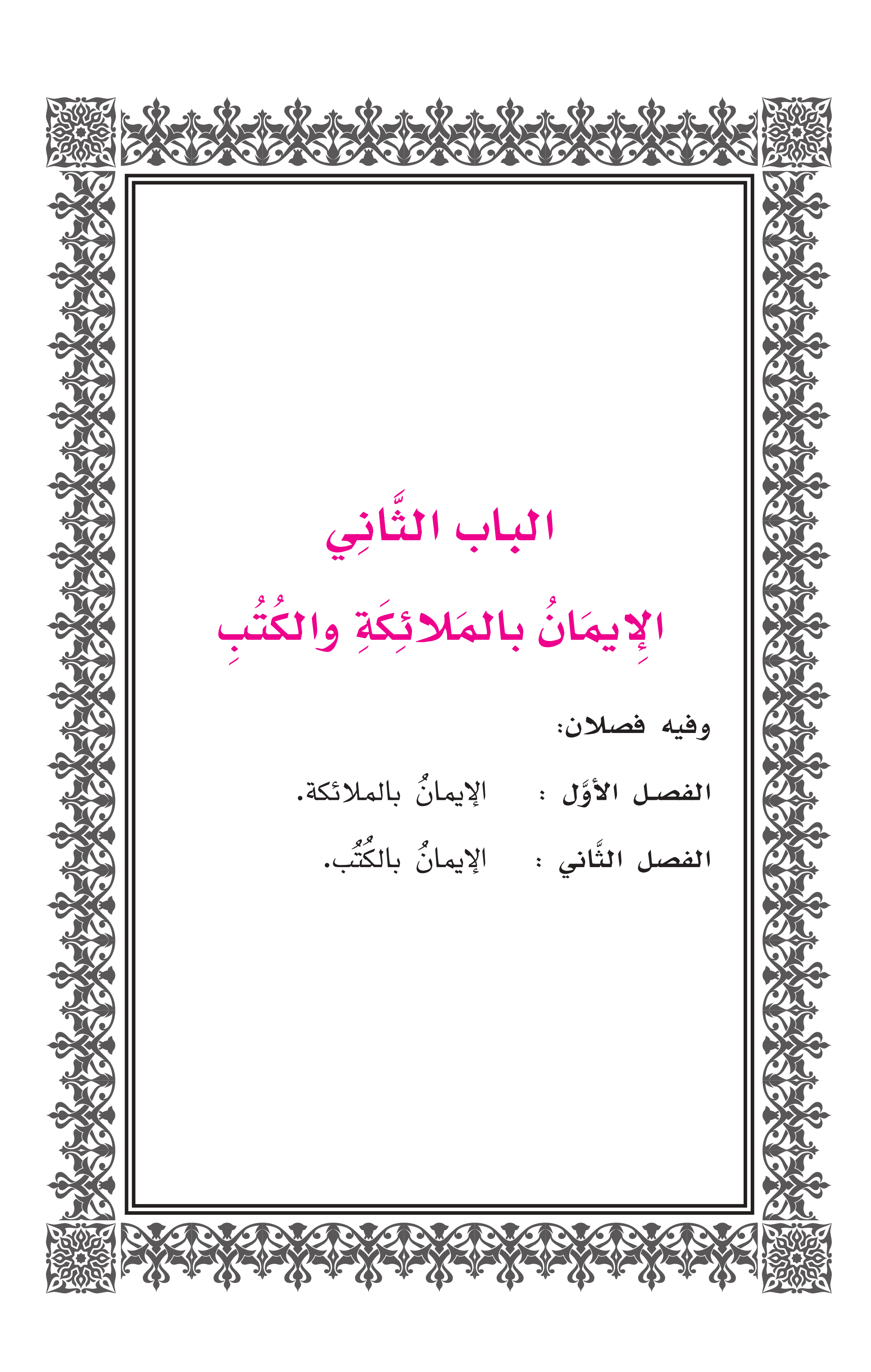
إنَّ أعظمَ سبيلٍ للحِمَايةِ منه: هو الالتجاءُ إلى اللَّه، والاحْتِمَاءُ بجنابه، والإكثارُ مِنْ ذِكْرِه ﷻ، يقول مجاهد ﵀: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَكْسَرُ لِظَهْرِ إِبْلِيسَ مِنْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

فَطَهِّر بيتَك من المنكرات والغِنَاء والمُحرَّمات، واحْذَرْ أن تكون دارُك مَسْكَناً له، واعْمُر منزِلَك بالطَّاعة والقُرْآن؛ لِتَدْنُوَ من بيتِك الملائكة وتَغْشَاهُ الرَّحْمَة وتَتَنزَّلَ عليه السَّكِينَة.

واعْجَبْ مِمَّن أَعْطَى يده له واسْتَأْسَرَ لأَمْرِه ممَّن تَعلَّقَ بالسَّحَرةِ والمُشَعْوِذِين، كيف أَفْسَدَ دينَهم وأَوْبَقَ دُنْيَاهُم؟! وتأمَّلْ شُؤْمَ المعاصي؛ فبِمَعْصِيةٍ واحدةٍ ساءَ خَلْقُ إِبْلِيسَ وخُلُقُه، واحتَرِزْ من غَوَائلِه وشرِّه، وتَعَوَّذْ باللَّه مِنْ هَمْزِه ونَفْخِه ونَفْثِه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...





الباب الثَّانِي

الإِيمَانُ بالمَلائِكَةِ والكُتُبِ

وفيه فصلان:

الفصل الأَوَّل

الإِيمَانُ بِالمَلائِكَةِ

الإِيمَانُ بِالمَلائِكَةِ[١]

الحمد للَّه بارئ

ِ البريَّات، عَالِمِ الخَفيَّات، المُطَّلعِ على الضَّمائرِ والنِّيَّات، أَحْمَدُه تعالى على نِعَمِه المُتَتَابِعَات.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، ربُّ الأرض والسَّموات.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، الهادي إلى صراطٍ مستقيم، والدَّاعي إلى دِينٍ قويم، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَنِ اسْتَمْسَكَ بِسُنَّتِه إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقُوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى مِلاكُ كلِّ خيرٍ ورأسُ كلِّ فضيلة، فالْزَمُوهَا في العَلَانِيَة والخَفَاء؛ تَفُوزُوا يوم العَرْضِ والجزاء.

أيُّها المسلمون:

الإيمانُ بالملائكةِ أصلٌ من أُصولِ الاعتقاد، لا يتمُّ الإيمانُ إلَّا

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث عشَر من شهر صَفَر، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

به، وهم عالَمٌ من عَوالِم الغيب الَّتي يَجبُ الإيمانُ بها، والتَّصديقُ بهم يَقْتَضِي الإيمانَ بهم إجمالاً في الإجمال، وتفصيلاً في التَّفصيل، وتَعْيِيناً في التَّعْيِين، حَسْبَمَا ورد في الكتابِ العزيز والسُّنَّةِ المُطهَّرة.

خَلَقَهُم ﷻ من نُورٍ، على خَلْقٍ حَسَنٍ كَرِيم وعَظَمةٍ في الأَشْكَالِ وقُدْرَةٍ على التَّشَكُّل في الصُّوَرِ المُتَعدِّدَة، لا يَأْكُلُون ولا يَشْرَبُون، أَخْلَاقُهُم وأَفْعَالُهُم طاهرةٌ كاملة، جَبَلَهُم اللَّهُ على الحياء؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ؟** - يَعْنِي: عُثْمَانَ رضي الله عنه -» (رواه مسلم).

صُفُوفُهُم عند ربِّهِم مُنْتَظِمَة، إِنَّهم خَلْقٌ من خَلْقِ اللَّه عظيمٌ؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعالَى مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِئَةِ عَامٍ**» (رواه أبو داود).

وأفضلُهُم جبريل عليه السلام، له سِتُّ مئة جَناح، ما بين كلِّ جَنَاحَيْنِ كما بين المَشْرِقِ والمَغْرِب، كلُّ جَناحٍ منها قد سدَّ الأُفُق، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى، عَلَيْهِ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ، يَنْتَثِرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاوِيلُ الدُّرُّ وَاليَاقُوتُ**» (رواه أحمد)، قال اللَّه عنه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾، ذو خَلْقٍ حَسَنٍ وَبَهاء وَسَنَاء، له قُوَّةٌ وبَأْسٌ شديد، ومَكَانَةٌ ومَنْزِلَةٌ عند اللَّه رَفِيعة، يَنْزِل على الرُّسُلِ بالأَخْبَارِ الصَّادقةِ والشَّرائعِ العَادِلَة، قاتلَ مع النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام في بَدْرٍ والخَنْدَق، وصَحِبَهُ في الإِسْرَاء، وإذا أحبَّ اللَّهُ عبداً نَادَى جِبْرِيلَ: «**إِنِّي أُحِبُّ فُلَاناً؛ فَأَحِبَّهُ،**

فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَاناً؛ فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ» (متفق عليه).

وهُمْ في صُنُوفٍ من العبادات؛ منهم مَنْ هو قَائِمٌ للَّه أبداً، ومنهم مَنْ هو رَاكِعٌ له أبداً، ومنهم مَنْ هو سَاجِدٌ أبداً، ومنهم مَنْ هو في أَلْوَانٍ من الطَّاعاتِ أُخَر، ربُّك عليمٌ بها: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾، يقول ﷺ: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ**» (رواه أحمد).

أيُّها المسلمون:

لقد حَمَى اللَّهُ الإنسانَ وشرَّفَه وصَانَه، وأَوْكَل ذلك إلى خيارِ خَلْقِه؛ ملائكةٌ يَتَعَاقَبُونَ عليه، حَرَسٌ له باللَّيل وحَرَسٌ بالنَّهار، يَحْفَظُونَه من أَمْرِ اللَّه بِأَمْرِ اللَّه، ويَتَعَاقَبُ عليه ملائكةٌ آخَرُونَ لحفظِ الأعمال، ما يَلْفِظُ بِكَلِمةٍ إلَّا وَلَهَا مَنْ يَرْقُبُها، مُعَدٌّ لذلك - يَكْتُبُهَا -، لا يَدَعُ كلمةً ولا حَرَكَةً إلَّا سطَّرها، فهو بين أربعةِ أَمْلَاك بالنَّهار، وأربعةٍ آخَرِين باللَّيل، ومَلَكٌ موكَّلٌ بالنُّطفة، وقرينٌ لهدايتِه وإِرشادِه، ومَلَكُ الموت يَنْزِعُ رُوحَه، وهم في ذلك أقرب إلى الإنسان من حَبْلِ وَرِيدِه إليه، بإقدار اللَّه لهم على ذلك.

عددُهُم: خَلْقٌ كثيرٌ لا يُحْصِيهم إلَّا مَنْ خَلَقَهُم؛ قال ﷻ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، ويقول النَّبيُّ ﷺ عن البيتِ المَعْمُورِ الَّذي في السَّماءِ السَّابعة: «**فَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**» (متفق عليه).

اصطفى اللَّهُ منهم مَنْ يَحْمِلُ عَرْشَه، ومنهمُ الملائكةُ المُقرَّبُون عنده، ومنهم مَنْ هو في السَّمواتِ السَّبعِ يَعْمُرونها عبادة دائبة، خِيَارُهم مَنْ شَهِدَ منهم معركة بَدْرٍ.

أيُّها المسلمون:

الملائكةُ يُحِبُّون الصَّالحين وأعمالَ الصَّالحين؛ يُصلُّون على مُعَلِّم النَّاس الخير، وعلى الصفِّ الأول، ويَحثُّونَ العِبَادَ على فِعْلِ الخير؛ فـ«**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**»، ويَدْعُونَ ويَسْتَغْفِرُونَ للمؤمنين، بل إنَّ حَمَلَة العَرْشِ ومَنْ حَوْلَ العَرْشِ يَخُصُّون المؤمنَ التَّائِبَ بالاسْتِغْفَار، ويَدْعُونَ له بالخَلَاصِ من النَّار ودُخولِ الجِنَانِ وحِفْظِه من الذُّنوبِ والآثام، ويُؤَمِّنونَ على دُعاءِ المُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ ويَقُولُونَ له: «**وَلَكَ بِمِثْلِهِ**».

ويتنزَّلون مع تَنَزُّلِ البركة والرَّحمة، يتنزَّلون في ليلةِ القدر، ويَنْزِلُون عند تلاوة القرآن، وَيُحِيطُون بِحِلَق الذِّكْر، ويَحُفُّونَهُم بأجنحتهم إلى السَّماء الدُّنيا، وتَضَعُ أَجْنِحَتَها تواضعاً لِطَالِبِ العلم رِضاً بما يَصْنَع.

في قُرْبِهم مِنَّا الخيرُ والسُّؤْدَد، لقد كان رسول اللَّه ﷺ أجودَ النَّاس، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضان حين يلقاه جبريل، وعند احتضار الصَّالحين يُثبِّتونَهُم ويُبَشِّرونَهُم بالجِنَان، وتَنْزِعُ أرواحَهم نزعاً رفيقاً، وتدخلُ عليهم الملائكة من كلِّ بابٍ تَهْنِئَة بدخول الجِنَان، وتَفِدُ

عليهم الملائكة مُسَلِّمِين مُبَشِّرِين بِمَا حصل لهم من اللَّه من التَّقريب والإنعامِ والإقامة في دار السَّلام في جوار الأنبياء والرُّسُلِ الكِرَام.

ومع مَحَبَّتِهِم للصَّالحين فهم يُبْغِضون العاصي ويَأْنَفُون من المعصية؛ فلا يدخلون بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا تِمْثَال، ويَتَأَذَّوْن ممَّا يَتَأَذَّى منه بنو آدم - من الرَّائحة الكريهة -، ويلعنون الكافرين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، وإذا دنا أَجَلُهم بَشَّرَتْهم بالعذابِ والنَّكالِ والجَحِيمِ والحَمِيم، فَتَتَفَرَّقُ أرواحُهم في أجسادهم وتَأْبَى الخروج، فتَضْرِبُهُم الملائكة على وُجوهِهِم وأَدْبَارِهِم وتقولُ لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

أيُّها المسلمون:

الملائكةُ عبادٌ مُكْرَمُون، في منازلَ عاليةٍ ومقاماتٍ سامية، وهم لِربِّهم في غاية الطَّاعة قولاً وفِعلاً: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾، لا يتقدَّمون بين يديه بأمر، ولا يخالفونه فيما أَمر، ولا يَسْتَنْكِفُون عن عبادتِه ولا يَسْتَحْسِرُون: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾، دَائِبُونَ في العمل ليلاً ونهاراً، مُطِيعُونَ قصداً وعملاً، و«**إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَاناً لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ**»، و«**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ أَنْ يُوحِيَ**

بِالأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً - أَوْ قَالَ: **رِعْدَةً** - **شَدِيدَةً، خَوْفاً مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صَعِقُوا، وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّداً، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ**»، قال اللَّه عنهم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۞ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۞ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

فإِنَّه ومع هذا الخَلْقِ العظيمِ مِنْ خَلْقِ اللَّه فإنَّ قَدْرَهم لا يَعْدُو أن يكونوا عَبِيداً مُتذلِّلِين بين يدي اللَّه، لَيْسُوا شُرَكاءَ في المُلْك، ولا تَصرُّفَ لهم في الكون، وقد تَوَعَّد اللَّه بِجَهَنَّم مَنِ ادَّعى منهم الأُلوهيَّةَ مِنْ دُونِه؛ فقال ﷻ: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ولئن كانت الملائكةُ - وفيهم تلك القوَّة - تَرْجُفُ وتَصْعَقُ عند سماع كلام اللَّه خوفاً منه وفَرَقاً ومهابة، فكيف يُدْعَى أَحَدٌ منهم مِنْ دون اللَّه؟! بل إنَّ غيرَهم ممَّن لا يَقْدِر على شيءٍ من الأموات والأصنام أَوْلَى أن لا يُدْعَى ولا يُعْبَد، فالأمورُ كلُّها بيدِ الواحدِ القَهَّارِ وكُلُّ مَنْ سِوَاه مخلوقٌ مَرْبُوب؛ لا يَمْلِكُ نفعاً ولا ضرّاً.

هذا، وإنَّ بعضَ النَّاس لم يُدركِ الحكمةَ التي من أَجْلِها خُلِق، ولم يَقْدُر نَفْسَه حقَّ قَدْرِها، ولم يَلْحَظ تكريمَ وتشريف اللَّه له باصطفاء

خِيَار خَلْقه لِحِفظه وَكَلَاءته وَتَأْيِيده، فقابَلَ ذلك بالكُفر والفسوق والنُّكران، ومَنِ اسْتَكْبَرَ عن عبادةِ ربِّه وأَبَى إلَّا الشِّركَ والعِصْيَان، فمَنْ عِنْدَ ربِّك يُسبِّحون له باللَّيل والنَّهار وهم لا يَسْأَمُون، واللَّهُ غَنيٌّ عن العَالَمِين لا تَنْفَعُه طاعة المُطِيع ولا تَضُرُّه معصية العاصي.

فاجتهدوا - عبادَ اللَّه - في طاعة ربِّكم وآمِنُوا بملائكته، وتَذَكَّروا أنَّ منهم عباداً يحفظونكم، ويحفظون عليكم أفعالَكُم وأقوالَكُم ويَكْتُبونَهَا في صحائفِ أعمالِكم التي ستُعْطَوْنَها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الفصل الثَّاني

الإِيمَانُ بِالكُتُبِ

القُرْآنُ العَظِيمُ (١)

الحمد للَّه مُعِزِّ مَنْ أَطَاعَه واتَّقَاه، ومُذِلِّ مَنْ أَضَاعَ أَمْرَه وعَصَاه، أَحْمَدُهُ حَمْداً كثيراً طيِّباً مباركاً كما يُحِبُّ ربُّنا ويرضى.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، لا ربَّ لنا سواه، ولا نعبد إلَّا إياه.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، أصدقُ داعٍ إلى اللَّه، وأَنْصَحُ خلقَ اللَّه لعِبَادِ اللَّه، اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَنْ سَلَكَ سبيلَه واتَّبع هداه.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وأَخْلِصُوا له سِرَّكُم وجَهرَكُم، وسَارِعُوا إلى مَرْضَاةِ ربِّكم، واغْتَنِمُوا فاضلَ شهركم.

أيُّها المسلمون:

بعثَ اللَّهُ نَبيَّه مُحمَّداً ﷺ بقُرآنٍ عربيٍّ مُبينٍ، بَهَرَ عُقولَ فصحاء العرب، وأقام عليهم الحجَّة؛ فاعترفوا بِفَضْلِ بيانه وَحُسْن كَلَامه، قال الوليدُ بن المغيرة: «وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ».

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السادس عشَر من شهر رمضان، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

جعلهُ اللَّه في دُجَى الظُّلَم نوراً ساطعاً، آياتٌ في إِثْرِ آيَات: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾، جَمَعَ فأَوْعَى في علاجِ النُّفوسِ وتقويمِ الأوضاع وإيقاظِ القلوب، إنَّه حَبْلُ اللَّه المتين، والنُّورُ المُبين، عِصْمةٌ لِمَن تَمَسَّك به، ونجاةٌ لمن اتَّبعه، مَنْ قال به صَدَق، ومَنْ حَكَم به عَدَلَ، ومَنْ عَمِل به أُجِر، عَجِبَتِ الجِنُّ من عجائبه: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾.

أيُّها المسلمون:

بتلاوةِ القرآن والعملِ به يعلو الشَّأنُ وَيَزْهُو القَدْر، يقول أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي، قَالَ: **عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ القُرْآنِ، وَذِكْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ**» (رواه ابن حِبَّان)، وخيرُ النَّاسِ مَنْ تعلَّمَه وعلَّمَه، مكث أبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ رحمه الله أربعين سنة يُعَلِّم كتاب اللَّه طَلباً للخَيْرِيَّة.

تَتَنَزَّل السَّكينةُ وتَغشى الرَّحْمَةُ وتَحفُّ الملائكة بمُدَارَسَتِه وتلاوتِه، المَاهِرُ به مع السَّفَرَةِ الكرامِ البَرَرَة، تلاوتُه من خيرِ القُرَب، بكلِّ حَرْفٍ منه حسنة مضاعفة، ومنزلةُ قارئِه في الآخرة عند آخر آيةٍ رَتَّلَها في دنياه، تَعلُّمُه خيرٌ مِنْ جَمْعِ المالِ والحُطام؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يومٍ إِلَى بُطْحَانَ** - أَوْ: **إِلَى العَقِيقِ** -، **فَيَأْتِيَ مِنْهُ بنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟** فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: **أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى المَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ**

مِن كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، خَيْرٌ لَهُ مِن نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِن أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ» (رواه مسلم).

أيُّها المسلمون:

لقد بَلَغَ القرآنُ الغايةَ في البلاغةِ والفصاحة، يَعْجَبُ منه البُلَغَاء، وَيَفْهَمُه العَامَّة والبُسَطاء، فأيُّ كتابٍ يُمكنُ أن يَستوعبَ أفهامَ البشرية جميعاً في عصورٍ متتابعة، على اختلاف مداركِهم وأماكنِهم ولغاتهم وتَنوُّعِ معارفهم؟! لمَّا سمعه عقبة بن ربيعة قال: «وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشِّعْرِ وَلَا بِالكِهَانِةِ»، وحين طَلَبَ المشركون من رسول اللَّه ﷺ معجزاتٍ حِسَّيَةٍ - من تفجيرِ الأنهارِ وإسقاطِ السَّماء -؛ جاءهم الخبر: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، إنَّه كتاب ميسر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، ومع هذا لو نَزَل على الجبال لَصَدَّعها، أو على الأرض لَقَطَّعها.

تلاوتُه شفاءٌ للنُّفُوسِ من الشَّهوات، ودواءٌ للقلوب من الأهواء والشُّبُهات، وعلاجٌ للأَبْدَان من الأَمْرَاض والآفات: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أيُّها المسلمون:

إنَّ أحسنَ الحديث كتاب اللَّه، وقد أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَه اللَّهُ في قلبه، يقول الفضيلُ بنُ عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَامِلُ القُرْآنِ حَامِلُ رَايَةِ الإِسْلَامِ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَلْهُوَ مَعَ مَنْ يَلْهُو، وَلَا يَلْغُوَ مَعْ مَنْ يَلْغُو، وَلَا يَسْهُوَ مَعَ مَنْ

يَسْهُو»، وعلى قارئِه الاتِّصافُ بالصِّدقِ والإخلاص وقيام اللَّيل ديانةً وأمانة لِمَا في جَنْبَيْه.

ولن تَجِدَ طَعْمَ السَّعَادةِ حتى تكونَ على طاعة ربِّك، مديماً لتلاوة كتاب ربِّك، فداوِ مرضَ المخالفةِ بالتوبة، والغفلةِ بالإنابة، وتَمسَّكْ بحبل القرآن في الشَّدائد؛ فكلُّ حبل سواه مَهِين، واجعلْ في دارك نصيباً من القرآن، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ وَالبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**» (رواه مسلم).

فعطِّرْ لسانَك بتلاوته وتدبَّر معانيه، واستَمْسِكْ بِهَدْيه وأحكامه؛ تَظْفَرْ بِبُشرى الدُّنيا والآخرة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

إنَّ كتابَ اللَّه يُوحِّدُ الأُمَمَ المُخْتَلِفَة والشُّعوبَ المتباينة تحت راية الإسلام وصحَّة المعتقد، يَرْبِطُ بينها بِرِباط الإيمان وعُرى الدِّين، ويَجْعَلُ منها أُمَّةً واحدةً متماسكةَ القُوى، مجتمعةَ الأطراف، مُتوحِّدةَ الصُّفوف: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

وإذا فرَّط المسلمون في العملِ بكتابِ ربِّهم؛ حَلَّ بِهِم الضَّعف، وخَنَعُوا للذِّلَّة، وأحاطت بهم الفِتْنَة، وساروا في سَرَاب أعدائهم، وأَخَلُّوا بجانب الوَلَاء والبَرَاء، وصدَّقوا الأَوْهَام والكُهَّان، واسْتَمَعُوا لِمَنْ يدَّعي علم الغيب، ومعرفة حلول الكوارث والمصائب بِمُضِيِّ القرون، وتعلَّقوا بالأسباب، وغَفَلوا عن الإيمان بأنَّ اللَّهَ هو المُهَيْمِنُ لا يقعُ في مُلْكِه إلَّا ما يريد، فحقٌّ على المسلم أن يَعْتَزَّ بدينه، ويَسْتَمْسِكَ بكتاب ربِّه، وأن لا يُدَاهِنَ في دين اللَّه، ولا يلتفتَ إلى أعيادِ الكفار ومواسِمهم؛ فإنَّهم أهل دين باطل، وإنَّهم في ضلالٍ مبين، وما يعتبرونه أعياداً لهم يجبُ على المسلم أن ينكرَه بقلبِه ولسانِه.

واحذر الرِّضا أو التَّطلُّع إلى أفعال أعيادهم، ففي رؤية منكرات مِلَلِهِم: خَلَلٌ في المعتقد وَزَيْغٌ للنُّفوس، وإلقاءٌ للشُّبَهِ على القلوب، واللَّه يقول: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾.

فاحْمَدِ اللَّه - أيُّها المُسلِم - على نعمة الإسلام؛ فهي أعظمُ النِّعَم قَدْراً، وأَبْلَغُها أثراً، واجعلْ إيمانَك ناصعاً يضيءُ لك دروبَ حياتك، ولا تفرِّطْ في دينك، ولا تُقَلِّدْ عدوَّك؛ يقول الرسول ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**» (رواه مالك).

ولدى المسلمين كتابُ ربِّهم، المحفوظُ من كل تحريف، الجامعُ لِخَيْرَي الدنيا والآخرة، فيه النُّورُ والهُدى، وهو المُخْرِجُ من المِحَن والفِتَن؛ يقول ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على الرَّحْمَةِ المُهْدَاة، والنِّعمةِ المُسْدَاة، مُحمَّد بن عبد اللَّه ...

عَظَمَةُ القُرْآنِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

ربُّنا سبحانه كاملٌ في ذاته وأسمائِه وصفاتِه، لا كُفْءَ له ولا مَثِيل، وصفاتُه أكملُ الصِّفات وأحسنُها، وَمِن صفاته سبحانه: الكَلَامُ؛ يتكلَّم متى شاء، إذا شاء، بما شاء، ولا مُنتهى لكلماته: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾، كلامُه أحسنُ الكلام، وفضلُ كلامه على كلام الخلق كفضلِ الخالقِ على المخلُوق، وآلاؤُه سبحانه على العباد لا تُحصَى.

ومِن حكمة اللَّه ورحمته بهم: أَنْ بعثَ فيهم رُسُلَه، وأَنزلَ عليهم

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع عشَر من شهر ربيع الأول، سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

كُتُبَه، فأنزلَ التَّوراةَ والإنجيلَ والزَّبُورَ وصُحَفَ إبراهيمَ وموسى، وختمَها بالقرآنِ العَظِيم، أعظمِها فضلاً وأشرفِها قدراً، حَمِدَ نفسَه سبحانه على إنزالِه للقرآن؛ فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾، وعظَّم ذاتَه العليَّة بإنزاله؛ فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾، وأقسمَ به؛ فقال: ﴿يسٓ * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾، وهو ممَّا أَقْسَمَ عليه ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾، مُصدِّقٌ لِمَا بين يديه من الكُتب، ومُهَيْمِنٌ عليها، ونَاسِخٌ لها، ومُؤْتمنٌ على ما كان فيها.

بَشَّرَت به الأنبياءُ قبل نزوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذِكْرُ هَذَا القُرْآنِ وَالتَّنْوِيهُ بِهِ مَوْجُودٌ فِي كُتُبِ الأَوَّلِينَ المَأْثُورَةِ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ»، ودعا إبراهيمُ وإسماعيلُ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ أن يبعثَ اللَّه نبيّاً لتلاوته وتعليمه؛ فقالا: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.

القرآنُ كلامُ ربِّ العالمين، تكلَّم به حقيقةً بحرفٍ وصوتٍ مسمُوعَين، منه بدأ، وإليه يعودُ في آخر الزَّمان، سمِعَه جبريلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خيرُ الملائكة من اللَّه، ونَزَل به على خير الرُّسُلِ على أشرفِ ما في البدن - وهو القلب -؛ قال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، في أشرف البِقاع، وفي خير الشُّهور، وفي خير اللَّيالِي - ليلة القدر -، لخيرِ أُمَّةٍ، بأفضلِ لغةٍ وأَجْمَعِها.

كتابٌ لا يَعْدِلُه كتاب: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ

عَلَيۡهِمۡ﴾، امْتَنَّ به سبحانه على هذه الأُمَّة؛ فقال: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾، هو شرفٌ للنَّبيِّ ﷺ ولأمَّته ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾، وهو روحُها؛ لِتوقُّفِ الحياة الحقيقية عليه، وإذا ابتعدَ المرءُ عنه كان حيّاً بلا حياة؛ قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾، لو أنزله اللَّهُ على جَبَلٍ لَخَشَعَ وتَصَدَّع ذُلّاً للَّهِ وطاعة.

لا يصحُّ إيمانُ عبدٍ حتى يُؤْمِنَ به جُمْلةً وتفصيلاً، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾، وهو في السَّماء: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۞ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۞ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ﴾ وهم الملائكة ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾، حفِظَه اللَّهُ قبل إنزاله؛ فقال: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۞ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾، وصانَه من الشَّياطينِ وقتَ نزولِه ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۞ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾، وتكفَّل بحفظِه بعد نزولِه ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

قدَّمه اللَّه في الذِّكر على كثيرٍ من نِعَمِه؛ فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾، علَّم اللَّهُ عبادَه القرآن، ويسَّره لهم تلاوةً وعملاً وحفظاً، يحفظُه العربيُّ والعجميُّ، والصَّغيرُ والكبيرُ، والذَّكرُ والأنثى، والغنيُّ والفقيرُ.

كثُرَت أَسْمَاؤُه، وتعدَّدت أَوْصَافُه، جعله اللَّهُ هُدًى وذكرى للعالمين، عامٌّ للبشريَّة كلِّها كعُموم رسالة نبيِّنا ﷺ، فلا يَختصُّ بأُمَّةٍ دون أُمَّة، يُشبِهُ بعضُه بعضاً، وتُصدِّقُ آياتُه آياتِه: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾،

مُستقيمٌ لم يَجْعَلِ اللَّهُ له عِوجاً، لا اختلافَ فيه ولا تناقُض: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾، هو أحسنُ الحديث وأفضلُه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ أَحْسَنُ مِنْ سَائِرِ الأَحَادِيثِ المُنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَغَيْرِ المُنَزَّلَةِ».

وصفَه اللَّهُ بالعظمة؛ فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾، وكتبَ اللَّهُ له العلُوَّ في ذاته وقَدْرِه؛ فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

بيِّنٌ في لفظه ومعناه، وبيانٌ للأمور على جَلِيَّتها، قال سبحانه: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، قال ابنُ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «بيَّنَ لَنَا فِي هَذَا القُرْآنِ كُلَّ عِلْمٍ وَكُلَّ شَيْءٍ».

حكيمٌ، فيه ومنه الحكمة: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾، كريمٌ عند اللَّه، فيه من المكارِم أعلاها، وبه يُكرَم العبدُ ويُعظَّم عند اللَّه وخلقِه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾، فيه هدايةُ الخلق ومع الهداية فيه الرَّحمة: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، عِصْمةٌ من الضَّلال لِمَنْ تَمسَّك به؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللَّهِ» (رواه مسلم).

مَجِيدٌ، بالغٌ في الشَّرَفِ أعلاه، قال تعالى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾، عزيزٌ لا يُجارِيه في عزِّه شيء، ومَنْ دَنَا منه نَالَه العزُّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾، عالٍ لا يُدانَى، كثيرُ الخير والمنافِع، ووُجوهُ البركة فيه كثيرة، قال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾، مَنْ تلاه وعملَ به

ونشرَه في الآفاق عزَّ، وناله الأمنُ والرَّخاء، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمَّا كَانَتْ خِلَافَةُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امْتَدَّتِ المَمَالِكُ الإِسْلَامِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا؛ وَذَلِكَ بِبَرَكَةِ تِلَاوَتِهِ، وَدِرَاسَتِهِ، وَجَمْعِهِ الأُمَّةَ عَلَى حِفْظِ القُرْآنِ».

كتابُ اللَّه نورٌ في الحياة لإبصارِ نور الدُّنيا والآخرة؛ قال سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾، وبه تحيا الأرواحُ فهو الحياةُ لمَنِ استجابَ له: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، ومع حياة الأرواح به فهو شفاءٌ لأمراض الأبدان، «لَدَغَتْ عَقْرَبٌ رَجُلاً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُرِئَ عَلَيْهِ سُورَةُ الفَاتِحَةِ؛ فَبَرَأَ» (متفق عليه)، هو موعظةٌ وتثبيتٌ للقلب عند الفِتَنِ والمَصائِب والمَصاعِب: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾.

بالقرآن تجتمعُ كلمةُ الأمَّة، وتزولُ خلافاتُهُم: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهُوَ كَامِلٌ صُورَةً وَمَعْنًى»، آياتُه مُحْكَمةٌ في لفظها، مفصَّلةٌ في معناها: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

تحدَّى به الأوَّلين والآخرين، إنسَهم وجنَّهم؛ فقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، ما سمِعَه عاقلٌ إلَّا شهِدَ أنه حقٌّ، سمِعته الجنُّ فقال بعضُهم لبعضٍ: أَنْصِتُوا، وعادُوا إلى قومِهم قائلين: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾.

خيرُ الذِّكر وأفضلُه، تلاوتُه تزيدُ في الإيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، آياتُه أبكت العظماء؛ «قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **حَسْبُكَ**، قَالَ: فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ» (متفق عليه)، و«كَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَا يَكَادُ يُسْمِعُ مَنْ خَلْفَهُ مِنَ الْبُكَاءِ»، و«قَرَأَ جَعْفَرٌ الطَّيَّارُ رضي الله عنه عَلَى النَّجَاشِيِّ صَدْراً مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ؛ فَبَكَى حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ»، وأَمَرَ اللَّهُ بإجارة المُسْتَجِيرِ من الكُفَّار حتى يسمعَ القرآن؛ قال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

حَوَى من العلومِ أَجْمعَها ومن المعارِف أَنفعَها، وأهلُه العارِفون بمعانيه هم العلماء حقّاً؛ قال سبحانه: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾، ومُعلِّمُ القرآن ومُتعلِّمُه هم خيرُ النَّاس؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» (رواه البخاري).

فيه من الأَنْبَاء أصدقُها، ومن البراهين والدَّلائل أظهرُها، ومن القَصَص أحسنُها، ومن الحِكَم أبلغُها، ومن البلاغة والفصاحَة أجملُها، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «نَفْسُ نَظْمِ الْقُرْآنِ وَأُسْلُوبِهِ عَجِيبٌ بَدِيعٌ، لَيْسَ مِنْ جِنْسِ أَسَالِيبِ الْكَلَامِ الْمَعْرُوفَةِ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِنَظِيرِ هَذَا الأُسْلُوبِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الشِّعْرِ وَلَا الرَّجَزِ وَلَا الْخَطَابَةِ وَلَا

الرَّسَائِلِ، وَلَا نَظْمُهُ نَظْمُ شَيْءٍ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ - عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ -، وَالإِعْجَازُ فِي مَعْنَاهُ أَعْظَمُ وَأَكْثَرُ مِنَ الإِعْجَازِ فِي لَفْظِهِ».

كتابُ اللَّهِ شاملٌ في أحكامه، عدلٌ في قضائِه، حكيمٌ في أمره ونهيه، عليه هيبةٌ وجلالٌ، وله قوةٌ وتأثيرٌ وجمال، مُعجِزٌ بأقلِّ ألفاظه، هادٍ بأيسر دلائله، آيةٌ باهرةٌ، ومُعجزةٌ ظاهرة، مَنْ عمل به أُجِر، ومَنْ حَكَمَ به عدَل، ومَنْ تمسَّك به عُصِم، ومَنِ اتَّبَعَه رُحِم: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

هو أنفعُ الذِّكرَ وأجمعُه، امتدحَ اللَّهُ مَنْ تلاه، وأثنَى على العاملين به، ووعدَهم بالوفاء والزِّيادة؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾.

هو التِّجارةُ الرَّابحةُ المُضاعفَة، مَنْ قرأَ حرفاً منه فله به حسنة، والحسنةُ بعشر أمثالها، وتعلُّمه خيرٌ من أموال الدنيا؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى المَسْجِدِ فَيَعْلَمُ - أي: يتعلَّم - أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ» (رواه مسلم)، و«المَاهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ» (متفق عليه).

مجالسُ القرآن ومواطِنُ تعلُّمِه مظانُّ تنزُّلِ السَّكينة والرَّحمةِ على مُعلِّميها والمُتعلِّمين؛ قال ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ،

يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» (رواه مسلم)، وباستماعه نَيلُ الرَّحمَات؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

التَّمسُّكُ به وتلاوتُه وصيَّةُ النَّبيِّ ﷺ للأُمَّة؛ سُئل عبدُ اللَّه بنُ أبي أوفَى رضي الله عنهما عن وصيَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: «أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ» (متفق عليه)، قال ابنُ حجرٍ رحمه الله: «وَالمُرَادُ بِالوَصِيَّةِ بِكِتَابِ اللَّهِ: حِفْظُهُ حِسّاً وَمَعْنًى؛ فَيُكْرَمُ، وَيُصَانُ، وَيُتَّبَعُ مَا فِيهِ، وَيُدَاوَمُ عَلَى تِلَاوَتِهِ، وَتَعَلُّمِهِ، وَتَعْلِيمِهِ».

حاملُ القرآن مُكرَمٌ في حياته وبعد مماته؛ ففي الحياة: «يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ» (رواه مسلم)، وبعد الوفاة: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذاً لِلْقُرْآنِ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا؛ قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ» (رواه البخاري)، وأهلُ القرآن خيرُ جليسٍ للمرء؛ «كَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ» (رواه البخاري).

وهو حُجَّةٌ لأهلِه يومَ الدِّين، وشافعٌ مُشفَّعٌ عند ربِّ العالمين؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «اقْرَؤُوا القُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ» (رواه مسلم)، وصاحبُ القرآن في أعلى درجات النَّعيم، «يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا» (رواه أبو داود).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالفرحُ بالقرآنِ العظيمِ وتعليمِه من أرفعِ مقاماتِ الإيمان، ولا غِنَى لأحدٍ عن كتاب اللَّه، فنبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ أكملُ النَّاس عقلاً، وكمالُ عقله لم يهده إلى الصَّواب، وإنَّما هدايتُه بالقرآن؛ قال سبحانه: ﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ﴾، وأسعدُ النَّاس أقربُهم من كتاب اللَّه، وهو شرفُ وسُؤدَدُ المُسلمين، ورُقيُّ وفَخْرُ الأجيال، وهو أمانٌ للمُجتمع، وبركةٌ عليه، وفيه الأُنسُ، والرِّفعةُ، ورِضا ربِّ العالمين.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مَنِ اتَّبَعَ القرآنَ ناله الهُدى، ومَنْ أَعرضَ عنه ضلَّ في الرَّدَى؛ قال سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾، ولا طريقَ لِلْهداية بدونه.

ومَنْ حُجِبَ قلبُه عن الانتفاع به فلن يَهْتدِيَ بغيره؛ قال سبحانه: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾، وكما أَنَّ القرآنَ يَرْفَعُ صاحبَه فإنَّه يَضَعُ مَنْ عَادَاه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَاماً، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**» (رواه مسلم).

وكلامُ اللَّه عزيزٌ عظيم، مَنْ أنكرَ حرفاً منه أو هَزَلَ به؛ كفر؛ قال سبحانه: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، ولَمْ يَسْخَرْ أحدٌ بكتابِ اللَّه أو أهلِه أو تَعْليمِه إلَّا أذلَّه اللَّه؛ فحقيقٌ بالمُسلم أن يَنْصُرَ كتابَ ربِّه، ويَعتزَّ به؛ لينالَ أعلى الدَّرجات.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فِهْرِسُ مَوْضُوعَاتِ الجُزْءِ الأَوَّلِ

دار الدليقان للتوزيع
لطلب الكميات ٠٥٦٤٤٤٨٤٥٤

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٩٧٧٠-٩